

جامع النواريج

رشيد الدين فضل الله الهمذاني

تاريخ المغول

المجلد الثاني - الجزء الأول

الإيلخانيون

تاريخ هولاكو

مع مقدمة رشيد الدين

مختصا و نشأت
محمّد موسى هنداوي
فؤاد عبد العطل اضياد
نقله الى العربية

راجعه وقدم له
بجني الخشاب

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
الإدارة العامة للثقافة



جامع التواريخ

رشيد الدين فضل الله الهمداني

تاريخ المغول

المجلد الثاني - الجزء الأول

الإيلخانيون

تاريخ هولانغو

مع مقدمة رشيد الدين

نقله إلى العربية

فؤاد عبد المعطي الصياد

محمد موسى هلالوي

محمد صادق نشأت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية
مبنى الحسن

كتب متار (1974)
(1974)

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإقليم الجنوبي

الإدارة العامة للثقافة

رقم التسجيل 9281

ترجمة عن الفارسية
لمقدمة رشيد الدين لجامع التواريخ
وتاريخ هولانغو
عن الطبعة التي نشرها «كاتمير»

ترجمة

محمد صادق نشأت : الأستاذ المنتدب بكلية الآداب ، جامعة القاهرة
محمد موسى هندأوى : الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة
فؤاد عبد المعطى الصياد : المدرس بكلية الآداب ، جامعة عين شمس

مراجعة

يحيى الخشاب : رئيس قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب
جامعة القاهرة . عميد كلية الآداب السابق

دار الصحافة الكلاسيكية
ميسى الباني ايجلين وشركاه

(١)

مقدمة

يحيى الخشاب

(١)

قدم هذا الكتاب المستشرق الفرنسي كاترمير بمقدمة قيمة جامعة ، تحدث فيها عن المؤلف رشيد الدين فضل الله ، حياته واشتغاله بالطب ثم بالوزارة ثم كتابته « جامع التواريخ » ثم كتبه الأخرى . كما تحدث طويلاً عن موضوعات أخرى من الحضارة الإسلامية تجعل من مقدمته سفراً جديراً بأن يطبع على حدة .

وهي هنا من صفحة ١ إلى ١٧٩ .

ولكن كاترمير نشر كتابه عام ١٨٣٦ ، فحديثه عن « جامع التواريخ » قديم ، وقد جد الكثير عنه سواء من ناحية اكتشاف أجزاء منه لم تكن قد عثر عليها أيام كاترمير أو من ناحية النشر ، فكثير من أجزاء الكتاب قد أصبح متداولاً بين الناس منشوراً . وكذلك ينبغي التحدث عن الطريقة التي تتبع في نشر ترجمة مانشر من هذا الكتاب الضخم أو في نشر القسم المخطوط منه .

(٢)

وفي الصفحات ٢٠٣ إلى ٢٠٨ من كتابنا هذا يجد القارئ بياناً كتبه

(ب)

رشيد الدين عن كتابه الذي يقع في ثلاثة مجلدات وقد بين فيه موضوعات كل واحد منها .

وحين فكر كاترمير في كتاب رشيد الدين لم يكن أمامه منه سوى المجلد الأول ، المسمى تاريخ غازان ، والذي يشتمل على :

قواعد وديباجة وفصول في شرح أحوال الأوغوز والمغول وأقوام الأتراك ، ثم بيان تاريخ آباء چنگيز خان وأجداده ، وهم عشرة أمراء (صفحة ٢٠٤ - ٢٠٥) ، ثم تاريخ چنگيز خان وأبنائه وأحفاده المشهورين ، مع ذكر مجمل لتاريخ ملوك العالم الذين كانوا يعاصرونهم حتى ذلك الوقت .

وفي آخر هذه المخطوطة ذيل كتبه حافظ آبرو عن السلطانين أوجلياتبو وأبي سعيد ومن خلفوها من الإيلخانيين .

وقد فكر كاترمير في أن ينشر من هذا المجلد موضوعين رأها جديريين بأن يعرف بهما وهما تاريخ چنگيز خان وتاريخ غازان خان . فهو يرى أن الموضوع الأول متفق تماماً مع روايات مؤرخي الصين^(١) . ولما كان هدفه هو التعرف بكتاب رشيد الدين عن طريق نشر فصول مطولة منه فقد عزم على

(١) أول من حاول الترجمة عن رشيد الدين هو هامر بورجستال Hammer Purgastahl الذي ترجم الجزء الخاص بالصين . ولكن كلا پروث Klapproth وجد في هذه الترجمة أخطاء كثيرة فنشر ترجمة أخرى عام ١٨٣٣ في JA. (مجلد ١١ ، ١٨٣٣) . انظر مقدمة الزميل الدكتور أحمد السعيد للترجمة العربية التي نشرها لكتاب « تاريخ الترك في آسيا الوسطى » لبارتولد .

(ج)

نشر حياة چنگيز خان كلها كما وردت في جامع التواريخ مع مقارنتها بما جاء عن هذا الأمير في الروايات الأخرى . أما عن الموضوع الثاني تاريخ غازان خان فإن رشيد الدين ذيله بفصل طويل عن أعماله ومنشأته وهو فصل طويل وهام عزم كاترمير على نشره . وقد نقل هذا الذيل إلى الإنجليزية في كلكتا مستر كيرك پاتريك Kirck Patrick تحت عنوان : Institutes of Ghazan-Khan وذلك في مجموعة للنصوص الآسيوية^(١) . ولم يلدن عمل پاتريك يحول دون مضي كاترمير في عزمه لأن هذه المجموعة لم تدع في فرنسا ولأن المترجم لم ينقل عن نص رشيد الدين بل نقل عن رواية مختصرة جاءت في « حبيب السير » ، في حين أن ما اعتمده هو نشر نص جامع التواريخ كاملا .

كانت هذه نية كاترمير ولكن عوامل أخرى جرت حالت دون الاستمرار فيها . ذلك أن مورادجا دوسون^(٢) أخرج عام ١٨٢٤ تاريخ المغول الذي تبغ فيه بدقة رواية رشيد الدين ، الأمر الذي جعل ترجمة حياة چنگيزخان غير لازمة فقد حلت رواية دوسون المحققة محل الروايات المحرفة في يتي دي لاكروا^(٣) - الذي كان قد ترجم إلى الفرنسية عن النسخة الثانية لرشيد الدين وهي على جانب كبير من النقص (١٤٢ هنا) - وفي التصنيفات الأخرى .

New Asiatic Miscellany (١)

Mouradjea d' Ohsson (٢)

Pétis de le Croix (٣)

وفي الوقت نفسه كانت المطبعة الملكية في باريس تزعم القيام بنشر
تصوص لكتاب شرفيين على أن تكون النصوص مشفوعة بترجمة فرنسية
وتعليقات . فعزم كاترمير على أن ينشر المجلد الأول لرشيد الدين كله مع
الترجمة الفرنسية . فلما شرع في تحقيق ما عزم عليه أحس بثقل المهمة حين
فكر في الحياة القصيرة وفي الخطى البطيئة التي يسير فيها الطبع ، وأدرك أن
المهمة أشق من أن تتحملها طاقته ، وعلى هذا حدد القسم الذي ينشره من
كتاب رشيد الدين بالإيخانيين أى مغول فارس فإذا ما تم له ذلك فإنه ينشر
كذلك الذيل الملحق بهذا المجلد والمتعلق بالسلطانين أولجايتو وأبى سعيد
وخلقاهما . . .

ولكن كاترمير لم يحقق سوى نشر القسم الخاص بهولاكوم مع المقدمة
التي وضعها رشيد الدين لكتابه ، فإن تصحيح النص الفارسي والتعليقات
القيمة التي نجدها على الترجمة الفرنسية ثم هذه المقدمة النفيسة التي تعد بذاتها
سفراقيا كل هذا الجهد حال دون إتمام كل ما كان قد عزم عليه . وحسبه
أنه كان أول من قام بمثل هذا النشر العلمي الرائع لكتاب رشيد الدين كما
كان أول من نشر الألقاظ المغولية على هذا النحو الذي فاد منه ولا يزال يفيد
كل من يعنى من المؤرخين بتاريخ المغول .

بعد ظهور الطبعة الأنيقة القيمة التي أعدها كاترمير باثنتين وعشرين
سنة ظهر الجزء الأول من طبعة برزين Berezine ، سنة ١٨٥٨ . وقد نشر
برزين من المجلد الأول لرشيد الدين الأجزاء المتعلقة بالقبائل التركية وأجداد

(٥)

تجنكيز وتاريخ جنكيز نفسه . وقد أخرج برزين طبعته عن المخطوطة الفارسية في ثلاثة أجزاء مع كل جزء الترجمة الروسية لما ورد به . وكان إخراج الجزء الثالث سنة ١٨٨٨ .

(٣)

هذا ما كان في القرن التاسع عشر . أما في القرن العشرين فقد بدأ النظر في رسم الخطة الواجبة لإخراج كتاب رشيد الدين ، سواء نشرا أونشرا وترجمة معا . كما بدأت الدراسات المعولية الفارسية تتخذ طابع العناية بالمصطلحات والنظم الإدارية والسياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد التي حكمها المغول .

وفي عام ١٩٠٦ قررت لجنة أوصياء مجموعة جب التذكارية GMS نشر المجلد الأول من جامع التواريخ ، تاريخ مبارك غازاني ، على أن يكون في ثلاثة أجزاء :

١ - الجزء الأول ، في القبائل التركية وجنكيزخان ، أجداده وسيرته .

٢ - الجزء الثاني في خلفاء جنكيزخان الذين حكموا في غير إيران .

٣ - الجزء الثالث في خلفاء جنكيزخان الذين حكموا في إيران ، الإيلخانية .

(مضافا إليه الذيل الذي كتبه حافظ آبرو)

وكان من الطبيعي أن يبدأ المستشرق الفرنسي ، بلوشيه Blochet ، الذي عهد إليه القيام بهذا النشر بالجزء الثاني . لأن الجزء الأول سبق أن

(و)

نشره مع الترجمة الروسية المستشرق الروسي برزين Berezine ، ولو أن طبعته هذه نادرة إلا أنها خرجت للناس على أية حال .

والجزء الثاني الذى نشره بلوشيه فى مجموعة جب محتوى على تاريخ كل من : أوكتاى، جوجى ، چغتاي ، تولوى ، كويوك ، منگو ، قوبيلاى ، تيمور . وقد تم النشر فى مجموعة جب عام ١٩١١ .

ولم يخرج بلوشيه غير هذا الجزء ، المجلد ١٨ (٢) من المجموعة .

ثم أخذ المؤرخون يعنون بنشر أقسام أخرى :

فى إيران نشر بيانى (خان بابا) سنة ١٩٣٧ الذيل الذى كتبه حافظ آبرو لجامع التواريخ مع ترجمة فرنسية وتعليقات .

وفى تشكسولفا كيا عنى المستشرق كارل يان Karl Jahn بنشر قسم من الجزء الثالث من الخطة السابقة ، فنشر فى GMS عام ١٩٤٠ تاريخ غازان خان . وفى العام التالى نشر من هذا الجزء القسم الخاص بتاريخ كل من : آباخان ، أحمد تكودار ، أرغون ، گيخاتون .

فإذا أضيف مانشره كل من بيانى و كارل يان إلى مانشره كاترمير فإن تاريخ مغول إيران يكون قد تم نشره ، بما فيه الذيل الذى وضعه حافظ آبرو الخاص بأولجايتو وأبى سعيد .

وإذا أضيف هذا كله إلى مانشره كل من برزين و بلوشيه فإن المجلد الأول من تاريخ رشيد الدين يكون قد نشر بتمامه .

(ز)

(٤)

خطة برون Browne

وبرون ، كأحد الأوصياء على مجموعة جب التذكارية ، كان معنيا بالموضوع عناية خاصة . فكتب في يناير من عام ١٩٠٨ مقالا في J.R.A.S. يقترح فيه خطة لنشر كتاب جامع التواريخ .

وخطة برون تقوم على الواقع التاريخي للمخطوط . فرشيد الدين كتب بتسكليف من غازان خان مجلدا يشمل تاريخ القبائل التركية والمغولية وأجداد چنگيز خان ثم چنگيز خان نفسه ومن بعده خلفائه حتى غازان . وهذا هو المجلد الذي يخص المغول .

فإذا أضيف إليه ذيل حافظ آبرو المتعلق بأولجايتو وأبي سعيد فإن تاريخ المغول يكمل .

وهذا المجلد ، في تاريخ المغول ، يمثل المجموعة الأولى من خطة برون . وقد رأينا أنه قد تم نشره .

أما المجموعة الثانية من خطة برون فتتعلق بالتاريخ العام وقد اقترح نشرها في أربعة أجزاء :

- ١ - تاريخ ملوك القرس قبل الإسلام ثم العصر النبوي .
- ٢ - تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين والعباسيين إلى المستعصم .
- ٣ - الدويلات التي انقسم إليها العالم الإسلامي ، ومنها الغزنويون .

(ح)

والسلاجقة والخوارز مشاهيون والأتابكة والإسماعيلية .

٤ - تاريخ الأقوام الذين اتصل بهم المغول . الترك والصين واليهود
والفرنج والهنود .

وقد نشر كارل يان بعض القسم المتعلق بالفرنج « كتاب تاريخ إفرنج »
في لندن سنة ١٩٥١ .

(٥)

وفي السنوات الأخيرة ، أى فى النصف الثانى من القرن العشرين ،
نشطت المدرسة الروسية فى تكملة نشر كتاب رشيد الدين وظهر مجلد ضخيم
يحوى تاريخ مغول إيران من هولانكو إلى آخر غازان خان ، نشره عام ١٩٥٧
عبد الكريم على أوغلو على زاده بإشراف برتلس وروماسكويج ومع النص
الفارسى ترجمة روسية قام بها ارنيس . وتعاون فى نشر هذا المجلد المجمع العلمى
الروسى فى آذربيجان ، باكو .

وبهذا تكون المدرسة الروسية قد قامت بنشر جزء كبير من المجلد الأول
لكتاب جامع التواريخ :

١ - القبائل التركية وأجداد چنگيز ثم تاريخ چنگيز وهو القسم الذى
نشره فى القرن التاسع عشر برزين Berezine .

(ط)

٢ - مغول إيران (الإيلخانيون) . وهو القسم الذى نشره فى القرن العشرين عبد الكريم على أوغلو على زاده .

(٦)

وفى تركيا تنشر الجمعية التاريخية بأقره أقساما من جامع التواريخ وقد ظهر جزء منها فى السنوات الأخيرة ، ويقوم بهذا العمل الجليل أحمد آتش .

(٧)

كان من الطبيعى أن ينصرف اهتمام العلماء إلى المجلد الأول من تاريخ رشيد الدين ، لتعلقه بتاريخ أقوام المغول ، قبائلهم وملوكهم الذين حكموا فى إيران وفى غير إيران ، لأن هذا القسم من التاريخ يعد فيه رشيد الدين مؤرخاً جديراً بأن ينقل عنه . فقد عمل غازان خان على توفير مواد البحث لرشيد الدين ، الذى استطاع ، لعلمه باللغة المغولية ، أن يفيد من قراءة هذه المواد أن يستخلص منها ما يهيم التاريخ . وقد أخذ تاريخ المغول عن :

١ - حوليات المغول (آلتين دفتر) التى تروى الحوادث التاريخية الرئيسية ، وهذه الحوليات كان يحتفظ بها فى سجلات الإمبراطورية .

٢ - الوثائق التاريخية وقوائم الأنساب المتصلة التى تحتفظ بها الأسر المغولية الكبيرة .

(٥)

٣ - الروايات التي يختلط بها التاريخ العام مع التاريخ الخاص لبعض
الأسر أو الأفراد .

وقد تناول كاترمير كتب المؤرخين السابقين على رشيد الدين والذين
تناولوا تاريخ المغول وخلص من نقده لكتبهم إلى أن « جامع التواريخ »
يعد بحق المرجع الأفضل في تاريخ المغول .

ثم إن رشيد الدين كتب المجلد الأول من تاريخه لغازان خان وهو يعرف
مدى حرص هذا الخان على تدوين تاريخ أجداده ومدى حرص حاسديه
على الإيقاع به لإسقاط الخان عليه ، فكان اجتهاده لإرضاء السلطان
وسعيه لإفساد خطة حاسديه يدفعانه دائماً إلى التدقيق في كتابة
تاريخ المغول .

(٨)

وأما المجلد الثاني فيمكن تقسيمه إلى قسمين : قسم يتناول تاريخ الفرس
قبل الإسلام ، ثم التاريخ الإسلامي إلى سقوط بغداد ؛ وقسم يتناول الشعوب
والأمم التي اتصل بها المغول في تاريخهم وفي فتوحاتهم .

وقد كتب رشيد الدين هذا المجلد ، والمجلد الثالث المفقود ، بأمر أولجايتو .
ويحدثنا رشيد الدين عن سبب تأليف التاريخ العام الذي يحتويه المجلد
الثاني من كتابه . فإن أولجايتو حين اطلع على « تاريخ غازاني » وكله يدور
حول تاريخ المغول ، رأى أن يكتب كتاب عن تاريخ الأمم والشعوب التي

(ك)

اتصل بها المغول - وقد دخلت أقاليم الربع المسكون تحت سيطرتهم - وبناء على هذا التوجيه شرع رشيد الدين في سطر مأسره به الخان .

(٩)

أما طريقة التأليف أو بالأحرى التصنيف التي جرى عليها في هذا المجلد الثاني ، فإن رشيد الدين يحدثنا بأنه نقل عن العلماء وعن الكتب .

أما العلماء فكانوا كثيرين في بلاط أوجياتو ، من الخطا والملايين والهند وكشمير والتبت والأويغور وغيرهم من أقوام الترك والأعراب والإفرنج . ومن هؤلاء العلماء فلاسفة ومنجمون ومؤرخو أديان وغيرهم . فاتصل بهم رشيد الدين واستطلع آراءهم وأخذ عنهم .

وأما الكتب - وكان كل واحد من العلماء في بلاط الخان مزودا بكتب تشتمل على تواريخ أمته وحكاياتها ومعتقداتها - فقد أخذ عنها رشيد الدين ما رآه يتفق مع خطته في الكتاب .

وهو يقرر أن المؤرخ لا يشهد بعينه القضايا والحكايات التي يكتبها ويقررها في مؤلفه ، كما أنه لا يستقى معلوماته من طريق المشافهة عن أفراد الطائفة التي كان التاريخ سجلا لسرد تاريخها . إنما يكتب المؤرخ ما يتناقله الرواة وما يذيعونه .

وكما ذهب أهل الحديث في تقسيم النقل إلى متواتر وآحاد ، فكذلك

النقل في روايات التاريخ ، عند رشيد الدين ، نوعان :

(ل)

متواتر .

وغير متواتر .

وعنده أن المتواتر يؤدي إلى العلم وليست فيه شبهة . ومن هذا نقل ما يتعلق بالرسل والملوك والعظماء الذين عاشوا في القرون الخالية . وكذلك منه تاريخ البلاد البعيدة مثل مكة ومصر .

وأما غير المتواتر فإنه يحتمل الصدق والكذب . ويجب أن يجتهد المؤرخ في درسه حتى إذا اطمان إلى صحة رواية ما أخذ بها ، وإذا شك في رواية ما اطرحها أو ذكر أنه يشك في صحتها . ومن هذا النوع أكثر روايات التاريخ ، الأمر الذي يجعل من الصعب معرفة تاريخ بعض الأمم والأقوام في مختلف العهود معرفة يقينية . ولا مفر من النظر في هذا النوع الثاني من الروايات لأنه الأكثر .

ولو ذهب المؤرخ إلى وجوب أن يكون كل ما يكتبه مقطوعاً بصحته فإنه قد لا يستطيع أن يكتب تاريخ أية أمة لأن أكثر ما ينقل إليه إنما يكون لغير المتواتر من الأخبار ، ويحذر رشيد الدين من هذا التشدد في اشتراط يقينية روايات التاريخ ، فإن هذا يؤدي إلى حرمان الناس من مزايا معرفة التاريخ .

ولهذا يرى أن وظيفة المؤرخ ، بالنسبة لغير المتواتر ، أن ينقل ويكتب أخبار كل قوم وكل طائفة على نحو ماوردت في كتبهم وبالطريقة التي رويت

(م)

بها من الكتب المشهورة المتداولة بين هؤلاء القوم ، ومن أقوال مشاهيرهم
والبارزين فيهم ، تاركا العهدة على الراوى .

(١٠)

ولا يريد رشيد الدين أن يوهم من يقرأ هذا المجلد من تاريخه (التاريخ
العام) بأنه مؤرخ اتسع وقته وأتيح له الفراغ الكافى ليقوم بمهمته ، ولكنه
يقدر ، بحق ، أنه وزير ألقى على عاتقه عبء ثقيل ، ثم هو فى آخر سن
الكمهولة ، فليس لديه الشروط الواجبة للمؤرخ ، ولكن كان عليه أن يمثل
لأمر مولاه وأن يكتب التاريخ الذى أمر بكتابته وأن يحاول أن يحسن فيه
ببذل غاية الجهد .

ولهذا فهو يأمل من القارئ أسرين :

أولها أن يتجاوز عما يجد من خطأ أو خلل أو سهو أو زلل .

والثانى أن يعذر المؤلف الضعيف الذى صدع بما أمر به .

وهو فى ثقة العالم بنفسه واعتزازه بمعنى العلم الرفيع يرجو العالم الذى
يقراء الكتاب فىرى فيه نقصاً أو عيباً أن يكمل النقص وأن يصلح العيب وأن
يتم ما بدأ على خير وجه .

(١١)

بيننا أن المجلد الثانى من جامع التواريخ ينقسم إلى قسمين : قسم خاص

(ن)

بتاريخ الأنبياء والعطاء ثم تاريخ إيران قبل الإسلام ، ثم التاريخ الإسلامي حتى غزو المغول ، والقسم الثاني خاص بالشعوب التي عرفها المغول ، كالهنود والإفرنج . ونستطيع بعد أن ذكرنا في البند السابق خطة رشيد الدين أن نقرر ، نقلاً عن المؤرخين المختصين ، أن مبدأ النقل أو بعبارة أدق مبدأ التصنيف ينطبق على أجزاء كثيرة من القسم الأول ، من ذلك :

١ - حديثه عن الدولة الغزنوية مأخوذ عن كتاب تاريخ اليميني .

٢ - حديثه عن السلاجقة مأخوذ عن كتاب « راحة الصدور » للراوندى . وحين قام محمد إقبال بنشر « راحة الصدور » اتخذ من نص رشيد الدين نسخة ثانية يصلح منها ويقارن بها . كما أنه نقل عن « تواريخ آل سلجوق » لأبي حامد محمد بن إبراهيم .

٣ - حديثه عن الدولة الخوارزمية مأخوذ عن كتابي : « مشارب التجارب » لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي المشهور بابن فندق وعن « تاريخ جهانگشاي » للجويني . وقد ذكر العلامة القزويني أن رشيد الدين استوعب « تاريخ جهانگشاي » كله في كتابه نقلاً وتلخيصاً . (مقدمة الجزء الثالث ص ٦١ ، وانظر رسالة الدكتوراه التي قدمها الزميل الدكتور فؤاد الصياد عن رشيد الدين فضل الله مؤرخ المغول ص ٢٠١ - ٢٠٣) .

(س)

ومن هذا نتبين أن نقل تواريخ هذه الدول من مصادرها الأولى أولى
من نشرها مترجمة عن تصنيف رشيد الدين لها .
ولذلك تعد العناية بنشر هذا القسم أو ترجمته في المرتبة الثانية .

(١٢)

أما القسم الثاني من هذا المجلد وهو الخاص بالشعوب التي عرفها المغول فقد
بذل فيه رشيد الدين جهداً كبيراً . فهو يحدثنا أنه حين أراد كتابة تاريخ
الخطا استقدم عالمين صينيين هما : ليتاجى ويكسون وكانا عالمين بالطب
والفلك والتاريخ وقد أخبرا رشيد الدين أن خير كتاب في تاريخ الخطا كتبه
ثلاثة لامات متخصصون هم :

فوهين من مدينة نان جان چيو

وفنجو من مدينة كن چيو

وشيخون من مدينة لأووكين

وأن علماء المملكة راجعوا هذا الكتاب وشهدوا بأصالته .

فأحضر رشيد الدين هذا الكتاب ونقل عنه .

ويذكر شمس الدين الكاشاني في تاريخه المنظوم للمغول « تاريخ

غازان خان » أن الأمير بولاد چينگك سنك ، سفير قويلاي خان في بلاط

(٤)

غازان ، كان يجلس مع رشيد الدين ، جلوس الشيخ مع المرید ، فكان الأمير محكي ورشيد الدين يدون .

وهذا يعطى فكرة واضحة عن دقة المصدر الذى يأخذ عنه رشيد الدين .

ولم ينشر من هذا القسم إلاجزءان من تاريخ الفرنج هما :

الباب الثالث من القسم الثانى من تاريخ الفرنج : « فى معرفة ولاية الفرنج وبجارتها وجزرها » ؛ والباب الرابع : « فى ولادة المسيح وقصته وذكر البابات والقيصرة » . قام بهذا النشر كارل يان فى براغ عام ١٩٥١ .

(١٣)

أستاذنا الجليل عبد الوهاب عزام أول من دعا عندنا لنشر وترجمة «جامع التواريخ» . ألقى عام ١٩٤٧ محاضرة فى الجمعية الجغرافية عن رشيد الدين وتحدث فيها عن كتابه وضرورة القيام بنشر القسم العربى منه وترجمة يقيمة الأجزاء إلى اللغة العربية لتسبب الفراغ عن فترة المغول فى العالم الإسلامى . وأشار الأستاذ رحمه الله إلى مخطوطة دار السكيت (١٨٨٩ تاريخ ٤) التى تخص بتاريخ القبائل وچنگيز خان ، آباءه وسيرته . وهى مصورة عن مخطوطة مكتبة آياصوفيا باستنبول (تاريخ چنگيز) ومنها صورة بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية . وكان مقصد الأستاذ أن نبدأ بنشر هذا

(ف)

القسم العربي من تاريخ المغول ، فهو سهل نسبياً لكونه عربياً وهو من ناحية الترتيب الزمني أول أقسام « جامع التواريخ » .

ثم إن تحقيقه يسير إذا ما قورن بالنص الفارسي المقابل له والذي توجد منه مخطوطة في مكتبة روان كوشكي (طوب قابوسراي) .

وحينذاك لم يكن لدينا من منشورات « جامع التواريخ » سوى القسمين اللذين نشرهما كاترمير وبلوشيه ، والذيل الذي كتبه حافظ آبرو للكتاب ، وكان من العسير وضع خطة شاملة لنقل الكتاب كله إلى اللغة العربية .

وفي عام ١٩٤٨ التقينا بالأستاذ مينورسكي بكلية الآداب ، وكان أستاذاً زائراً بها ، وتحدثنا في شأن جامع التواريخ ، واتفقنا على أن ننشر أولاً مخطوطة دار الكتب على أن تقارنها بالنص الفارسي لها الذي نشره بعد مقارنات بالمخطوطات الكثيرة برزين ، فإن المقارنة قد تثبت بعض التفاوت بين النصين العربي والفارسي كما أنها تفيد في تصحيح بعض الألفاظ الغامضة في كل من النصين .

وفي مايو من عام ١٩٤٩ التقيت بطهران بالعلامة القزويني وتحدثنا عن نشر جامع التواريخ ، وعن المخطوطة العربية التي لدينا وصلتها بنسخة برزين . وقد أراي الأستاذ هذه النسخة وقال إنها نادرة وحدثني عن كيفية اقتنائه لها .

(ص)

ولاشك أن الاطلاع على نسخة برزين له أهمية في نشر تاريخ
چنگيزخان .

(١٤)

وكثرت الأقسام المنشورة من الكتاب ، وقد اقتنينا بعد الحرب العالمية
الثانية ، الأجزاء التي نشرها كارل يان ، ثم المجلد الضخم الذي نشرته جامعة
باكو للإيلخانيين ، ورويدا رويدا تظهر الأجزاء التي تنشرها الجمعية التاريخية
بأنقرة بتحقيق الأستاذ أحمد آتش . بعد هذا أصبح من اليسير أن نضع خطة
كاملة لنشر تاريخ المغول .

ثم إن لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية اقترحت ترجمة ونشر « تاريخ المغول » من كتاب
« جامع التواريخ » . وقررت وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، إدارة الثقافة ، أن
تقوم بنشر هذا التاريخ الذي نرجو الله أن يعين على إتمامه .

وسيكون الكتاب مجلدين :

المجلد الأول ويخرج في جزأين :

١ - الجزء الأول - تاريخ چنگيزخان . وهو نشر المخطوطة العربية التي

لدينا بدار الكتب ، مع مقارنتها بنسخة طوب قاپو

سراى الفارسية ونسخة برزين إذا أمكن الحصول

عليها .

(ق)

٢ - الجزء الثانى - أبناء چنگيز من أوكتاي خان حتى تيمور خان .
عن طبعة بلوشيه .

والمجلد الثانى ويخرج فى ثلاثة أجزاء ، تحوى تاريخ الإيلخانيين حتى
آخر عهد غازان خان :

١ - الجزء الأول : تاريخ هولانكو خان .

٢ - الجزء الثانى : تاريخ الخانات من آباقا خان إلى كيجاتو خان .

٣ - الجزء الثالث : تاريخ غازان خان .

ثم يأتى بعد ذلك « الملحق » وهو ذيل جامع التواريخ لحافظ آبرو
لتنتم به سلسلة الإيلخانيين .

(١٥)

والجزء الذى نشره اليوم يتعلق بتاريخ هولانكو ، وسيرى فيه المؤرخون
رواية جديدة عن الملاحدة ؛ وسقوط بغداد ؛ ثم هزيمة جيش هولانكو على
يد المصريين فى عين جالوت .

محدث رشيد الدين عن الملاحدة وكيف أو عز قاضى القضاة شمس الدين
القروينى إلى منگوقاآن بهدم قلاعهم أكثر تفصيلا ووضوحا من
الروايات العربية .

وأما حديثه عن سقوط بغداد وزوال الخلافة العباسية بقتل المستعصم
فبخالف فى كثير من النقاط ماورد فى كتب المؤرخين المسلمين من أهل السنة؛

(ر)

عرباً كانوا أو تركاً . فهو يتحدث عن الدور الذي قام به ابن العلقمي ميئاً إلى أى حد كان هذا الوزير مخلصاً في نصحه للخليفة وإلى أى حد تعرض للتسائس السواتدار وابن الخليفة، وكيف اتهم الوزير بأنه يحابي هولاءكو وأنه يبغض العباسيين ويتمنى زوال خلافتهم لأنه شيعي وكيف نجح أعداؤه في إذاعة هذا عنه . فالصورة التي نراها هنا لابن العلقمي غير هذه الصورة التي نجدها في كتاب عربي كالبداية والنهاية لابن كثير أو في كتاب تركي كقصص أنبيا وتاريخ خلفاء لوجودت باشا .

وكذلك الحديث عن الخواجه نصير الدين الطوسي الذي لم يسلم بدوره من اتهام بعض المؤرخين نراه مصورا هنا صورة لا يرقى إليها الشك فهو يعمل بكل الوسائل لحث هولاءكو على العناية بشئون المسلمين .

ولم يذكر رشيد الدين الطريقة التي قتل بها الخليفة ، والمؤرخين الإسلاميين روايات كثيرة في هذا . وذكر رشيد أن الخليفة بعث بالجاتليق ليستدر عطف هولاءكو الذي كان يميل للنصارى أرضاء لزوجه دوقوز .

وأما حديثه عن انتصار المصريين على جيش هولاءكو فحديث المؤرخ المنصف فهو يثنى على خطة قطز ، وهو في الوقت نفسه يصور قائد المغول ، كيتوبوقا ، قائدا شجاعا يؤثر القتال حتى الموت « فلموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان » ، ويهون على هولاءكو فناء جيشه « وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاما واحدا » .

(ش)

وسوف ننشر ماينجز من الكتاب أولاً بأول وفق الخطة التي ذكرناها .
ولا نشك في أن العزم الصادق في تحقيق الأهداف العليا للثقافة الذي تسير عليه
وزارة الثقافة والإرشاد القومي خليق بأن يمكن لنا ، أولمن بعدنا ، تحقيق
نشر تاريخ المغول عملاً على استكمال حلقات التاريخ الإسلامي في المكتبة
العربية .

والله المستعان ؟

يحيى الخشاب

مايو ١٩٦٠

مقدمة كاترمير

ترجمة

محمد القصاص

أستاذ الدراسات السامية
كلية الآداب ، جامعة عين شمس

مراجعة

يحيى الخشاب

تقديم

عن حياة رشيد الدين ومؤلفاته

حرصت الأمم المتحضرة في جميع العصور على أن يترك كل جيل منها للأجيال التي تعقبه صورة من حياة رجاله العظماء الذين امتازوا في ميدان العلوم أو الآداب؛ إذ قد شعر الناس أن أبسط علامات الوفاء نحو عالم كرس ليليه لتثقيف جيله والأجيال المقبلة أن يحيطوا اسمه بسياج يرد عنه غوائل النسيان، ولكن إذا كان الرجل الذي جعلناه موضوعاً لبحثنا هذا لم يكتب بالكتابة والتأليف لسداد الدين الذي يدين به كل إنسان نحو المجتمع الذي هو عضو من أعضائه، بل قام أيضاً بوظائف هامة، وحقق الثقة التي وضعها مليكه في عنقه، وإذا كان قد جمع إلى الثقافة والآداب مهام الإدارة الشاقة وتفصيلها الشائكة، وإذا كانت مؤلفاته الفائقة التي قد لا يشك القارئ في أنها استغرقت منه كل حياته، لم تكن إلا ثمرة لأوقات فراغه الحافلة؛ فإنه يستحق أن يحيا حياة مضاعفة في ذاكرة نبي الإنسان، وأن يحصل على ذلك النوع من الشهرة الذي يؤهله له التاريخ الصادق النزيه لأعماله ومؤلفاته. فكل هذه النواحي من الفضل تجتمع في شخص رشيد الدين.

عهد إليه برياسة الحكومة في مملكة كبيرة، وتولى الوزارة لثلاثة أمراء

متتابعين ، فعرف كيف يجمع بين الصفات التي تميز رجل السياسة ، وبين التبحر في العلم والمعارف الذي يتميز به رجال الأدب . هذا إلى أنه قد أصابه حادث رفع من قدره في نظرنا ؛ ففي اللحظة التي أوشك فيها على الوصول إلى خاتمة حياته العملية ، والتي كان يبدو فيها أن خدماته الطويلة ومؤلفاته العلمية قد ضمنت له شيخوخة كريمة ، واحتراماً من قبل الامبراطورية بأسرها ، حيكّت حوله مؤامرة من مؤامرات القصور ؛ فهوت به من قمة عظمته ، وطاحت برأسه تحت آلة كان ينبغي ألا تصيب غير الجناة .

أليس إذن من العدل أن يندق عليه من آيات التقدير ما يعوضه بطريقة ما عن جحود معاصريه ؟ لذلك رأيت من واجبي أن أخصص بعض الصفحات لجمع الظروف الرئيسية التي أحاطت بحياته السياسية والأدبية ، وأردت أن أعبر بهذا القدر الضئيل من التقدير عن عرفاني بالجميل لذكرى كاتب لا يعرفه إلا القليلون ؛ وقد اغترفت من كتبه معلومات كثيرة أفادتني في غالب الأحيان . ولما كان هذا الفصل على جانب من الطول فقد قسمته إلى قسمين ، سأعمل في القسم الأول على رسم صورة لرشيد الدين باعتباره من رجال السياسة ، وعلى أن أتبع أطوار حياته السياسية ، وسأتبع ذلك بملحق يحتوي على كل ما أمكنتني جمعه عن حياة أولاده . أما القسم الثاني فينتطوي على بعض التفاصيل المسببة عن إنتاجه الأدبي .

القسم الأول

ولد فضل الله رشيد أو رشيد الدين بن عماد الدولة أبي الخير وحفيد موفق الدولة على في مدينة همدان التي كانت في القديم تعرف باسم « إكباتان » . وأعرف أن حاجي خليفة^(١) ، وهو يستعرض مشاهير الرجال الذين كانت « تبريز » موطناً لهم قد جعل من بينهم رشيد الدين وابنه غياث الدين ، فلم يقطن الجغرافي التركي إلى هذه الحقيقة التي نقلها عن كاتب أقدم منه بكثير ، ولكن تكفي كلمة واحدة لتفنيد هذه الدعوى ، وذلك أن مؤلفنا يذكر على رأس كل كتاب من كتبه نسبة « الهمداني »^(٢) على أنها لقب له ، ولا ينسب لنفسه لقب التبريزي في أى مكان . وأنا أعرف جيداً أن هذه الحجة قد لا تكون وحدها دليلاً قاطعاً ؛ إذ كثيراً ما يحدث لدى الشرقيين ، الأندلسية المنتهية بباء النسبة والتي تضاف إلى اسم أحد الأشخاص ، على أنه من مواليد المدينة التي اشتقت هذه النسبة منها . ومن هذا القبيل أن المؤرخ الشهير عبد الرزاق يحمل لقب السمرقندي في كل مكان ، مع أنه لم يولد في سمرقند ، كما أخبرنا هو نفسه بذلك ، ولكنه قضى فيها شطراً من حياته . غير أن هذه

(١) جهان نما ، طبع القسطنطينية ، ص ٣٨٢ .

(٢) ينص دولت شاه « تذكرة الشعراء » مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٢ وجه ، على أن أصل مؤلفنا من همدان « در أصل همدانست » ، ويضيف إلى ذلك قوله : إنه لا يوجد أى شيء يدل على أن هذا الكاتب قد وُلد في مدينة أخرى من مدن فارس - (طبعت تذكرة الشعراء بعد ذلك) .

الحالة وبعض الحالات الأخرى التي نستطيع ذكر الكثير من أمثلتها لا يمكن فيما يبدو لى ، أن تكون مقياساً للحالة الخاصة بكاتبنا . كما أننا لا نراه ، يدعى فى أى موضع من كتبه ، أنه أقام فى همدان التي كانت من مدن الدرجة الثانية ، والواقع أنه لو كان قد أقام فعلاً فى تبريز لكان من العسير ألا يفخر بنسبته إليها ، ولا سيما أنها كانت تعتبر فى عهد قازان خان عاصمة الامبراطورية المغولية فى فارس ، وأن منصب الوزارة قد قضى عليه أن يعيش فيها سنين طويلة . فلو كانت هناك أسباب خاصة دفعته إلى الانتساب إلى همدان أصلاً لكان فى وسعه - كما يفعل الكثير من كتاب الشرق - أن يضيف إلى اسمه لقبين يدل بأحدهما على المدينة التي ولد فيها وبالثانى على المدينة التي جعلها مقره المعتاد . هذا إلى أنه من السهل أن نستشف السبب الذى أدى إلى ذلك الخلط الذى نشير إليه : ذلك أنه لما كان رشيد الدين قد قضى جزءاً من حياته فى مدينة تبريز ، وكان يبدى نحوها عطفاً ملحوظاً ، كما زين أرجاءها بكثير من العائز الفخمة ، فقد جرى الجغرافى التركى ذلك المصدر القديم الذى اعتمد عليه دون تمحيص ، واستنبط خطأ أن ذلك التفضيل لم يدلن إلا نتيجة للتلحق الذى يشعر به كل إنسان نحو المكان الذى شهد ميلاده . ولكن إذا اعتبرنا أن تبريز كانت فى هذه الفترة ، كما قلنا ، عاصمة الامبراطورية المغولية فى فارس وأن قازان خان ، ولى نعمته كاتبنا ، كان شديد الحرص على تجميلها بالعائز الفخمة والضواحي الرحبة ، وأنه شيد فيها الضريح الذى أعده لاستقبال رفاته بعد مماته ، فإننا ندرك بسهولة أن رشيد الدين المغمم بالإجلال لذكرى مليكه

اللامع الذى أعقدق عليه كل آيات العطف والتقدير ، أراد أن يحتذى مثال سيده فى تجميل هذه العاصمة وأقام فيها ، هو الآخر ، ذلك الضريح الفخم الذى أعدده ليكون مقراً لجثمانه بعد موته .

ويزعم أبو الغازى بهادر^(١) أن رشيد الدين ولد فى قزوين ، ولكنه زعم لا يستحق المناقشة .

ويرد ذكر رشيد الدين^(٢) فى كتاب تاريخ « خطاى » المنسوب للبليضاوى ، والذى نشره أندريه ملر Anpré Muller ، حيث نرى مترجمه إلى اللاتينية يترجم إحدى الفقرات الفارسية^(٣) على نحو لوتناولناه بشيء من التصحيح الطفيف ، أمكننا ترجمتها هكذا : « يذكر رشيد الدين ، رواية عن بولاد تشنج سانج Poulap Tohing-sang وهذا الأخير ، كما سنرى فيما بعد ، كان شخصية عظيمة الأهمية ، وقد استقى منه مؤلفنا أقوم التفسيرات التى استغلها فى تأليف كتبه » .

لم أجد لدى أحد من المؤلفين الذين رجعت إليهم أية إشارة عن السنة التى ولد فيها رشيد الدين . ولكن يمكننا أن نحدد هذه الفترة بشيء من الدقة . فإن الصقاعى الذى أكل « وفيات الأعيان لابن خلكان^(٤) »

(١) تاريخ التتار العام ص ٧٧

(٢) تاريخ « خطاى » Hist. Chataica ، النص الفارسى ، ص ٩

(٣) الترجمة اللاتينية ص ١٢

(٤) المخطوطة العربية رقم ٧٣٢ ، ورقة ٨٤ ظهر . (وهو فضل الله بن أبي الفخر الصقاعى النصرانى الكاتب المتوفى سنة ١٣٢٥/٧٢٦ - ٢٦ . والمخطوطة هى « تالى الوفيات » انظر : « المؤرخون الدمشقيون » للدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة . ١٩٥٦ .

يذكر أن رشيد الدين قدمات في سن الثمانين . ونحن نعرف على وجه التحقيق أنه مات سنة ٧١٨ هجرية (١٣١٨ ميلادية) . فإذا صح ما ذكره الصقاعي ، استطعنا أن نجعل ميلاده في سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) غير أن دعوى الصقاعي لا أساس لها من الدقة رغم استناده على أبي المحاسن ^(١) ؛ إذ أن رشيد الدين نفسه ^(٢) يحدثنا أنه كان سنة ٧٠٥ في حوالى الستين من عمره . وهذه شهادة وثيقة ، إذ من العسير أن يتصدى شئ لتجريحها . وإذن فيمكننا أن نستنبط منها أنه ولد سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) .

يقرر الصقاعي ^(٣) أن رشيد الدين كان يهودى الأصل والدين . ولو لم يكن لهذه الدعوى من شاهد غير الصقاعي ، وهو جامع سطحي غير محقق . لما احتاجت منا إلى اهتمام يذكر ، ولكن رشيد الدين نفسه يصرح بأن أعداءه قد وجهوا إليه هذه التهمة بقصد تسوى سمعته في نظر المسلمين ^(٤) ، وأنهم راحوا ينشرونها ويحيطونها بكل ضروب الزخرف التي من شأنها أن تبهر الجماهير . ولو لم يكن من العبث التمدادى في البحث عن الأسباب التي أدت إلى هذه الوشاية ، لرجحنا أن من بين الحجج التي انتحلها حاسدو رشيد الدين ، دراسته الخاصة لعادات اليهود وتقاليدهم التي تدل على معرفته التامة بها . هذا إلى أنه يبدو لى من المستحيل القول بأن

(١) المنهل الصاقى ، مجلد ٤ ورقة ٨٤ ظهر ، مخطوطة عربية رقم ٧٥٠

(٢) مجموعة رشيد ، مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٢ وجه .

(٣) مخطوطة عربية رقم ٧٣٢ ، ورقة ٨٣ وجه .

(٤) مخطوطة رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٢٠ .

رشيد الدين كان يدين باليهودية أو حتى بأنه كان يهوديا اعتنق دين الإسلام -
ويمكننا أن نقول نفس الشيء عن أبيه وعن جده ، لأنه يحرص على إعطائهما
ألقابا لا تليق إلا بأشخاص مسلمين^(١) . كما أنه ، هو نفسه ، يشهد شهادة
قاطعة على شدة تمسك أبيه بالدين ، حين يتكلم عنه في هذه العبارات^(٢) « من
الحق المعروف لجميع ذوى المقام الذين يعتبرون في أيامنا هذه من عمد الدين
والدولة أن شهرة أبي ترجع أولا وقبل كل شيء إلى طهارته أخلاقه وشدة
تمسكه بإسلامه . فقد ظل السنين الطوال يتردد على مجالس العلماء ويختلط
بالشيوخ والنسك وأشد الناس تمسكا بدينهم ، وقد استمد منهم كثيرا من
المعارف المفيدة » .

كذلك لا يمكن لثمة اليهودية أن تصدق بالنسبة لجد مؤرخنا ، تشهد
بذلك هذه الفقرة التي نجدها في تاريخ ميرخوند^(٣) حينما استولى هولاء كو
على قلعة الموت ، حصن الإسماعيلين الرئيسى ، ورأى هناك ثلاثة من عظماء
الرجال ، وهم ناصر الدين محمد الطوسى ورئيس الدولة وموفق الدولة الهمداني
الذين كانوا يقيمون في هذا المكان بطبيعة الحال ؛ ولما اقتنع الأمير أن هؤلاء
الرجال الأجلاء لا ينفكون عن إظهار توأياهم السلمية ، أمر بإخراجهم من
القلعة هم وجميع الأشخاص المتصلين بهم ، ثم ألحقهم بخدمته . « وليس موفق

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١ .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ١١٩ وجه

(٣) مخطوطة أتر Otter رقم ١١٥ ، الجزء الرابع ، ورقة ٥٩ وجه .

(يشير إلى كتاب روضة الصفا ، وهو مطبوع الآن) .

الدولة هذا إلا جرد مؤرخنا لأبيه . وأعتقد أننا لا نخطئ حين نستنبط أن صديق ناصر الدين الطوسي ، والشخص الذي شاطره ثقة هولاء كو وتقديره ، لم يكن يهوديا ، بل كان مسلما صادقا في إسلامه متحمسا له .

ولكن هل كان أسلاف رشيد الدين من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام؟ هذا ما يبدو لنا من المستحيل أن تقطع فيه برأى : ولكنه لا يبدو لنا بعيدا عن الاحتمال كل البعد . هذا إلى أن ذلك الأصل اليهودي قد يفسر لنا تفسيراً مقبولا عناية مؤلفنا البارزة بتقصي عادات اليهود ومعرفتها ؛ لأن هذا النوع من الاستطلاع نادر الوجود لدى كتاب المسلمين الذين كانوا يظهرن دائما نحو الأجانب بوجه عام ، واليهود بوجه خاص ، نوعا من ازدراء المتعالى ، ويضنون بوقتهم الثمين على إنفاقه دراسة الأخلاق والطقوس الخاصة بشعوب يعتبرونها من أهل الكفر^(١) . ومهما يكن من شيء ، فإننا نعلم من رشيد الدين نفسه^(٢) أنه كان شديد التأثر بفضائل أبيه ، فأظهر منذ طفولته تمسكا شديداً بالدين ، وعكف على التفكير في قواعد الدين الإسلامى وتطبيق قوانينه في حياته العملية . وكان شديد التطلع إلى كشف غوامض القرآن^(٣)

(١) لا ينبغي أن يؤخذ هذا الذى أقوله على إطلاقه ، فقد كان بعض الكتاب المسلمين كالسعودى وابن خلدون على علم تام بكل ما يتعلق باليهود « وهناك مؤلف مشهود له أيضا بالدقة والزاهة ، وهو البيرونى الذى نراه يتكلم عن اليهود فى مؤلفه المسمى « كتاب الآثار (مخطوطة عربية فى مكتبة الأرسنال رقم ١٧ ، ورقة ١٧ ظهر) ليس فقط باعتباره رجلا درس النظم العبرية ، بل كان كثيرا ما يذكر بعض النصوص العبرية مرسومة بالأحرف العربية . (يقصد كتاب الآثار الباقية من القرون الحالية ، وهو مطبوع)

(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ وجه

(٣) المرجع السابق ورقة ٥٤ وجه و ١١٩ ظهر .

والنفاذ إلى ماتكنه آياته من الأسرار والمعاني العميقة ، فراح يتردد على مجامع العلماء وينصت إلى تعاليمهم بشغف منقطع النظيرة ويضيف ما يغترفه من أنوارهم إلى ما يصل إليه بتأملاته الشخصية . وفي ذلك يقول : على هذا النحو كنت أستغل أوقات فراغي ، وذلك لأني ألحقت بقصر السلاطين منذ شبابي الغض وشغلت بدقائق الإدارة ، وما فتئت الأعمال والرحلات تجرفني في غمرتها ، فلم يتوفر لي من الوقت ما يسمح لي بقراءة الكتب التي كان من شأنها أن تزودني بتعليم متين ، وتمدني بمعارف شتى في مختلف فروع العلوم والآداب . وهكذا كان علي أن أقنع بالبقاء غارقا في جهل الأول . « وينبغي لنا ألا نفهم هذا اللوم الذي يوجهه مؤلفنا إلى نفسه فهما حرفيا ، لأننا سنرى فيما بعد أنه لم يكن جاهلا بأية حال ، بل وسنلاحظ أنه كان يتحلى بالكثير من المعارف العميقة المتنوعة على السواء . ولعل هذا الحكم القاسي الذي يصدره على نفسه ليس ، في حقيقة الأمر ، إلا طريقة مستوزدة للإعلاء من قدر نفسه ، وما يرجح صدق هذا الظن أن مؤرخنا كثيرا ما يكرر ، في نوع من التظاهر ، أنه لما لم يستطع قراءة المؤلفات التي كتبها المؤلفون من قبله في تفسير القرآن ، فإنه لم يأخذ منها شيئا ، وأن كل ما قاله في هذا الموضوع من ثمرات تفكيره الشخصي ^(١) .

كان رشيد الدين يحترف الطب . ولعل مهارته في هذا العلم هي التي مهدت له السبيل إلى قصر سلاطين فارس المغوليين ، وكسبت له ودهم . ونحن نعلم

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ ، ١٦٧ الخ .

منه أنه قضى جزءاً من حياته في خدمة خان أباقا وخلفائه ، وأنهم كانوا جميعاً يعاملونه بإجلال ^(١) ملحوظ . ولكن لا يبدو أنه شغل وظائف هامة قبل عهد غازان خان الذي جلس على العرش سنة ٦٩٤ من الهجرة (١٢٩٥ م) . فهذا الأمير الذي كان يعرف كيف يقدر ذوى الكفاءة ويجمع إلى الصفات العالية التي تميز العاهل كثيراً من المعارف الواسعة في العلوم والآداب ، لم يلبث أن قدر رشيد الدين ، فجعله موضع ثقته ، وكثيراً ما كان يتناقش معه ، وبوجه خاص حول الدين الإسلامى والتفسير الصوفى لآيات القرآن ^(٢) . وبعد قليل أراد أن يقدم له دليلاً قاطعاً على الثقة التي شرفه بها ، وأن يكافئه على خدماته بأجلى الصور ، فرفعه إلى المنصب الأول فى الامبراطورية ، واختاره وزيراً له . وقد ولى رشيد الدين هذا المنصب بعد نكبة الوزير صدر الدين الزنجانى المسمى صدرجهان . وتكفى هذه القصة التى سأقصها ، رواية عن مؤلفنا نفسه ، للدلالة على عظيم التقدير الذى كان يتمتع به لدى غازان ^(٣) .

ظل رشيد الدين زمناً طويلاً ، على صداقة متينة بصدر الدين ، فعمل بعض أعضاء المجلس الذين أثارت هذه الصلة حسدهم ، على فضيها بكل جهدهم

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢١٠ وجه .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٢٥ ظهر ، ومخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٨٥ ظهر ووجه .

(٣) جامع التواريخ ، مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٦٩ ظهر ووجه ، ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٠٣ ظهر ، خوندмир (حبيب السير وهو مطبوع الآن) ، مجلد ٣ ورقة ٤٩ ظهر .

فبدءوا بالسعاية لدى رشيد الدين بكل أنواع النيمة ، لكي يوغروا صدره على صديقه . ولما تيقنوا أنهم لن ينجحوا في مساعهم ، حولوا جهودهم شطر صدر الدين ، واستطاعوا بفضل أكاذيبهم أن يوحوا إليه بما أرادوا . ويبدو أن رشيد الدين لم يلاحظ التغير الذى طرأ على صدر الدين بالنسبة إليه ، حتى كان شهر جمادى من سنة ٦٩٧ حيث ذهب الوزير إلى غازان وقدم إليه اتهاما رسميا عند رشيد الدين . وحاول هذا الأخير أن يتكلم مدافعا عن نفسه ، ولكن غازان بين لصدر الدين مبلغ الجرم الذى ارتكبه باتهام رجل لم يستعمل إزاءه مثل هذه الوسيلة قط ؛ ثم قال لرشيد الدين « لاندس لسانك بالرد على هذه المقتريات ، وداوم على اتباع نفس المسلك الذى سلكته حتى هذه الساعة » .

وحينئذ اعترف صدر الدين ببراءة صديقه القديم ، واشتد غضبه على أولئك الذين رموه بالأكاذيب . ولكن اتفق أن قام قطب الدين ومعين الدين وبعض الأمراء الآخرين باتهام صدر الدين لدى السلطان بالاختلاس . فاعتقد صدر الدين أن هؤلاء لم يقوموا باتهامه إلا بأمر رشيد الدين وإغرائه ، وتحين الفرصة للانتقام منه . وفى شهر رجب من السنة نفسها ، كان السلطان قد نقل قصره إلى المكان المسمى « دلان ناؤر » على الضفة الأخرى من نهر كور (قورش) . وحدث أنب كان الأمير كتلكشاه عائدا من جرجستان (جورجيا) ، فاشتبك مع صدر الدين فى نقاش حاد حول دخل هذا الإقليم . فأحرق الوزير من هذا التأنيب وسعى فى الإساءة إلى الأمير لدى السلطان ،

إذ أخبره أن سوء سلوك الضباط الذين تحت إمرة كتلكشاه قد جر الخراب على جرجستان . فأنار هذا الأمر غضب السلطان إلى حد أنه لم يدع فرصة تمر دون أن يظهر فيها للأمير سخطه عليه ورأى كتلكشاه أن يقابل صدر الدين ويسأله عن وشى به لدى السلطان ، وأوغر صدره عليه إلى هذا الحد وأجابه صدر الدين بأن الطيب رشيد الدين هو الذى فعل ذلك . وكان كتلكشاه خارجا من لدى السلطان يوم النوروز (أى رأس السنة) ، والتقى برشيد الدين مصادفة ، فاستوقفه وقال له : « لقد عشنا دائما معا على أحسن حال من المودة ، ولم يحدث بيننا ما يمكن أن يغضب أحدا منا ضد الآخر ؛ فلماذا ، إذن ، سعيت إلى هلاك لدى السلطان ؟ » وأجابه رشيد الدين بأنه لم ير منه قط ما يمكن أن يكون موصفا للشكوى ، وأنه لذلك لم يفكر مطلقا فى اتهامه أمام السلطان ؛ ثم أضاف قائلًا : « لا بد أن تقول لى من الذى أبلغك هذا الخبر . وإلا أبلغت السلطان » . ولما لم يرد كتلكشاه أن يعترف له بشيء ذهب إلى غازان خان وأبلغه بما حدث . فاستدعى السلطان الأمير ، وأزمه صراحة أن يكشف له عن سمع منه ذلك النبا . واعترف كتلكشاه بأنه لم يقل إلا ماسمعه من صدر الدين . وحينئذ احتدم غضب السلطان وصاح قائلًا : « لقد عملت كل ما فى وسعى لأعلم هذا الرجل التزام السكينة والكف عن السعاية ، ولكنه غير قابل للإصلاح . وكان من جراء هذا الحادث أن تارت نائرة السلطان على صدر الدين ، وكان غير مستريح له من قبل . فأحاله

إلى المحاكمة أمام مجلس قضا عليه بالإعدام. وقسمت أعمال الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين^(١). وقد تم هذا الاختيار في غضون سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧-٩٨) كما ورد في « تاريخ كزیده » (التاريخ المختار^(٢)). ولكن يبدو أن « تاريخ وصاف^(٣) » يجعل وقوع هذا الحادث في سنة ٦٩٩، وتبع ميرخوند هذا الرأي؛ ولكن سلسلة الحوادث التي يوردها المؤلف، لاتدع مجالاً للشك في أن ذلك يرجع إلى خطأ في النسخ، وأنه يتحتم علينا قراءة ٦٩٧ بدلا من ٦٩٩.

في سنة ٦٩٩^(٤) (١٢٩٩-١٣٠٠) سار غازان خان على رأس حملة حربية إلى الشام، واستولى على دمشق، مما أدى إلى انتشار المول حولها ومهاجرتهم الأماكن المجاورة لها وارتكابهم شتى الفظائع، جريا على عادتهم. فحاول الشيخ تقي الدين بن تيمية أن يصل إلى السلطان ويتوسط لديه في أن يأمر بالكف عن هذه الكبائر. ولما لم يستطع المثل أمام السلطان بسبب انحراف صحته في ذلك الحين، توجه بطلبه إلى الوزيرين سعد الدين ورشيد الدين اللذين صرفاه بالحسنى دون أن يعطياه جوابا شافيا. وكان بعض الأمراء الآخرين الذين بدأ بتوجيه طلبه إليهم قد أخبروه أنه إذا أحاط علم السلطان

(١) تاريخ الهون Histoire des Huns، مجلد ٤، ص ٢٧١.
(٢) مخطوطة بروي رقم ٩، ورقة ١٩٨ ظهر. (وهو مطبوع الآن، مؤلفه حمد الله مستوفى القزويني)
(٣) المخطوطة فارسية بالمشكبة، ورقة ٢٦٠ ظهر.
(٤) تاريخ مصر Histoire d' Egypte، مخطوطة الأستاذ مارسل، ورقة ٧٣ وجه.

بالفظائع التي يرتكبها المغول، عاقبتهم السلطان بكل ضرامة، وأن هذا العقاب لا بد أن يمر على سكان دمشق أبشع أنواع الانتقام. وفي السنة التالية^(١) ٧٠٠هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١) دبرت دسيسة من دسائس القصر ضد الوزيرين. وذلك أن بغض الأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب هامة، زعموا أنه أسئء إليهم، أو سولت لهم أو هافهم وعجزهم أن في استطاعتهم الوصول إلى مناصب أسمى من مناصبهم فحشدوا أحقادهم وحيلهم للإيقاع بالشخصيتين اللتين رأوا في وجودها عقبة في سبيل تحقيق آمالهم واستطاع أحدهم، واسمه قطب الدين، أن ينجح في المنول أمام السلطان، وأبدى له من مظاهر الحماض والبراهة أسماها. وأشدّها تأثيراً في النفوس، ثم عرض عليه أن يكشف له باسمه واسم زملائه عن اختلاساته الوريرين وسوء اعتدالهم للأموال الدولة. ولكن غازان بخان ذا ذهن المستنير لم يكن لينخدع بسهولة بتلك الخطب المصطنعة، فلم يلبث أن فطن إلى أن الحسند والطمع هما الباعثان الخفيضان اللذين أمليا هذا الاتهام. وبدلاً من أن يعير تلك الأكاذيب أذنا مضغية، أسلم الخبايا لانتقام القانون من خباياكم على اثنين منهم بالإعدام، ولم يستطع محمود الذي يشغل منصب شيخ المشايخ، أن ينجو بحياته إلا بفضل شفاعته بولوجان زوجة غازان المفضلة، وإن كان السلطان لم يستجب لهذه الشفاعته إلا بتلك الشرط الصريح، وهو ألا يعود محمود إلى الظهور في القصر بأية حال.

(١) تاريخ وصاف، ورقة ٣٢٤ ظهر ووجه، ورقة ٣٢٥ (مطبوع الآن) ١٩٠٤

وفي سنة ٧٠٢ / ١٣٠٢ - ١٣٠٣^(١) لما قدم قازان خان لحصار مدينة الرحبة الواقعة على شاطئ الفرات ، بحيه رشيد الدين في هذه الحملة لكي يترجم أوامره ورسائله إلى اللغة العربية . ولم يكتب السلطان بأن يمدد بجميع المال اللازم لنفقات رحلته من جيبه الخاص ، بل أيضاً منحة بغلة من بغال اضطلباته . كما أنه لم يترك مناسبة من المناسبات إلا أبدى له فيها آيات تقديره وإجلاله على رموس الأئمة . هذا إلى أنه أمر رشيد الدين أن يكتب باسمه خطاباً بالعربية ينذر فيه المحاصرين بالتسليم ، وألا يعرضوا أمتهم للخطر بدفاع غير مجد . فأحدث الخطاب أثره ، واستولى غازان خان على المنكان دون قتال .

وفي أثناء وجود القصر المغولي في مدينة عانة ، على شاطئ الفرات ، سحنت لرشيد الدين الفرصة لكي يعرف ويقدر أحد منافسيه في الميدان الأدبي . فقد ألف كاتب فارسي اسمه عبد الله بن فضل الله كتاباً في تاريخ الامبراطورية المغولية أسماه « تاريخ وصاف » ويحظى هذا الكتاب في الشرق بأسمى مكان لأن المؤلف خشاه بوهج براق من الاستغارات الجريئة والمتنافرة في بعض الأحيان ، ومن ضروب الجناس العربية وجميع أنواع المحسنات اللفظية المميزة لذلك الأسلوب الطنان الذي يعتبر مثال البلاغة العليا

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٧٨ ظهر ، وقد طبع في بمباي .

في نظر القراء الآسيويين^(١). ولما أتم المؤلف جزءاً من كتابه ، أراد أن يهديه إلى غازان خان . فاستقبله العاهل في يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب سنة ٧٠٢ ، حيث قدم له كتابه . وقابله الوزيران رشيد الدين وسعد الدين بحفاوة بالغة ، وأغدقا عليه آيات الثناء ، وأكدوا له أنه يحظى منهما بأسمى إجلال وتقدير . وأخذ السلطان ، بدوره ، يتصفح الكتاب ويوجه إلى المؤلف أسئلة عديدة عن شتى الحوادث التي انطوى عليها هذا التاريخ . وأمر أن يكسى بغطاء من نسيج الذهب .

ولما كان السلطان قد شيد في مدينة تبريز بعض العمار الفاخرة ، ووقف على صيانتها جبوساً عقارية هائلة ، فقد عهد إلى رشيد الدين في حجة صحيحة بإدارة هذه المؤسسة الفخمة والتصرف في غلاتها^(٢) .

وبعد موت غازان خان ، جلس أخوه ألبايتو على عرشه ، فأبقى رشيد الدين في منصب الوزارة بالاشتراك مع سعد الدين^(٣) . واحتفظ رشيد الدين لدى السلطان الجديد بنفس المكانة التي كانت له لدى سالفه . وقد تلقى برهاناً قاطعاً على ذلك ، لأنه لما اتخذ ألبايتو^(٤) كتلكشاه زوجة له ، اختار رشيد الدين لحضور حفلة الزواج باعتباره وكيلاً للأمة .

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ، ورقة ٣١١ ظهر :

(٢) تاريخ و صاف ، المخطوطة الفارسية بالمكتبة الملكية ، ورقة ٢٩٣ وجه .

(٣) ذيل جامع التواريخ مخطوطة فارسية رقم ١١٦٨ ورقة ٤٥٢ ظهر . (يقصد ذيل

جامع التواريخ لمافظ ابرو ، وهو مطبوع)

(٤) المرجع السابق ، وجه .

ويجدر بي هنا ألا أغفل ذكر حادثة خاصة أوردها مؤلفنا^(١) . فقد كان السلطان ، حتى جلوسه على العرش ، يحمل اسم « خدا بنده » أى عبد الله . وحين تتويجه ، اقترح عليه الأمراء أن يتخذ لقب ألبايتو ، ومعناه فى اللغة المغولية « مبارك » . وكان رشيد الدين الذى كان قد انتهى من تحرير مديح للسلطان ، قد خطرت له نفس هذه الفكرة بخصوص اسم البايتو دون أن يكون قد اتصل بالأمراء . فلم ير بأسا من إعلان هذه الملاحظة . ولكيلا يظن أنه قد ادعى لنفسه هذا الأمر بعد وقوعه ، أمر بإحضار مسودة المديح التى كانت تحت يدى أحد كتابه ، وبين بطريقة لا تقبل الجدل حقيقة هذه المصادفة الفريدة .

وكذلك كان قد عهد إلى مؤلفنا بتربية إحدى بنات السلطان ، ولكن هذه الطفلة ماتت فى سن مبكرة^(٢) .

ولما أنشأ ألبايتو مدينة السلطانية^(٣) ، أقام فيها رشيد الدين ضاحية تضم حوالى ألف بيت . وكان من بين عمائرها مسجد فخم ، تحليه منارتان عظيمتان ، ويتهى بمقصورة تشرف عليه . وكان فيها أيضا مدرسة ومستشفى وزاوية . وقد خصصت مبالغ ضخمة لدفع رواتب المدرسين والتلاميذ والأطباء . ونرى المؤلف الذى أكل تاريخ رشيد الدين والذى عاش فى عهد شاه رخ يذكر

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢٠٨ وجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٥٠ ظهر .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٤٥٣ ، ظهر ، وانظر أيضا ميرخوند ، جزء ٥ ، مخطوطة أوتر الفارسية

صراحة أن جزءاً من هذه العاكر كان لا يزال قائماً في الوقت الذي كتب فيه كتابه .

وفي شهر رمضان^(١) من سنة ٧٠٥ / ١٣٠٦ رغب نجيب الدولة وبعض الأطباء اليهود في اعتناق الدين الإسلامي . فاقترح رشيد الدين على السلطان وسيلة أكيدة للتحقق مما إذا كان هؤلاء اليهود الذين يطلبون اعتناق الدين الإسلامي يفعلون ذلك عن عقيدة أم نفاقاً . وكان هذا الاختبار ينحصر في أن يقدم لهم شيء من لحم الإبل المغلى في لبن رائب . وعلل ذلك بأن القانون الموسوى يحرم طبخ اللبن مع اللحم ، وأن اليهود يعتبرون لحم الإبل نجساً يحرم عليهم استعماله تحريماً باتاً . فأمر السلطان بإجراء هذا الاختبار على اليهود .

وفي هذا العام نفسه^(٢) وفد على ألبانينو عاهل جيلان ليلتمس منه الرحمة ، فتوسط رشيد الدين في مصلحته بكل قوة ، وحازت وساطته النجاح المأمول منها .

وفي السنة التالية^(٣) ، صمم ألبانينو على محاربة إقليم جيلان . وبعد أن أصدر الأوامر الخاصة بمسير الجنود ، ذهب إلى المكان المسمى قنقر أولنج^(٤) حيث ترك زوجته وحاشيته . واتفق أن كانت السلطانة المفضلة الدرزمش

(١) مخطوطة فارسية ، رقم ١٦٨ ورقة ٤٥٣ اوجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ورقة ٤٥٦ وجه .

(٣) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ، رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢١٠ وجه ، ومخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٨٤ ظهر .

(٤) اسم «قنقر أولنجك» معناه لدى المغول الأرض التي بنيت عليها السلطانية ، ميرخوند ، جزء ٥ ورقة ٦٨ ظهر و ٨٩ وجه ، مخطوطة فارسية ١٦٨ ، ورقة ٤٥٣ وجه

مریضة فی ذلك الحین ، فأصدر السلطان أمره إلى رشید الدین أن یتقی بجانبها حتى یتیم لها الشفاء ، وأن یعمل کل ما فی وسعه ، بعد ذلك ، لكي یلحق بالجیش .

وفی هذه الأثناء حدث حادث غیر متوقع أوشك أن یغمر الأسرة المالكة فی الحزن ، وذلك أن طیفور بن الجایتو الذی كان لا يزال حدثاً . كاد یلقى حتفه بصورة ألیمة . وهذه هی قصة الحادثة كما رواها لألجایتو بعض الأشخاص الملحقین بمخدمته فی حضور النویان الأكبر ، بولاد آغا ، ورشید الدین وبعض الأمراء الآخرين : فی اللیلة السابقة وضعت شمعة موقدة فی المكان الذی كان یسکر فیهِ طیفور بجانب خیمته . ومن الراجح أن یكون أحد النائمین فی هذا المكان قد دفع الشعلة بقدمه فسقطت علی الخیمة التی شبت فیها النار فوراً .

وحدث أن استیظ أحد الحراس بطریق المصادفة ، ولمح النار ، فألقى بنفسه فی وسطها . ولكن النار كانت قد سدت باب الخیمة ، وحالت شدة اللهب دون الوصول إلى داخلها لانتشال المهد الذی ینام فیهِ الأمير الصغیر . ومن جهة أخرى لم یکن فی الوقت فسحة لاستدعاء أى أحد . فاجتذب الحراس الخیمة المشتعلة نحوه وضغطها بین ذراعیه ضغطاً أدى إلى احتراق جزء کبیر من جسمه .

وفی هذه الأثناء استیظ أحد زملائه ، وهرع إلى مساعدته ، ونجحاً بمجهودهما مجتمعین فی إطفاء الحریق . ولو كان الأمر قد تأخر لحظة واحدة لأصبحت الخیمة كومة من الرماد بكل ما تحتوی علیه ، و یجمع الأشخاص الذین حبستهم فیها النار . وأسرع رشید الدین والأمراء الآخرون إلى السلطنة الذرمش یتلغونها

الخبر فابتهجت لنجاة الأمير الصغير من خطر محقق ، وحمدت الله كثيرا
وأمرت بتوزيع صدقات جزيلة على الفقراء .

وفي أثناء الحملة على جيلان حدث في نفس الوزير رشيد الدين شيء من
الأمير مظفر الدين سعيد ، ولكن مندوب الوزير توسط في الأمر ونجح في
إصلاح ما بينهما^(١) .

وفي شهر جمادى الثانية من سنة ٧٠٧ /^(٢) ١٣٠٧ - ١٣٠٨ وصل إلى
بغداد رسول يحمل أسرا بأن يرسل إلى القصر كل من الشيخ شهاب الدين
السهروردى وجمال الدين العاقولى الذى اشتهر في المدينة كلها بمفقهه ، كما كان
أستاذا لفقهاء الشافعية في مدرسة المستنصر . وكان كلا الرجلين قد وشى بهما لدى
السلطان ، حيث اتبهما بالتواطؤ مع المصريين وإخبارهم بكل ما يحدث في
الإمبراطورية المغولية . فلما وصلا إلى القصر ، أعلن رشيد الدين أنه حاميهما ،
وبذل كل ما في وسعه لإظهار براءتهما . وبفضله رجع المتهمان إلى موطنهما بعد
أن قضى لهما بالبراءة . وليس من الغريب أن يكون رشيد الدين قد بذل أقصى
مجهود للنجاح في هذه القصة . فإنه فضلا عن رغبته في منع حكم جائر ، وانتشال
مسامين شهيرين من براثن أعدائهما ، كان مدفوعا إلى الدفاع عنهما بعامل
خاص آخر: فقد رأينا أن أحد هذين المتهمين كان أستاذا لفقهاء الشافعية . وكان
رشيد الدين من أنصار هذا المذهب^(٣) ، فلم يكن في وسعه إلا أن يظهر أشد

(١) تاريخ كزنده ، مخطوطة بروي Bruix ، رقم ٩ ، ورقة ٢٠٧ ظهر ، وقد طبع
هذا الكتاب

(٢) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٦٧ وجه .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٦٨ وجه .

العطف على أولئك الذين يشاركونه في طريقة تفكيره. ولذلك كان يبذل كل جهده في حماية أئمة الشافعية ورؤسائهم ، ويسعى بكل قلبه لصحبتهم والحديث معهم . ولكنه بالرغم من استهجانهم لمزاعم أنصار أبي حنيفة المسرفة ، وبعدهم عن التسامح ، لم يكن يجرؤ على التصريح بازوراره منهم ، إذ أن ألبجايتو كان قد اعتنق هذا المذهب منذ اعتناقه الإسلام ، فلم يكن من المعقول أن ينظر بعين الرضا إلى من ينقد مذهبه في العلانية .

كانت تبريز ، في عهد ملوك المغول في فارس ، من الأماكن التي تقيم فيها الحاشية أغلب الأحيان ^(١) . ولذلك كانت في نماء مستمر ، فقد أحاطها غازان بسور عظيم ، وبنى خارجها مدينة صغيرة ، وأقام فيها عمارة فخمة خصصها لضريحه . وحذا رشيد الدين حذوه ، فأختار مكانا يسمى « وليان كوه » يقع شرق تبريز ، وشيد فيه ضاحية تشبه أن تكون مدينة صغيرة وسماها باسمه « الربع الرشيدى » . وكانت هذه المدينة تضم طائفة من العائز التي تمتاز بانساق وجمال عجيبين حقا ، حتى أن كتاب الشرق لم يترددوا في القول بأن العالم أجمع لا يحتوى على أفخم منها ^(٢) . ومهما يكن في هذا القول من مبالغة ، فإنه ، على الأقل ، يدل بصورة قاطعة على أن رشيد الدين لم يدخر جهدا ولا مالا

(١) جهان نما ، ص ٣٨٠ ، ورشيد الدين ، مخطوطة فارسية رقم ٦٨١ ورقة ٣٦٩ ظهر ، هفت إقليم مخطوطة بروى Bruix ، رقم ١٧ ، ورقة ٣٦٥ ظهر ، ونزهة القلوب ، مخطوطة فارسية رقم ١٢٨ ص ١٠٥ .

(٢) جهان نما ، وانظر أيضا ذيل تاريخ رشيد الدين ، مخطوطة فارسية رقم ٦٨١ ورقة ٤٧٠ وجه ، ودوات شاه ، تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٤٩ ، ورقة ١٠٥ ظهر .

لكي يترك للخلف أثرًا يليق بمقامه . وقد نقشت على بابها هذه العبارة « إن هدم مثل هذا البناء أشق من إقامة بناء آخر أيا كان » . ولم يكتف رشيد الدين بهذا العمل . ذى النفقات الباهظة ، فحرص على توفير الراحة لسكان الحى الجديد ، بأن أمده بالماء من نهر يسمى « بردرود » كان قبل هذه الفترة يجري بجوار تبريز دون جدوى^(١) . ومن أجل هذا الغرض قام فى سنة ١٠٧١ / ١٣١٠-١٣١١ بإنفاق الأموال الطائلة فى إنشاء قناة منقورة فى الصخر تجتاز جبل « سرخاب » ثم تعبر السفوح والوديان حتى تصل إلى الضاحية التى تكلمنا عنها .

إن مثل هذه الأعمال التى لو صدرت عن ملك لكانت من آيات فخره ، لا يكاد يصدقها المرء حين يعرف أنها تمت بأمر فرد من الأفراد وبأمواله . ولكن رشيد الدين قضى خمسين عاماً فى حاشية سلاطين المغول ، واحتل المكان الأول فى الامبراطورية لفترة طويلة ، وحاز رضاء سادته الذين راحوا يقدقون عليه النعم ، كما لو كانوا يتنافسون فى ذلك فيما بينهم ، ولذلك استطاع أن يكون ثروة شاسعة كان يحاول أن ينفقها بلا حساب على مشروعات نافعة ومؤسسات دينية . ويكفى أن نذكر هذه الحادثة العابرة لكي يدرك القارئ مقدار الجود الذى اتصف به الأمراء الذين عمل فى خدمتهم . يحكى مؤلف مسالك الأبصار^(٢) رواية عن الشيخ محمود الإصفهاني أنه لما قدم رشيد الدين

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧٠ ، ظهر ووجه .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ٩٣ وجه ، وقد طبع هذا الكتاب .

أحد كتبه إلى خدائنده أو ألبايتو ، قال له : « لما قدم أرسطو كتاباً من تأليفه إلى الإسكندر ، تلقى منه عطية مقدارها ألف ألف قطعة من الذهب . وإن أميراً في عظمتك ليرى أنه لا يليق بمقامه ألا يضارع الإسكندر في كرمه » .
وأراد السلطان أن يجيب على هذا النوع من التحدى ، وأن يكافئ الوزير بصورة تليق بكليهما ، فأقطعه ضياعاً تبلغ قيمتها ثلاثة أمثال المبلغ المشار إليه ، وكانت كل هذه الضياع في الفترة التي كتب فيها المؤرخ المذكور كتابه ، أي حوالي سنة ٧٣٠/١٣٢٩ - ١٣٣٠ لا تزال في حوزة أولاد رشيد الدين .

هذا وإذا كنت قد ذكرت هنا تلك القصة التي تتعلق بأرسطو والإسكندر ، فإنني لم أرد بأية حال أن أدعى صدقها ، بل إنني أعتقد أنها مزيفة من أساسها ، ولكنني اضطررت إلى ترجمة النص الذي أهاى ترجمة صحيحة .

والذي لاشك فيه أن رشيد الدين تلقى من ألبايتو مبالغ لا تحصى ، بعضها أرض وبعضها عطايا أخرى ، ويشهد هو نفسه بأنه لم يحدث قط أن أظهر ملك نحو أحد رعاياه مثل هذا السخاء الشاسع^(١) . وإذا كان رشيد الدين قد كرس مبالغ طائلة للعائم التي تنسم بسمة الدين والإحسان ، فإنه لم يبد أى تقصير بالنسبة للأعمال الأخرى ذات المنفعة العامة أيضاً ، مادامت تضمن له مجداً خالداً . والواقع أن رشيد الدين قد أنفق ، كما يخبرنا مؤلف « تاريخ

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

وصاف» والمؤرخ^(١) ميرخوند ستين ألف دينار على نسخ كتبه وتجليدها وتزويدها بالصور والخرائط .

وإذا كان مؤلفنا قد عرف كيف يستغل ثروته الطائلة في أنبل الوجود ، فإنه أيضاً كان شديد العناية بتحقيق الالتزامات التي يقرضها عليه منصبه ، ولم يحاول قط أن يسيء استغلال المكانة التي كان يتمتع بها لدى ملوكه . وهو نفسه يشهد لنفسه بأنه دأب طوال الوقت الذي قضاه في القصر على خيانة ذوى الفضل ، ومنع الظلم ، والدفاع عن الضعفاء والمضطهدين^(٢) . لذلك نرى الكتاب الشرقيين الذين سنحت لهم فرصة الكلام عن رشيد الدين يكيلون له أطيب الثناء ، ويجمعون على أنه كان وزيراً كفواً يجمع بين معارف أرسطو وحكمة أفلاطون^(٣) . وقد أضفوا عليه كل صفات المدح والتفخيم التي لا بد أن يكون مبعثها إما الملق وإما الرغبة في إنصاف أسى كفاءة رأوها . ولا شك أن هذه العبارات كانت تصبح ، بحق ، موضعاً للريبة لو لم توجد إلا في « تاريخ وصاف» وغيره من كتب المؤلفين المعاصرين الذين قد تضطروهم حياتهم في قصر ملوك المغول إلى تملق الوزير واحتذاب عطفه . ولكننا نجد مثل تلك العبارات أيضاً لدى مؤرخين آخرين ، أمثال ميرخوند وخوند مير ودولت شاه ، الذين

(١) مخطوطة أوتر الفارسية ، رقم ١١٥ ، ورقة ١١٣ .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ وجه .

(٣) ميرخوند ، مخطوطة أوتر الفارسية رقم ١١٥ ، ورقة ١١٣ ، وخوند مير ، حبيب السير مجلد ٣ ورقة ٤٥ وجه ، ورقة ٦١ ظهر ، وقد طبع هذا الكتاب ، ودولت شاه ، وتاريخ وصاف ، مخطوطة برويكس الفارسية ، ورقم ٩ ، ورقة ٢ ظهر .

عاشوا بعد رشيد الدين بقرنين من الزمان ؛ ولذلك لم يكن لهم ما يدفهم إلى تزييف الحقيقة وإغداق ضروب الثناء على شخص لا يستطيعون أن ينتظروا منه مصلحة شخصية ؛ فلا بد ، إذن ، من افتراض أن كلامهم لم يكن إلا صورة صادقة للفكرة التي كونها المعاصرون عن مواهب مؤلفنا وكفاءته ؛ وأن ذكرى صفاته المجيدة استمرت تنتقل من جيل إلى جيل ، بالرغم من كل الجهود التي بذلها حساد هذا الوزير لتبغيضه إلى نفوس المسلمين .

ومع ذلك فإن رشيد الدين لم يكن يتمتع بسعادة صافية ، بالرغم من بلوغه قمة المجد والجاه والثروة ، وذلك أن بعض الأعداء المستترين المدفوعين بعامل الحسد الذي تثيره عادة الكفاءة النادرة إذا انضم إليها سمو الكفاءة ، دأبوا يعملون في الخفاء على الإيقاع به ، وعبأوا ، لهذا الغرض ، قوى الكذب والنميمة ، وقد تشكى هو نفسه في كتبه من شخص مغولى اسمه «هر كوداك»^(١) ومن آخرين كانوا يعملون للإضرار به ، بالرغم من أنه لم يصعب قط إلا بالخير^(٢) . وفي نفس الوقت أخذ شخص لم يذكر اسمه يهاجمه في نقطة حساسة ، ويسعى إلى الغض منه في أذهان المسلمين ، وتتهمه أمامهم بالإلحاد ؛ ولكن من الخير أن تؤجل الكلام في هذه القصة وما يحيط بها من ظروف حتى تحتل مكانها في الجزء الثاني من هذه المذكرة .

(١) لعب هذا الأمير دورا لائعا في بلاط الأمراء المغول في فارس ، وبعد ذلك أعين بأمر السلطان ألباتيو (ميرخونده ج ٥ ، ورقة ١٠٩ ظهر) .
(٢) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٣ وجه .

وفي سنة ٧١١^(١) / ١٣١١-١٣١٢ بدأ سعد الدين الساوجي ، نسبة إلى مدينة ساوه ، وكان يحتل منصب الوزير بالاشتراك مع رشيد الدين ، بدأ يقعد المركز الذي كان يتمتع به في القصر . وكان أول خطأ له أنه أثار ضده منافساً موقفاً حاداً ، فلم يلبث أن استولى على مكانه وجنى ثمار سقوطه . وكان هذا الرجل الخاتل ، الذي أودت دسائسه برشيد الدين أيضاً فيما بعد ، يسمى على شاه جبلان . وقد كان في شبابه يتهن تجارة الأحجار الكريمة والنسيج وبعض السلع الأخرى ، مما ساعده على معرفة كثير من الشخصيات الهامة واكتساب مودتها . وقدم إلى السلطان ألبايتو الذي لم يلبث أن أعجب بنشاطه ومضاه روحه وكفاءته وشمائله الجذابة . فانزعج الوزير من ذلك النجم الصاعد ، وأراد أن يبعد هذا المنافس الخطير من القصر بأي ثمن ، فعمل على تعيينه مديراً للكارخانة^(٢) ، (دار الصناعة) ، التي كان مقرها مدينة بغداد . وانطلق على شاه إلى هذه المدينة ، حيث أظهر في عمله الجديد ذكاء نادراً ، وأدخل فيه كثيراً من ضروب التحسين النافعة ، ونجح في إنتاج أنواع من النسيج ذات جمال أخاذ . ولما وصل السلطان إلى العراق ، قدم له على شاه سفينة تلفت الأنظار بزخرفتها وضخامتها ، وعدداً من الثياب الفاخرة ، وبعض الأشياء الثمينة الأخرى ، فسر السلطان لهذه العناية ، ومنذ ذلك الحين زاد من

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٧١ ظهر ووجه .

(٢) نستطيع أن نرى بصدد هذه الكلمة رحلات بيترودلافه Pietro della valle
مجلد ٣ ، ص ١٤٢ ؛ وكذلك رحلات في الشرق الأوسط ، Voyages au Levant
للرحالة تيفنو Thévenot .

عطفه على على شاه؛ فلم يعد هذا الأخير يغادر القصر، حيث أخذت مكانته في الارتفاع يوماً بعد يوم، وصار كل ما يعمله موضعاً لرضاء السلطان. ولم يكده على شاه يصل إلى السلطانية حتى أنشأ فيها عمائر أجمل وأمتن من كل ما شيد فيها حتى ذلك الحين، ومنها سوق فخمة خصصت منذ هذه اللحظة لإقامة تجار النسيج. ولما كان ألبايتو هو الذي أنشأ مدينة السلطانية، فإنه كان يهتم بتوسيعها وتجميلها، ولذلك نظر بعين الرضاء التام إلى النفقات التي بذلها على شاه من أجل هذا الغرض، وراح يظهر له هذا الرضاء في آيات بينات من التقدير والتكريم. ورأى سعد الدين أن نجمه يأفل بسرعة، فلم يستطع إلا النظر إلى صعود النجم الجديد في غل صامت. وأخذ يظهر لعلى شاه الاحتقار العميق، ويمتنع عن القيام له عند دخوله، ويتحين كل فرصة ليبدى له فيها أنه لا يمكن له أي احترام أو اهتمام.

وعلى العكس من ذلك كان رشيد الدين، فإنه لما رأى عطف السلطان على هذا الرجل، أخذ يعامله بكل إجلال ويتحين جميع الفرص لإطرائه وكيل المدح له. وكان هذا المسلك يروق السلطان إلى أقصى حد، ولكنه أدى إلى التفرقة بين الوزيرين اللذين صاروا منذ هذه اللحظة، عدوين لدودين. وحدث في هذه الأثناء أن دعا على شاه ألبايتو لتناول العشاء، وقدم له مأدبة لم يتأت لوزير من قبل أن يقدم مثلها لسلطان. وفيها تلقى السلطان والأمراء وأعضاء المجلس هدايا، كل بما يتناسب مع مقامه. ووضعت أمام رشيد الدين

ثلاثة أثواب قيمة ، ومثلها أمام سعد الدين ، وكان هذا الأخير قد أفرط في الشراب ، فسأل بكثير من الحدة عن السبب الذي من أجله قدمت الهدية لرشيد الدين قبل أن تقدم إليه هديته ، مما أدى إلى نقاش طويل بين الوزيرين . وأخذ سعد الدين الذي منعه السكر من تملك نفسه يعلن عن غضبه بأحاديث فيها من الشتائم ما لم يتفوه بمثلها قبل هذه اللحظة . أما رشيد الدين فلم ينبس بكلمة واحدة . وقد حمد له السلطان هذا الصمت ، وسخط على عبارات سعد الدين أشد السخط . ولم يكن سخط رشيد الدين على زميله بأقل من ذلك ^(١) ، فلم يلبث أن وشى به إلى السلطان ، مما جعله يدفع حياته ثمنا لاختلاساته الحقيقية أو المزعومة . واختير على شاه ليحل محل الوزير . وكان رشيد الدين هو الذي رجا السلطان في أن يجعل على شاه ^(٢) زميلا له ، وسنرى مقدار الندم الذي لا بد أن يكون قد حل به من جراء قصر نظره هذا .

بعد ذلك بزمن قصير ^(٣) ، استطاع اليهودي نجيب الدولة الذي ورد ذكره فيما سبق ، وهو رجل شرير غادر ، أن يضم حوله يهوديا آخر يبذل الوجود له ، ويحمله على أن يكتب خطابا بالحروف العبرية باسم رشيد الدين . وكان الخطاب موجها إلى تاجر جواهر يقوم مقام المندوب وموضع الثقة لأحد أمراء الدرجة الأولى . وفيه يناج رشيد الدين على هذا الرجل بأن يدس السم للسلطان . وقد دبر الأمر بحيث وقعت هذه الورقة في يد الأمير لؤلؤ الذي

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٠٦٨ ، ورقة ٤٧٢ ظهر .

(٢) تاريخ وصاف ، ورقة ٤٢٧ وجه و ٤٢٨ ظهر .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ١٠٦٨ ، ورقة ٤٧٢ .

سلمها لألجائيتو . ولم يكسد السلطان يقرؤها ، حتى استبد به الغضب ، وأمر باستدعاء رشيد الدين من فوره ، وقام باستجوابه . فطلب الوزير من السلطان أن يمهل ثلاثة أيام . وأخذ ينقب ، ويجرى جميع التحقيقات الضرورية ، للكشف عن مدبرى المؤامرة . وقام الأمير كتلبغا باستدعاء الأمير محمود الذى كان يعمل دواتدار لسعد الدين ، وسأله أن يدلى إليه بمعلوماته عن الخطاب ، فأكد له محمود أن الذى كتبه هو اليهودى الفلانى بإيعاز من الوزير سعد الدين ويقصد الإيقاع برشيد الدين . وفى اليوم الثالث مثل رشيد الدين أمام السلطان ، وأخبره بما علم ، وأحضر له الأمير محمود الذى عضد شهادة الوزير . وفى الحال استدعى اليهودى الذى اعترف فى حضرة السلطان بأنه هو الذى كتب الخطاب بإيعاز من سعد الدين الذى كان يقصد الإيقاع برشيد الدين . فافتتح السلطان بصدق الواقعة وأمر بقتل اليهودى ، فنفذ فيه القتل فى الحال . وبعد ذلك بزمن وجيز طبق هذا الحكم نفسه على محمد زركر ، ابن أخت سعد الدين ، وبعض الأمراء الآخرين ، لشهادة اليهودى بأنهم جميعاً كانوا شركاء فى تلك المؤامرة الشنيعة .

أدت هذه الحوادث المؤسفة إلى حادثة أخرى لم يكن لنا أن نسجلها فى هذا التقديم ، لو لم تتجد ذريعة لاتهم آخر ، لوصح ، لأدى إلى تشويه ذكرى رشيد الدين وجعل اسمه ، بحق ، من أشنع الأسماء . وذلك أنه كان فى بغداد « سيد » ، أى شخص من سلالة على ، اسمه تاج الدين أبو الفضل محمد . وقد

بدأ هذا الرجل بالقيام بوظيفة واعظ : واستطاع بهذه الصفة أن يكسب تقدير السلطان ألباتينو ، فرقاه إلى ذلك المنصب السامى ، منصب نقيب الأشراف — (سلالة على) — الذين كانوا منتشرين فى العراق والرى وخراسان ، أى فى جميع أنحاء الإمبراطورية المغولية . وإذا صح ما يقوله أحد المؤرخين ^(١) ، فإن تاج الدين هذا كان قد أثار حفيظة الوزير رشيد الدين ، إذ يقول : « هناك على مقربة من شواطئ الفرات ، بين الحلة والكوفة ، قرية تذكر الروايات أن النبى حزقيال مدفون بها . وقد أبدى اليهود دائماً تقديسهم الشديد لهذا الضريح ، فكانوا يحجون إليه ، ويحملون الصدقات الوافرة . فحرم التقيب عليهم الاقتراب من هذه القرية ، وشيد فى رحبة المشهد منبرا ، وجعل يقيم فيها صلاة الجمعة » . وتأثر رشيد الدين لهذا التبعث غير المتوقع . ويقول الكتاب نفسه إن الوزير كان يحسد تاج الدين على منزلته لدى السلطان ألباتينو ويتحين الفرص للإيقاع به باعتباره منافسا بغيضا له . ويذكر أيضاً أن السيد شمس الدين ابن تاج الدين كان يشغل وظيفة نقيب العلويين فى العراق . وكان هذا الرجل يسىء استغلال سلطته ويرتكب الكثير من أعمال العنف والبطيان ، مما بغض فيه سادة العراق . وأراد رشيد الدين أن يستغل هذا الظرف ، فاستمال إليه عددا ما من الأشراف ورفع إلى مسامع السلطان طائفة من الإشاعات البغيضة التى من شأنها أن تحط من قدر تاج الدين وأولاده . واهتز السلطان لهذه الإشاعات اليومية ، واستشار رشيد الدين الذى أشار عليه بترك محاكمة

(١) عمدة الطالب ، مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٢١٠ ظهر ووجه .

تاج الدين « لأبناء علي » أنفسهم ، حتى لا يكون الحكم الذى يقضون به موضعاً للشكوى ولا مشكوكاً فى تحيزه ضد المتهم . وفى الوقت نفسه استدعى الوزير طاهر جلال الدين الذى عرف عنه العنف وحب إراقة الدماء ، وأمره بأن يقتل تاج الدين وولديه ، على أن يكافئه على ذلك بأن يسند إليه مناصب نقيب العراق وقاضيا وصدرها . ولكن الرجل فزع من ارتكاب هذه الجريمة ، وأعلن فى صراحة حاسمة أن لا يقبل مطلقاً أن يتنازل شخصاً من سلالة علي . ولم تمض الليلة نفسها ، حتى كان قد فر راجعاً إلى الحلة . وتقدم الوزير بنفس العرض ونفس الجزاء إلى علوى آخر ، فلم ينجح أيضاً . وحينئذ أتجه إلى ثالث من ذرية علي ، اسمه تاج الدين إبراهيم بن مختار ، وكان قد قر به إليه وغمره بنعمه ، فأصبح متفانياً فى خدمته . وبعد أن وعده بتوليته منصب نقيب العراق ، وضع بين يديه السيد تاج الدين وولديه شمس الدين حسين وشرف الدين علي . فاقتادهم هذا الرجل إلى شاطئ دجلة ، وأمر أتباعه يذبهم . وقد ذبح الولدان قبل أبيهما ، بناء على أمر الوزير ، إمعاناً فى القسوة .

وقعت هذه الحادثة فى شهر ذى القعدة من سنة ٥٧٠٠ (١٣٠٠/١٣٠١ م) وقد انتقم عوام بغداد والحنابلة من هذا السيد أشنع انتقام ، فقطعوا جسمه إرباباً ، واتهموا أشلاءه ، وانزعوا شعره ، وكانت تباع الشعرة من لحيته بقطعة من الذهب . وثار السلطان لهذا الفعل الوحشى ، وحزن حزناً شديداً على مقتل تاج الدين وولديه . ولكن رشيد الدين أقنعه بأن هذا الموت كان برضاء جميع

أهل البيت في العراق ، وأراد السلطان تعليق قاضي الحنابلة في حبل المشنقة ، ولكنه رضى أن يعفو عن حياته استجابة لرجاء بعض ذوى المقام ، غير أنه أمر بأن يركب حماراً أعمى ، ويجعل وجهه نحو ذيله ، ثم يطاف به في شوارع المدينة وميادينها . وقرر ألا يكون للحنابلة قاض في المستقبل .

هذه هي القصة التي يقدمها لنا مؤرخ آل على ، وقد أردنا أن نوردناها بتامها . ولكنها تنطوي على عدد من السمات التي تثير الريب في صدقها . وأولها أن المؤلف لم يشهد الوقائع التي يرويها . فمن السهل ، إذن ، أن يكون قد خدع بروايات تنقصها الأمانة . كما أننا لم نر أحداً من الكتاب يصور رشيد الدين بصورة الرجل القاسى السفاك ، بل نراه ، على العكس من ذلك ، يتفقون على أنه كان يجمع إلى ما لديه من الصفات الجليلة ؛ الاتصاف بالطيبة والعذوبة والسخاء . فمن البعيد عن الاحتمال ، إذن ، أن يكون قد نبت هذا الاعتيال الشنيع ليشفى في نفسه ذلك الحقد البسيط ، وللخلاص من منافس أظهر السلطان نحوه شيئاً من الكرم والاحترام ، ولا سيما أنه كان من الممكن أن تجر عليه هذه الجريمة نكال السلطان ، وأن تلتخ ذكراه بعار لا ينمحي . هذا إلى أن المؤرخ نفسه يذكر أن رشيد الدين كان قد تعهد أمام السلطان بأن يوكل كل محاكمة النقيب إلى آل على . فكيف يحدث في وعده ، ويجزؤ على الاستعاضة عن الطرق القانونية باغتتيال يرتكب دون قضية أو محاكمة ؟ فإذا كان قد بانث به الوحشية إلى حد أن يلجأ في شفاء أحقاده إلى سيوف القتلة الأجراء ، إذا كان قد أراد تنفيذ مثل هذا الفعل الذى يهدر كل قواعد

العدالة والإنسانية على أشنع صورة ، فإنه لم يكن لتبلغ به المرأة إلى حد أن يفعل فعلته في وضح النهار ، وتحت بصر سكان مدينة شاسعة بأسرهم .

ويحق لنا أن نسأل ؛ لماذا أصر الوزير الذي لا بد أن يكون له أتباع متفانون في الإخلاص له ، على أن يعهد بهذه الرسالة البغيضة إلى أحد العالويين ؟ لاشك أن من الإمعان الغريب في الوحشية أن يصير رشيد الدين على إلزام عضو من أسرة رفيعة على أن يلوث يديه بدم أحد أقربائه . كما أنه مما يعرضه إلى أشد أنواع الخطر ، دون جدوى ، أن يبوح بسر من هذا القبيل إلى أشخاص قد يثيرهم هذا العرض ، ويتهزون فرصة بلوغهم مأمنهم ليكشفوا عن تلك المؤامرة الإجرامية . هذا إلى أنه إذا كان رشيد الدين يشغل منصب الوزير في ذلك الوقت ، فقد كان إلى جانبه قضاة وفقهاء وشخصيات أخرى من ذوى المقامات العليا . وكان من المحتمل جدا ألا يرضى هؤلاء الرجال الأجلء بالاشتراك في جريمة اغتيال دنيء من هذا القبيل من أجل شفاء أحقاد الوزير . وكل الظروف التي يقال إنها أحاطت بموت تاج الدين تحمل في نفسها طابع الحفاة التامة للواقع . فما لا يمكن تصديقه بأية حال ، أن يكون شعب بغداد قد شهد مقتل عضو بارز من آل محمد ، ثم تبلغ به الوحشية أن يقطع جسمه إربا ويلتهم لحمه ، وهو لا يزال ينبض بالحياة ؛ ثم يتناع شعر لحيته بسعر الذهب . نعم ، إن تاريخ الشعوب كلها قد لا يخلو ، بكل أسف ، من ضروب الإسراف التي من هذا القبيل ، ومع ذلك فلا بد أن يكون هناك من

الوقائع الممكنة الوقوع عقلا ، سواء أكانت صحيحة أم زائفة ، ما يثير الغضب الشعبي إلى أقصى درجاته . ولكن القصة التي ذكرناها لا تنطوي على شيء يمكن أن يفسر هذه الوحشية التي لا يتصورها عقل . فإن البغض الذي يفرق بين الشيعة والسنيين ، لا يكفي أن يكون سببا لهذه الأفعال البشعة . فالتاريخ يحدثنا عن محاصمات عنيفة وقعت بين الفريقين ، ولكن دون أن تؤدي واحدة منها إلى أحداث تنسم بتلك الوحشية الدنيئة . وإذن ، فمن المحتمل جدا أن يكون النقيب تاج الدين قد جر على نفسه السخط الشديد بارتكابه أعمالا إجرامية ، وأن تكون العدالة هي التي قضت بموته ، وألا يكون رشيد الدين قد عجز عن تخليص المتهم من العقاب الذي حكم عليه به حتى لو أراد أن يخلصه منه . ومن السهل أن نعتقد بأن آل علي قد ساءهم وجرح كبرياءهم أن رأوا رئيسهم يقع تحت طائلة القانون ، فأشاعوا أن موته لم يكن قصاصا للعدالة ، بل آثارا للطغيان ، ونتيجة لحسد رجل من ذوى السلطان وحده . وأغلب الظن أن هذه الشائعات التي أطلقت في حياة رشيد الدين بشيء من الجذر ، تمكنت من الانتشار دون عائق بعد أن جان حينه ، وراح ضحية لمؤامرة دنيئة دبرها له أعداؤه ؛ وأصبح من اليسير تصور هذا الموت الأليم على أنه عقاب من السماء التي لم تُرد أن تترك ذلك العمل الوحشي الذي راح ضحيته أحد أقرباء الرسول دون انتقام .

ونعتقد أن لدينا شهادة لها قيمتها تعضد هذا الرأي الذي لا يتجافى مع

العقل ، فإن أحد الكتاب الصادقين المثقفين ، وهو مؤلف « تاريخ و صاف »
الذى عاصر رشيد الدين ، وكان بين رجال الحاشية فى الوقت الذى مات
فيه النقيب تاج الدين ، يروى لنا قصة ذلك الحادث المؤسف فى العبارات
التالية (١).

« فى يوم الاثنين غرة ذى الحجة من سنة ٧١١ (١٣١١ - ١٢) قام كبار
الأمراء والوزراء فى حضرة قاضى القضاة وعدد كبير من الأئمة والسادة بتكوين
محكمة لمحاكمة السيد تاج الدين ، لانهامه بارتكاب عدد من الجرائم التى تكفى
لحرمانه من الحقوق المخولة لأصله الكرم . إذ أخذ عليه أنه استخدم طرق
العنف والاختلاس فى الاستيلاء على مبلغ يزيد على ثلثمائة ألف قطعة ذهبية
مملوكة لآل البيت أو لأشخاص آخرين ، وأنه كان يعمل دائماً على إغراء
زوجات آل على ، وأنه ارتكب جرائم قتل عديدة ؛ وبالاختصار أخذ عليه
ارتكاب جرائم مختلفة يطول بنا المقام لو ذكرناها هنا بالتفصيل . ولما
ثبتت على تاج الدين تلك التهم ، أسلم بأمر من السلطان إلى آل بيت على ،
الذين وكل إليهم أن ينفذوا فيه العقاب الذى يستحقه . فابتهج آل البيت
لهذا القرار ، واقتادوه إلى شاطيء دجلة (بركناره شط) (٢) ، حيث انهلوا

(١) نسخة المكتبة الملكية ، ورقة ٤٢٦ ظهر ووجه . وانظر أيضاً ميرخوند ج ٥
ورقة ١١٣ ظهر -

(٢) إن كلمة « شط » التى تعنى « نهر » على وجه العموم ، كثيراً ما ترد على لسان
الكتاب العرب والفرس ، إما وحدها وإما مضافة إلى كلمة أخرى مميزة ، للدلالة على
« دجلة » فنقرأ فى كتاب ابن خلكان (المخطوطة العربية رقم ٧٣٠ ، ورقة ٣٢٦ ظهر)
« تل توبة : تل يقع فى مواجهة الموصل ويفصل بينهما عرض الشط » . ويذكر مؤلف
الكتاب الذى عنوانه « الانشاء » (المخطوطة العربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ٢٦١ =

عليه ضرباً بالسياط المزوجة ، حتى فاضت روحه . أما ولده فقد شاطراه

== (ظهر) ، حصنا واقعا جنوبي الموصل بين الفرات والشط . وفي تاريخ ووصاف (المخطوطة ، ورقة ٢٨ ظهر) ، تقرأ هذه الكلمات « شط درميان بغداد جاريسن » أى دجلة . يجرى وسط بغداد . « ونرى ظفر نامه (حياة تيمور ، في مخطوطة المؤلف ورقة ١٧٨ ظهر) « أن قائد مدينة الجزيرة كان يعتمد في الدفاع عنها على حصانة القلعة وسرعة الشط (أى دجلة) » « برحصانة قلعة وآب شط اعتماد كرد » . وتقرأ في مكان آخر (ورقة ١٧٣ وجه) « آنچه من شواطىء الشط (أى دجلة) نحو واسط » . « أز كنار شط بواسط رفته » . و « أز آب شط كدشته بود ، أى وكبت قد عبر دجلة » . (ورقة ١٧٣ وجه) . وأخيرا نجد في الورقة ١٧٤ ظهر « أز شط العرب كدشته أى اجتاز دجلة » . وفي تذكرة الشعراء لدولتشاه (المخطوطة الفارسية رقم ٢٥ ، ورقة ١١٦ ظهر) تقرأ أن هرون الرشيد « دركنار شط بغداد نشسته بود ، أى كان يوما يجلس على شاطئ الشط » (يعنى دجلة) ويصف الشاعر خواجه كرماني تغير أحوال هذا العالم ، فيستعمل ذلك المجاز الغريب .

حاك بغداد بحون خلفا من كريد ورنه أن شط روان چست كه در بغدادست أى « بكت أرض بغداد حين رأيت دم الخفاف يراق . وإلا فن أين جاء النهر الذى يجرى في هذه المدينة ؟ » ويقول السائح شلتبرجر Schiltberger (Reise in den Orient) ص ٩٥) . « إن بابل الجديدة (أى بغداد) تقع على مسافة ما من بابل الكبرى ، على نهر يسمى الشط » . ويصف سائح إيطالى قام برحلة في فارس في بداية القرن السادس عشر الطريق الذى اتبعه ، فيذكر نهرًا كبيرًا اسمه « الشط » يجرى أمام بغداد ويستمر في جريانه حتى يلتقي بالفرات (Raumusio Reiationt Viaggi) مجلد ٢ ، ورقة ٧٩ وجه ، وورقة ٨٠ ظهر) . ويقول مؤلف كتاب تاريخ الكرد مخطوطة ديكوروا Ducaurray الفارسية (رقم ٨٨ ، ورقة ٤٠ وجه) « إن مدينة الجزيرة (التى تكلمنا عنها منذ هنيهة) تقع على نهر يسمى شط العرب (رود خانة شط العرب) . وبعد ذلك بقليل (ورقة ٨٦ ظهر) يطلق على نفس النهر اسم « شط ديار بكر (آب شط ديار بكر) » ويذكر عن رواية قديمة (ورقة ١٠٩ وجه) « أن الإسكندر الأكبر تبع شاطئ الشط (أى دجلة) فيقول « رود خانة شط العرب » حتى وصل إلى المكان الذى يلتقى فيه هذا النهر بنهر « بدليس » . وقد ذكرت هذه الفقرات لأبين أنه من الخطأ أن يقصر اسم « شط العرب » على الجزء من دجلة الذى يمتد من حين التقائه بالفرات بالقرب من قرنة حتى مصبة في الخليج الفارسى . إذ يبدو أن هذه التسمية تطلق على النهر جميعه . (يشير إلى كتاب شرفنامه للبدليسى وهو مطبوع الآن ، ونقله إلى العربية محمد على عوفى الذى كان قد نشر النص الفارسى من قبل) .

هذا الصير . واشتد ازدحام الناس من أجل الاشتراك في تنفيذ هذا العقاب ، حتى أصيب اثنان منهم أو ثلاثة بجروح خطيرة . وكان جميع الحاضرين ، سواء أ كانوا مسلمين ومسامات أم يهودا أم مسيحيين ، ومن كل الطبقات ، يظهرون ابتهاجهم عاليا وينظرون إلى موت هذا الرجل على أنه انتصار للاستقرار والامبراطورية .

ونحن لانستطيع الجزم ، بعد انقضاء خمسة قرون ، بأن التهم التي سببت هذا العقاب قد ثبتت كلها ثبوتا قاطعا ، ولكن من الأكيد أن المحكمة التي شكلت لمحاكمة تاج الدين كانت تتكون ، كما تقضى العدالة ، من أكبر رجال الدولة الذين ضموا إليهم رئيس القضاة وبعض الأشخاص المختارين من بين رجال الدين وآل على . فمن العسير أن نعتقد بأن مجعاه له هذا الوفاق وهذه الأهمية يرضى بتلطيف شرفه بالعار بقبوله أن يكون أداة طيعة للانتقام شخصي ، وأن يحكم بهذا الإعدام المروع على شخص من آل البيت يتولى منصباً يجمع بين الأهمية والاحترام . فقد نفذ الإعدام إذن بمقتضى حكم رسمي ، مستوف لشروط الأحكام ، ومصدق عليه من السلطان . وبالتالي لم يكن موت تاج الدين نتيجة لمؤامرة دبرها الوزير في الخفاء ، ونفذها على غير علم من السلطان . هذا إلى أن الابتهاج الذي قابل به الناس من جميع الطبقات قرأ الحكم على تاج الدين ، وتواحم مواطنيه وأقاربه أنفسهم من أجل القيام بعمل الجلاد في هذه الظروف ، كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هذا الشخص قد ارتكب ، أثناء قيامه بمهام منصبه ، أعمالا إجرامية بغضته ، بحق ، في أعين الجماهير .

ويبدو أن تاج الدين الذى كان صديق سعد الدين وموضع ثقته ، كان روح المؤامرات التى حيكت ضد مؤلفنا ، حيث كانت تحدوه الرغبة والأمل فى الاستيلاء على تركته . وقد يكون رشيد الدين الذى كان يعلم بما يحاك حوله ، قد نظر بعين الارتياح إلى النكبة التى حلت بحدوه اللدود ؛ ولكن ذلك لايعنى بأية حال أن يكون هو الذى أمر بإعدامه الرسمى هذا .

وفى هذا الوقت نفسه ^(١) ، لم يدخر رشيد الدين وسعا فى استعمال سلطانه لتخليص قاضى الحنابلة الذى آتهم لدى السلطان .

وفى هذه الأثناء عين جلال الدين بن رشيد الدين حاكما لمدينة أصفهان ^(٢) ، كما اختير الأمير عبد اللطيف ، ولده الآخر ، ليكون وزيراً لأبى سعيد الذى ولاه أبوه السلطان على خراسان ^(٣) .

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ٧١٢ / ١٣١١ ، أعقد رشيد الدين عطاءه للمرة الثانية على عبد الله بن فضل الله ، مؤلف تاريخ وصاف ^(٤) . فقد قدمه الوزير للسلطان ألبجايتو وأطرى أمامه الكتاب ومؤلفه بعبارات مستطابة ، وسمح السلطان للمؤلف بأن يقرأ له فضلا من كتابه . فعقدت لذلك جلسة رائعة حضرها الوزيران وكبار الأمراء وجميع الشخصيات

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٧٢ وجه .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٤٧٤ وجه .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٤٧٧ ظهر .

(٤) المخطوطة ، ورقة ٤٣١ ظهر ووجه .

البارزة في الحاشية ، حيث لم يسمع الكاتب إلا آيات الرضا والتقدير التي غمره بها السلطان وجميع الحاضرين .

وهنا يجدر بي أن أشير إلى مقدار ما كان في إدارة سلاطين المغول من عيوب : كان على رأس الإدارة رئيسا وزارة يحمل كل منهما لقب وزير أو صاحب ديوان . وكان عليهما أن يعملتا مشتركين ، ويبدو أن اختصاصاتهما لم تكن منفصلة ومحددة تحديدا دقيقا . ومن مزايا هذا النظام أنه يمنع كل تواطؤ بين رجلين يعملان في ميدان واحد ، إذ يضطرهما وضعهما إلى مراقبة كل منهما الآخر . ولكن ، من جهة أخرى ، يستطيع المرء أن يدرك دون عسر ، أن هذا التساوى في السلطات لابد أن يؤدي إلى مخاصمات يومية ، وضروب من الحسد ، وتنازع الاختصاص بين الشريكين ؛ وإلى محاولة كل منهما أن يغض من قدر صاحبه في غالب الأحيان ، وأن يثير أمامه العراقييل ، ويعوقه عن المسير ، ويحمله مسئولية إخفاق الأمور ؛ وبالاختصار أن يسعى بكل جهده إلى تشويه سمعته في نظر السلطان ، والتخلص من منافس بغيبض لتبقى له وحده السلطة ورعاية السلطان .

وفي سنة ٧١٥ /^(١) ١٣١٥ - أرسل أبو سعيد ابن السلطان الجلائيو عدة رسل لطلب الأموال اللازمة لدفع رواتب الجنود ، فطلب السلطان بدوره نقودا من الوزيرين . فأجاب رشيد الدين بقوله : « أنا لم أشترك قط بأى

(١) المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ، ورقة ٤٧٧ ظهر ووجه ، وميرخند ، ج ٥ ، ورقة ١٢٣ .

نصيب في حكومة المملكة ، ولم أشرف على أى فرع من فروع الإدارة ، ولم أضع توقيعى على أى أمر صادر من السلطان ؛ ولذلك لا ينبغي أن تطلب النقود منى أنا » . وأجاب على شاه بدوره قائلاً : « أما أنا فلا أملك غير الرداء الذى يغطى جسمى . ولا أستطيع أن أدفع فلسا واحدا . وإذا كنا ، أنا وزميلي ، نقسم إدارة الإمبراطورية ، فلست أرى لماذا أفرد أنا بدفع النقود » . ورد رشيد الدين قائلاً : « ذلك لأنك الوزير الحقيقى وموضع الثقة ، وأنت أنت وحدك المستحوذ على الخاتم السامى والمكلف بتنفيذ أوامر السلطان » . ولما غرض عليه على شاه أن يشاطره حمل الخاتم السامى وأمور الديوان ، صاح فى وجهه بقوله : « كيف أستطيع الاشتراك مع رجل مثلك ؟ الواقع أنك إذا طلب منك شيء من المال ، أظهرت الفقر ؛ فى حين أن العملاء الأذنياء الذين تستخدمهم يجمعون للبالغ الطائلة ، ويمتلكون جميعا ثروات ضخمة » . ولما احتدم الجدل بينهما واحتد ، وأدى إلى تراشق متكرر ، أراد السلطان أن يضع له حدا ؛ فأمر أن تقسم فى المستقبل الأقاليم التى تتكون منها الإمبراطورية إلى قسمين متساويين : فيوضع العراق العجنى وخوزستان واللور الكبرى والصغرى وإقليم فارس وكرمان تحت إدارة رشيد الدين . ويجعل العراق العربى وديار بكر وإقليم أران وبلاد الروم (آسيا الصغرى) من اختصاص على شاه ، واقترح هذا الأخير أن يشترك معه رشيد الدين فى الإدارة ، وأن يضعوا توقيعهما معا على الأوامر الصادرة من ديوان السلطان .

ولكن رشيد الدين رد على ذلك بقوله : « أنا لا أريد أن أشارك معك في شيء ، لأنه كلما طلبت منك نقودا ، احتججت بفقرك المزعوم ، وأنا الذى سأرغم على الدفع » . ووصلت هذه الأقوال إلى مسامع ألبجايو ، فعين علاء الدين لإدارة الشؤون تحت أمر رشيد الدين ، كما جعل عز الدين كوهدى مساعدا لعلاء الدين . ولكن رشيد الدين أصيب بالنقرس طوال هذا الشتاء ، بحيث ظل أربعة شهور لا يغادر بيته ولا يظهر فى القصر . وفى هذه الأثناء كان يتوالى وصول البريد من خراسان باستمرار لطلب النقود . وكان ألبجايو يخاطب فى هذا الشأن على شاه الذى كان يجيبه بأن بيت المال لا يحوى قطعة واحدة من النقود . ولما سأله السلطان أين تذهب المبالغ التى تجبى من موارد الدولة ، أجابه بأنها جميعا لدى رشيد الدين . فأمر السلطان بإجراء تحقيق قانونى ، وكلف به الأمير جوبان الذى ضم إليه عز الدين كوهدى وعلاء الدين محمد . فاستدعى هؤلاء الثلاثة للمثول أمامهم كل وكلاء على شاه ، وهم ظاهر الدين الساوجى وغاز الدين أحمد وعماد الدين الفلكى ، وسألهم عن دخل الإمبراطورية الذى كان فى يدهم تحصيله والتصرف فيه خلال سنين ثلاث . وبعد أن مر التهمون بامتحان عسير أعلن ثبوت تهمة الاختلاس عليهم وحكم عليهم بدفع مبلغ ثلاثمائة طومان ، أى ثلاثة ملايين قطعة من الذهب . وأضاب هذا الحكم كل رجال الديوان بالوجوم . فذهبوا إلى على شاه وقدموا له شكاياتهم ، وقالوا له : « إذا لم تجد وسيلة لإلغاء هذا الحكم ، أضربت أعمالنا كلها بالشلل التام ، وأصابها داء لاعلاج له . » وذهب على شاه

فى نفس الليلة إلى قصر السلطان وقال له « هذه المبالغ المطلوبة من وكلائى لم يبدوها ، ولكنهم كانوا قد سلموها لى » ورجاه بالتوسلات والدموع أن يلغى الحكم الذى صدر عليهم . فتأثر ألقائتو لكلامه أشد تأثر وقابله بعطف بالغ ، وأصدر أمره بإيقاف جميع الإجراءات . ولما بدأ الأمير إيرنجين من صباح الغد فى تنفيذ الحكم قال له ألقائتو : « على شاه هذا المسكين الذى يجهل القراءة والكتابة كان قد تسلّم هذه المبالغ فى حقيقة الأمر ، ولكنه استغلها فى أغراض شتى لم يعد يتذكرها الآن ، كما قال لى ، ولذلك أود أن تكون هذه المسألة وكأن لم تكن » . فدهش إيرنجين من حديث السلطان ، وأبلغه إلى الأمير جوبان ، ثم أضاف قائلاً : « كان إذا أراد أحد الفرس أن يتقدم برجاء إلى السلطان فى عهد هولاكو وأباقا ، لم يجرؤ على تقديمه إلا إذا كان قد كلم فيه من قبل عددا من الأمراء ، أما اليوم فقد انقلب الأمر رأسا على عقب ، حتى أصبح فى وسع أحد الفرس أن يذهب إلى السلطان فى منتصف الليل ويطلب منه مقابلة سرية ليهدم فى لحظة واحدة كل ما فعلناه أو قلناه » . فشر جوبان بأشد الحرج مما سمع ، ولكن على شاه علم بذلك فبذل كل جهده فى استرضاء الأمير واستطاع بهداياه العديدة أن يقنعه بالتزام الصمت . وبذلك اعتبر الحكم كأن لم يكن . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى ذهب على شاه إلى السلطان وقال له : « إن رشيد الدين يتكلف المرض لكي يستطيع البقاء فى بيته . ولكنه فى نفس الوقت

يستخدم كل الحيل والدسائس الممكنة للإيقاع بي ، كما فعل مع سعد الدين . فإذا تنازات بالسماح لي ، استدعيت رشيد الدين وأولاده واستجوبتهم لأرغمهم على تقديم الحساب » . ولم يكذ السلطان يسمح له بتنفيذ مشروعه حتى هاجم جلال الدين بن رشيد الدين مدعيا أنه احتفظ بين يديه بعدد من الطومانات من دخل الأمير الشاب ألقاى كتلج ، ثم بددها . ولما احتج جلال الدين بأنه برىء ، اضطر على شاه إلى سحب اتهامه . ولكنه بعد ذلك بقليل أمهى إلى السلطان أن رشيد الدين كان يستولى كل عام على ريع دخل الإمبراطورية ، وهو قيمة المبالغ المخصصة لنفقات الأميرات والناجحة من غلة الأوقاف الخيرية . أثر هذا الاتهام وغيره من الاتهامات التي كان يصدرها على شاه من حين لحين مشفوعة بكل تأكيد على ألقايتو أشد تأثير . ومنذ هذه اللحظة تغير كل شيء ، وطغت سلطة على شاه لدى السلطان . ولما علم رشيد الدين ذلك ، لم يجد أمامه إلا أن يوثق صلاته بالأمير تاجق ، ويكسبه لجانبه عن طريق الهدايا الثمينة . وبفضل وساطته أصدر السلطان أمره إلى الوزيرين بإصلاح ذات بينهما ، وأن يعيشا منذ الآن على أتم وفاق . فأطاع الوزيران ونفذ ما أَراداه السلطان ، من حيث المظهر على الأقل .

وفي هذه الأثناء مات ألقايتو ، وجلس ابنه أبو سعيد على العرش . وحينما علم رشيد الدين بقدم السلطان الشاب إلى عاصمة الإمبراطورية المغولية ، أرسل ابنه غياث الدين محمد لاستقباله ^(١) . وفي الوقت نفسه اتخذ

(٦٤) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٩٠ ظهر .

جميع الاحتياطات التي رآها ضرورية لحماية نفسه من دسائس أعدائه ، ولاحتفاظه بالمركز الرفيع الذي قدم له جزاء خدماته ^(١) . ولما كان يعلم أنه على خلاف مع الأمير سونج ، وأن هذا الأخير لا يزال يضر له شيئا من البعض ، فقد حرص على أن يجعل على مقربة منه شخصا اسمه إبراهيم معروفا بالحيلة والدهاء خيرا بمناورات القصور وطريقة الحصول على مودة الملوك والعطاء . هذا إلى أنه نتاح مع علي شاه وكبار الشخصيات في الدولة ، ورأى الجميع أنه من الخير أن يلتفتوا حول الأمير جو بان الذي كان عماد الإمبراطورية في ذلك الحين ، وأن يعملوا على الاحتفاظ به في مركز « أمير الأمراء » (قائد عام الجيش) . وكان يأمل بهذه الطريقة أن يجد له عضدا قويا يدافع عنه ضد كراهية سونج ، ويقوم بشيء من التوازن ضد المترلة التي لأحد لها ، والتي استطاع هذا الأخير أن يصل إليها في نفس السلطان الشاب . وقد أصابت هذه الخطة في بادئ الأمر نجاحا وتوفيقا ، إذ قرر أول مرسوم أصدره العهد الجديد الاحتفاظ برشيد الدين وعلى شاه في منصب الوزارة ^(٢) . هذا إلى أنه لما كان قد ولي الأمير تيمور تاش بن جو بان حاكما على البلاد الروم (آسيا الصغرى) ، فقد طلب تعيين جلال الدين بن رشيد الدين رئيسا لإدارته المدنية ، وأجيب إلى طلبه ^(٣) .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٤٩٠ وجه .

(٢) ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٢٤ .

(٣) المقریزی ، مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، ص ٧٢٢ . (مطبوع الآن) .

وفي هذه السنة نفسها ، أعنى سنة ١٣١٧/٧١٧ - ١٨ أرسل رشيد الدين هدية إلى محمد بن قلاوون سلطان مصر ^(١) .

ومع ذلك ^(٢) فإن الوزيرين لم يكونا أكثر اتفاقا مما كانا في العهد السابق ، إذ أن التنافس الناشئ من تساويهما في المرتبة كان لا يفتأ يؤدي إلى خصومات مستمرة بينهما . فحرص رشيد الدين ، وكانت تربطه دأما بالأمير جوبان روابط صداقة ، على زيادة هذه الروابط وثوقا . وما زال يضاعف له مودته وهداياهم حتى كسب جانبه نهائيا ، وارتبط به بصورة أقوى وأوثق مما في أى وقت آخر . ولما علم على شاه بأمر هذه الرابطة ارتاع لها ارتياحا شديدا . فإنه أحس إحسانا تاما مقدار الضرر الذى يمكن أن يحمق به من ورائها ؛ لأن الأمير جوبان كان تام السيطرة على نفس السلطان ، أو بالأحرى كان هو الذى يحكم الإمبراطورية بسلطات مطلقة . فاشتغل على شاه ليلا ونهارا فى سبيل البحث عن تهمة يوجهها إلى رشيد الدين لكي تودى بمهاتته ، ولكن جميع محاولاته ذهبت عبثا . غير أن البعض الذى فرق بين الزميلين لم تزده الأيام إلا حدة ، كما أخذت المهاترات بينهما تزداد بمرور الأيام عددا . وأصبح كل منهما يظهر سخطه على رجال الديوان إذا رآهم يحتفون بالآخر ، مما آثار الاضطراب بين أعضاء الديوان . وذات يوم ذهب ضياء الملك وعز الدين الكوهدى وعلاء الدين إلى رشيد الدين ، وقالوا له : « إذا أذنت لنا ، فإننا

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٤٩٣ ظهر ووجه ، وورقة ٤٩٤ .

(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦١ وجه ، وورقة ٦٢ ظهر .

على استعداد لمهاجمة على شاه والكشف عن مناوراته وخذاعه « . وبعد أن فكر رشيد الدين طويلا ، أجابهم بقوله : « إن على شاه شخصية هامة ، ولا يليق أن تقدموا ضده شكوى رسمية . ولكنني سأحدثه وأحله على إرضائكم فيما يتعلق بموضوع الشكوى التي حدثتموني عنها الآن » ولم يكده الموظفون الثلاثة يخرجون من لدى رشيد الدين حتى عقدوا مجلسا فيما بينهم . وقالوا : « ليس لنا أن ننتظر شيئا من قبل هذا الرجل ، بل إنه ليخشى أن يذهب إلى على شاه ، بعد أن سمع اتهامنا له ، ويقص عليه كل ماقلنا ، فيصبح على شاه عدوا للدودا لنا » . ولكي يدرؤوا عن أنفسهم هذا الخطر ، انضموا إلى على شاه الذي استطاع من جهته أن يكسب ود نواب الأمراء بفضل الهدايا ، وأن يوحى إليهم بما يوغر صدورهم على رشيد الدين ، فصمم أبو بكر أغا مساعد^(١) ، جوبان الأيمن ، على الإيقاع برشيد الدين ، ولم يفتأ يشي به

(١) كلمة « آقا » التي تكتب أحيانا « آغا » من كلمات اللغة المغولية ، ومعناها الأخ الأكبر ؛ وكلمة « آبي » معناها « أخ أصغر » . ومن هنا جاءت الصيغة المركبة « آقاويي » التي سنتكلم عنها في مكان آخر . وتوجد كلمة « آقا » كثيرا في تاريخ المغول والنحو المغولي ، كما توجد في ترجمة الأنجيل . وقد دخلت اللغة الفارسية واستقرت فيها حيث نثر عليها بكثرة لدى الكتاب التاليين لغزو جنكيزخان . ويتكون الجمع منها ، كما هي العادة في العبارات التي من أصل أجنبي ، بطرق مختلفة فأحيانا يكتب « آقا ان » وأحيانا « آقاوان » وفي بعض الأحيان الأخرى « آقايان » ومن ثم قرأ في « تاريخ وصال » (المخطوطة ، ورقة ٨ وجه) « أين باوجود آقا جوگونه خيال تفوق بندد » أي : كيف يجرؤ هذا الأمير على الطمع في الملك ، وله أخ أكبر ؟ وفي تاريخ رشيد الدين (ورقة ١٦٢ وجه) نجد هذه الكلمات « اينيان بسخن آقايان التفات بيموده » أي لم يكن الإخوة الصغار يحتمون كلام إخوتهم الكبار . ثم قرأ بعد ذلك بقليل (ورقة ١٦٤ ظهر) « پدران وآقايان ما » أي آباؤنا وإخوتنا الكبار . وفي =

به لدى الأمير ويحاول أن يصمه كل يوم بتبهم جديدة . وقد نجحت هذه

== نفس الورقة وجه : « آقا ان پدروجد من بودند » أى : كانوا الاخوة الكبار لأبى
وجدى . وقرأ فى تاريخ ميرخوند (الجزء الخامس ، ورقة ٨٨ وجه) : « كه بقدر امكان
آقاوانرا مشمول عواطف وعوارف دارد » أى : ليغمر ، بقدر ما يستطيع لإخوته الكبار
آيات الصداقة وبالهدايا . وفى « تاريخ گزيده » . (مخطوطة برويكس ، رقم ٩ ورقة
٢٣٣ وجه) ، قرأ : « آغام شاه شجاع » أى : أنا شاه شجاع الأخ الأكبر . ونجد
لدى ذيل رشيد الدين (مخطوطة رقم ٦٨ ا ، ورقة ٤٨٤ وجه) هذه الكلمات :
« درجائ آقاين نيكو سلطان وزمان سلطان دولت أسلاف پادشاه » أى : فى
زمن لإخوة السلطان الكبار الأجداد ، وفى فترة حكم أسلاف الملك . ولما كان للأخ
الأكبر لدى المغول سلطة عظيمة على إخوته الصغار ، أصبحت كلمة « آقا » (أى : الأخ
الأكبر) تدل بطريق الحجاز على رئيس الأسرة كلها . ولذا قرأ فى كتاب رشيد الدين
(ورقة ٢٢٥ ظهر) « باتوکه آغامه بود » . أى : باتو الذى كان كبير الأمراء جميعا .
وتعثر فى ذلك التاريخ نفسه على هذه العبارات (ورقة ٣٠٠ وجه) « توكه آقاغامت
پسرانى » . أى : أنت الذى تعتبر الأخ الأكبر ، ورئيس الأبناء جميعا . ثم (نفس الورقة)
« آقاى ما قويلايى قا آن است » . أى : قويلايى فأن هو الأخ الأكبر لنا جميعا . ثم بعد
ذلك (ورقة ٣٠٤ ظهر) « آقا من أبا فاخان » أى : أبا فاخان كبرى (أخى الأكبر) .
وفى (الورقة ٣٢٠ وجه) « أحمد أغاست » أى : أحمد رئيس الأسرة . وفى الورقة
٣٢٢ ظهر : چگونه در روى آقاى خود شمشير كنندم » . أى : كيف أستطيع امتشاق
الحسام ضد رئيس أسرتى ؟ وفى تاريخ ميرطوند (الجزء الخامس ، ورقة ٦٨ وجه)
« هرچند بركه آقااست » أى بالرغم من أن بركه رئيس الأسرة . وقرأ فى نفس
الكتاب (الورقة ٧٠ ظهر) ، على اسان أبا فاخان العبارة التالية « آقاى ناقويلايى
قا آنست بن رخصت أو اين مهم چگونه اختيار توان كرد » أى : قويلايى فأن رئيسنا ،
فهل يمكننا أن نقوم بمسألة على هذه الأهمية دون إذنه ؟ . وقرأ فى « أكبر نامه »
لأبى الفضل (مخطوطة فارسية بمكتبة الأرسينال رقم ١٩ ، ورقم ١٥٤ ظهر) « براى آقاى
خود » . أى : من أجل رئيسه . وفى ترجمة حياة الشاه عباس الكبير (مخطوطة الأستاذ
سلفستردى ساسى ، ورقة ١٤٩) ، تقرأ « پنجاه نفر از آقاين وملازمان » . أى :
خسون شخصا من بين رؤساء الأسرة ورجال الحاشية . ومن هنا جاءت كلمة « آقاين »
التي معناها « منزلة الأخ الأكبر . أو رئيس الأسرة » ، وبالتالي كل نوع من أنواع
الرئاسة . فقرأ فى تاريخ ووصاف (ورقة ١٧٥ وجه) « واو آقاين وتقدم داشت » =
(٤ - جامع)

المحاولات تمام النجاح ، إذ نجح رشيد الدين من منصبه في الأيام الأخيرة من شهر رجب سنة ٧١٧/١٣١٧ . وبعد خلعه مباشرة ترك مدينة السلطانية وذهب

== أى : كانت له منزلة الرئاسة والتقدم . وفي أكبرنامه (ورقة ١٩٦ وجه) ، نجد هذه الكلمات « مضمون نوگرى وآقاي راند انسته » أى : أنه لا يعرف العلاقة التي توجد بين المرءوس ورئيسه . ونعز على كلمة « آغا » أكثر من مرة في تاريخ التتار لأبي الغازى . وهي تستعمل دائماً بمعنى « الأخ الأكبر » في مقابلة كلمة « ابني » ، انظر الصفحات ٨ و ٣٥ و ٧٧ وغيرها) . ونقرأ في أخبار رحلة المبشر أودريك (Oderic) (التاريخ العجيب . . . لجان بلاد التتار الأعظم ورقة ١٠٩ وجه) أن سكان « كساي » ، عاصمة الصين ، أظهروا احتراماً شديداً لرجل الدين هذا ، فأطلقوا عليه لقب « آغا » ، أى الأب . ولكن هذا الكلام يعوزه شيء من الدقة ؛ فإن هذه الكلمة لا تدل ، كما رأينا ، على الأب ، بل على الأخ الأكبر . ونجربنا الأستاذ بيرس (Travels into Bokhara , Bwrnes) (مجلد ١ ، ص ١٧٧) أنه لما كان لدى أسرة « هزاره » استقبلته بحوز وحيته بلقب « آغا » . ويذكر (نفس المرجع ، ص ٢٠٠) أن الأفغانيين ، إذا أرادوا تكريم شخص ما ، خاطبوه بلقب « خان أو آغا » والواقع أننا نعرف أن كلمة « آغا » منها في لغة الأتراك الغربيين رئيس أو سيد . ويجدر بنا ، قبل إتمام هذا البحث ، أن أفسر كلمة أخرى من السهل أن تختلط بالكلمة التي فسرناها ، وهي كلمة « آغا » التي قد تكتب « آقا » والتي تطلق على أبة أميرة من أميرات البيت المالك . وتجمع على « آغايان » أو « آقايان » . فنتقرأ في ظفرنامه (نسخة المؤلف الخاصة ، ورقة ١٣٣ وجه) « آغيان وشاهزاد كان ونوبينان » أى : الأميرات والأمراء والنوبينان . ونجد في موضع آخر (ورقة ١٣٣ وجه) آغا يانرا بازگردانيد مكربانوى كبرى چليا نملك آغا بنت حاجى بيك جته . « أى فسرح جميع الأميرات ماعدا الزوج الأولى چليا نملك آغا ، ابنة حاجى بيك جته » ، وفي مكان آخر (ورقة ١٤٧ وجه) تقرأ « شهرزاد كان وآغايان وأمراء » ، أى : الأمراء والأميرات والأمراء . وفي (الورقة ١٥٠ وجه) « سرايملك خاتم وتومان آغا باتماي اغايان » أى : سرايملك هاتم وتومان آغا ، مع الأميرات الأخريات . وفي الورقة ١٥٤ ظهر ، « آغايان وشهرزاد كان » أى الأميرات والأمراء . وفي الورقة ١٨٤ ظهر : « سرايملك خاتم وتومان آغاود بيكرخواتين » أى : سرايملك هاتم وتومان آغا الزوجات الأخريات . وفي الورقة ١٩٠ وجه « ديسكراغايان وخواتين » أى : الأميرات الأخريات والزوجات . ويتكلم دولتشاه (تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقم ١٣٢ ظهر) عن شاد ملك آغا زوجة خليل سلطان . ويذكر (نفس المرجع ورقة ==

إلى تبريز . ولم يرض الأمير سونج عن هذا الإجراء ، بل حزن من أجله حزناً حاراً . ولما كان في هذا الحين ملازماً القراش ، كان لا يفتأ يكرر أنه سيعمل بمجرد شفائه ، على إعادة رشيد الدين إلى منصب الوزارة . وفي هذه الأثناء عقد أبوسعيد العزم على الذهاب إلى بغداد لقضاء الشتاء فيها . فأمر سونج أن يحمل على محفة ليلحق بجاشية الأمير . ولم يكد يصل إلى بغداد ، حتى وافته منيته في الأيام الأولى من شهر ذى الحجة من السنة نفسها . وحينما لاحت بوادر الربيع ، قفل أبوسعيد راجعاً إلى السلطانية . ولما اقترب من تبريز ، بعث الأمير جوبان إلى رشيد الدين يقول له : « إن غيابك قد أضر بمصالح المملكة ضرراً بليغاً ، ولا بد من حضورك لإعادتها إلى سيرتها الطبيعية . فاجعل ، إذن ، بالمجيء إلى القصر لتسلم المنصب الذى فقدته » . واعتذر رشيد الدين وأجاب بهذه العبارات : « لقد قضيت حياتى شريفاً ، ولم يتأت لأحد غيرى

(= ١٣٨) (وجه و ١٤٩ ظهر) جوهر ساد آغا، زوجة شاهرخ ، وفي موضع آخر (ورقة ١٣٩ وجه و ١٤٩ وجه و ١٥٠ وجه) جوهر شاه بيك ، وأخيراً جوهر شاد خانم . (ورقة ١٤٩ وجه) . وفي مطلع السعادتين (مخطوطة فارسية إبعكبية الأرسينال رقم ٢٤ ، ورقة ١١٦ : وجه) تقرأ آغاخان از جانب دار السلطنت هراة رسيدند « وصلت الأميرات من هراة عاصمة المملكة » . ويستعرض ذيل رشيد الدين (مخطوطة فارسية رقم ١٥٨ ، ورقة ٤٩١ وجه) « آقاخان وخواهين وأمراء » أى الأميرات والزوجات والأمراء « وتقرأ في تاريخ ميرخوند (الجزء الخامس ورقة ١٦٤ ظهر) هذه العبارة : « صورت حادثه را معروض آقاخان وخواهين گردانيدند » أى « وبلغت هذه الحادثة إلى الأميرات وزوجات السلطان » وتقرأ بعد ذلك بقليل (ورقة ١٦٥ ظهر) « مجموع شاهز دگان وآقاخان وکويبينان وأمرا » أى : مجموع الأمراء والأميرات والنويينان والأمراء . وفي تاريخ المغول (Geschichte der ost Mongolen) ص ١٧٩) وجدت أميرة تدعى « ساغان آغا » .

أن يقوم بمهام الوزارة بنفس النجاح والشرف اللذين توفرا لى . واليوم أصبح لى عدة أبناء يشغلون مناصب هامة . فأريد ، إذن ، أن أفضى الأيام القليلة التى بقيت لى فى الحياة فى خلوتى ، وأن أنفقها فى التكفير عن أخطائى » .

وكان لرشيد الدين فى هذه الفترة ثلاثة عشر ولدا . ولم يرد الأمير أن يسلم بهذه الأعداء ، فألح عليه إلحاحا شديدا أن يظهر فى القصر . واستجاب رشيد الدين لهذا الرجاء المتواصل ، وحضر إلى جوبان الذى استقبله بابتهاج عظيم ، وغمره بآيات التكريم وعلائم التقدير ، وقال له : « سأذهب إلى السلطان ، وأخبره أنى علمت بالتجربة أنه لا يوجد من يماثلك فى حكم الإمبراطورية بمجدارة وحزم ، وأن الإدارة قد شلت حركتها بعد رحيلك ، وفقدت رونقها » . ثم أضاف قوله « انتظرنى حتى أعود إليك بالإجازة التى ترجعك إلى مرتبة الوزارة » .

ولعله كان يجدر برشيد الدين أن يصير بشجاعة على رفض هذه المقترحات المفرطة فى الإغراء . وكان عليه أن يتذكر أن هذا الرجل نفسه الذى يتوسل إليه الآن فى أن يتسلم زمام الحكم ، هو الذى أسلمه بكل جبين لا انتقام أعدائه ، بعد أن أكد له صداقته وحمانيته . ولكن رشيد الدين كان فى هذه الظروف يستحق الرثاء أكثر مما يستحق اللوم . فاقفاد أمام إغراء الإلحاح عليه من أمير يحتل المركز الأول فى الدولة ولا ينقصه غير اسم السلطان . وتأثر للفوضى التى حلت بالإدارة وتمنى أن يقدم علاجا ناجحا للداء الذى سببه جهل

خلفائه واختلاساتهم ، ولعله أيضا اندفع ببقية طموح لا يستطيع أحكم الرجال أن يقضى عليه في نفسه قضاء مبرما ، فقبل أسفا . وكان هذا الخضوع سبب ماحل به من كوارث . والحقيقة أن على شاه وأشياعه لم يعلموا بهذا الخبر حتى عمهم الحزن ، وبدأوا يحكيون له دسائسهم . وعملوا على استئالة معاوني الأمراء بالهدايا الفاخرة ، ولاسيا أبو بكر آقا موضع ثقة الأمير جوبان . وقد انصاع هذا الرجل لأغراضهم ، وتعهد بجرمان رشيد الدين من حياية الأمير ، وبتقديم اتهام رسمي ضد الوزير . وهذه هي الوسيلة التي ابتكرها المتآمرون لضمان نجاح مؤامرتهم : أخبروا أبا سعيد أنه لما كان ألبايتوفى مرضه الأخير ، نصحه رشيد الدين عمدا باحتساء شراب معين سبب موته ، وأن إبراهيم ابن الوزير وساقى الملك هو الذى قدم له هذا الشراب بالاتفاق مع أبيه ، وأخذ زنبورى على عاتقه مهمة التبليغ . فصدم أبو سعيد أمام هذا الاتهام ، واستدعى رشيد الدين إلى القصر فورا ، وأمر بمحاكمته . ولما كان الأميران تاجق وحاجبى دلقندى قد شهدا بصدق هذا الحادث ، فقد اعترز السلطان إعدام رشيد الدين وابنه أشنع إعدام ، باعتبارهما قاتلى ألبايتو . هذه هي الرواية التى يقدمها لنا ميرخوند مكمل كتاب مؤرخنا ^(١) ، وخوندمير . ويضيف الصقاعى بعض التفاصيل التى أثبتتها فيما يلى . يذكر هذا الكاتب ^(٢) أنه جرى رشيد الدين

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦١ وجه و ٦٢ ظهر .

(٢) مخطوطة عربية رقم ٧٣٢ ، وورقة ٨٣ وجه ، و ٨٤ ظهر .

إلى السلطانية على خيل البريد . ولما مثل أمام الأمير چوبان ، وجهت إليه تهمة دس السم للسلطان ألبايتو . فأجاب بقوله « كيف يتأتى أن أرتكب مثل هذا الجرم ، وأنا أدين لهذا السلطان وأخيه برفعتي ؟ ففي عهدهما أسندت إلى إدارة شئون المملكة وماليتها . ولم يكن بيت في شأن من الشئون إلا بأمرى . وبفضل منح هذين السلطانين أصبحت أملك العقار والنقود والجواهر والثروات التي لا تحصى » . واستدعى جلال الدين بن حران الذي كان طبيباً لألبايتو واستجوب حول موت السلطان الذي اتهم رشيد الدين بدس السم له . وأجاب على هذا النحو « أصيب السلطان بعسر هضم شديد مصحوب بإسهال غريب وفيه متلاحق . ولما دعيت واستشرت في العلاج الذي يقتضيه الحال ، قررت ، بالاتفاق مع الأطباء الآخرين ، إعطاء السلطان دواء قابضاً لتقوية المعدة والأمعاء . وكان رشيد الدين وحده على عكس هذا الرأي ؛ إذ ادعى أن هذا التعب ناشئ عن تجمعة ، وأنه لابد من مواصلة التفريغ ، فأعطينا السلطان دواء مليناً زاد الإسهال وأدى بالمريض إلى القبر » . واعترف رشيد الدين بهذه الحقيقة ، فقرر چوبان أنه مسئول عن موت السلطان وحكم عليه بالموت . واقتيده هو وابنه إلى مكان الإعدام . وبدى بإعدام إبراهيم الذي لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره ، وكان يجمع بين جمال الخلقة وطهارة النفس ونبل الخلق . وبعد أن شاهد رشيد الدين موت ولده وفي اللحظة التي كان هو فيها على وشك الموت ، كلف أحد الحاضرين

بأن يقول لعلي شاه من قبله : « هاأنذا أموت بريثا ضحية لاتهماتك الكاذبة وسيأتي يوم تطالبك فيه العناية بحساب إعداي » . ولم ينته من هذه الكلمات حتى كان حاجي دلقندي قد شطر جسمه شطرين . ويذكر أحد المؤرخين الذين تقدم ذكركم ^(١) أن الأمير عزالدين طالب الملقب بدلقندي والذي ينتسب إلى آل علي ، قد قبل القيام بوظيفة الجلاد بترحاب شديد ، لكي يتأمر من رشيد الدين لموت تاج الدين الذي سبق أن تكلمنا عن نكته . وقد وقع هذا الحادث الأليم في السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٩/٧١٨ في قرية اسمها جوسقندر تقع غير بعيد من تبريز . ثم حملوا رأس رشيد الدين إلى تبريز ، وطافوا شوارعها ، وهم يصيحون « هذا رأس اليهودي الملعون الذي حرف كلام الله » . ويقال إن جسمه قطع إربا ، وأرسلت أشلائه إلى مختلف مدن الإمبراطورية ^(٢) . ولسكناسرى بعد قليل أن هذا القول غير صحيح . وقد جرد أبناء رشيد الدين وأقاربه من أملاكهم . ونهب الحى المسمى بالربع الرشيدى الذى كان هذا الوزير قد شيده فى تبريز . وصدورت منقولاته وعقاراته ، وحتى الأموال التى أوقفها على الأعمال الخيرية لم تسلم من المصادرة .

وهكذا لقي رشيد الدين حتفه فى الثالثة والسبعين من عمره ، بعد خدمات

(١) عمدة الطالب ، مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٢١٥ ظهر .

(٢) الفريزى - كتاب السلوك ، مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، ص ٧٣٢ .

طويلة كان يبدو أنها تؤهله لجزء غير هذا الجزء . ولكن من الأمور الغالبة في قصور الشرق أن يكون الموت العنيف جزءا مشتركا لكل من الجريمة والفضيلة . إذ يقدم لنا تاريخ هذه الأقطار أمثلة شنيعة لاتنسى في كل صفحة من صفحاته . وفي كل مكان منها نرى الفضيلة تتلوى بين مخالب الغدر والدسيسة ، حتى تهوى تحت وطأة هذا الصراع غير المتعادل . وإذا كان الباغي يحنى في نهاية الأمر العقاب الذي تستحقه أوزاره ، فإنه في معظم الأحيان لا يهلك لأنه باغ ، بل لأن تركته قد أسالت لعاب طاغية آخر .

دفن جثمان رشيد الدين في تبريز بالقرب من المسجد القائم في الحى الذى بناه هذا الوزير ، ولكن الأقدار أبت عليه أن يظل هادئا في المأوى الأخير الذى لم يجرؤ أعداؤه على منازعته إياه . وبعد وفاة رشيد الدين بحوالى قرن (١) عهد تيمور إلى أحد أبنائه بحكومة مدينة تبريز ، وكل إقليم آذربيجان . ومن سوء الحظ أن هذا الأمير الشاب الذى كان يتحلّى بصفات عالية بطبيعة الحال ، كبا به جواده ذات مرة فأصيب بتلف في المخ تطور إلى جنون دائم . فكان إذا جاءت نوبة هذا المرض عمد إلى اضطهاد الرجال الذين يمتازون بالكفاءة ولم تقف عربدته الجنونية عند الأحياء ، بل راح يباشرها على الأموات أيضا . وكان جثمان رشيد الدين قد بقي حتى هذه الفترة في الضريح الذى بناه لنفسه في الحى المعروف بالربع الرشيدى بتبريز . فأمر ميرنشا بنيش عظامه ودفنها في مدافن اليهود .

(١) دولت شاه ، تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ١٢٣ ظهر .

وبما حدث أن الأمير ايش كنتك الذى كان فى خراسان ، لما وصل إلى القصر بعد موت رشيد الدين بثلاثة أيام ، حزن حزنا شديدا لهذا الحادث الأليم ، ووجه إلى الأمراء أشد اللوم ، وسألهم عن أى فائدة جنوها من قتل رجل كان قد وصل إلى نهاية حياته بحكم الطبيعة نفسها .

هذا إلى أن جميع الذين دبروا مؤامرة موته ، قد ماتوا كلهم تقر يباى نفس العام . فدلقتدى ألقى عليه القبض على باب القصر ، وشطر جسمه شطرين بأمر الأمير جوبان وأرسل زنبورى إلى آسيا الصغرى لدى الأمير تيمورتاش ، حيث اختفى تماما . وذلك لأن هذا الرجل كان قد دبر بالاشتراك مع دلقتدى وبعض الدساسين الآخرين خطة لاغتيال الأمير جوبان أمام باب القصر . وتعهد دلقتدى ، الذى لم يكن يخشى أى خطر بتنفيذ المؤامرة . ووعد بأن يطعن الأمير بمجرد أن يصدر إليه زنبورى الإشارة المتفق عليها . ولكن جوبان علم بالمؤامرة ، فقبض على مدبريها . ولقى أبو بكر حتفه بعد ذلك بوضع سنوات ، ولم يعمر جوبان بعده طويلا . وقصارى القول أن الذين لطفوا أيديهم بدم رشيد الدين ، لاقوا ، كلهم تقريبا ، جزاء جرمهم وماتوا موتا غير طيبى .

أما على شاه الذى كان روح المؤامرة ، فقد هلك لها وكبر باعتبارها نصرا رائعا له ، ولما كان ينظر إلى موت عدوه على أنه حادث سعيد ، فقد شكر الله عليه بقرابين فاخرة . وهذا ما قرؤه بهذا الصدق فى كتاب باللغة العربية

عن تاريخ مكة من تأليف تقي الدين القاسمي^(١) « ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال ، وفي كل حلقة ست لؤلؤات فأحرات ، وبينها ست قطع بلخش فاخر ؛ بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبي سعيد خدا بنده ملك التتر ، على يد الحاجي مولواوخ (بولواوخ) في سنة ثمان عشرة وسبعائة . ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه منه أمير الركب المصري في هذه السنة ، وقال هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان ، يعني صاحب مصر إذ ذاك ، وهو الناصر محمد بن قلاوون . فقال الحاجي مولواوخ إن الوزير على شاه كان نذر متي ظفر بخواجه رشيد الدولة (الدين) وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين ؛ فيقال إنه أذن له في تعليقهما زمنا قليلا ثم رفعتا وأخذها إذ ذاك رميثة بن أبي ثمن من آل قتادة » .

كان على شاه أشد الذين تعاونوا على موت رشيد الدين جرما ، ومع ذلك فقد كان أسعدهم ، وهو الوحيد الذي جنى ثمرة إجرامه^(٢) . فقد ظل يتمتع بعطف السلطان ست سنوات متتالية ، وعرف كيف يحتفظ - دون انقطاع - بالمكان السامي الذي رفعه إليه حسن طالعه ودسائسه . ولما حل به المرض ، أولاه

(١) مخطوطة عربية رقم ٧٢٢ ، ورقة ٤٦ ظهر . يقصد كتاب « شفاء النزام بأخبار البلد الحرام » ، (طبع في مصر عام ١٩٥٦ ، في جزأين ، مطبعة عيسى الحلبي ، والنص في ص ١١٨ ، ج ١) .

(٢) مخطوطة فارسية ١٦٨ ، ورقة ٥٠٩ وجه ، وميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٣٠ وجه ، وحبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٤ ظهر .

أبو سعيد شرف زيارته الشخصية ، كما بعث إليه بأمر الأطباء . ولكن بالرغم من كل هذه العناية استفحل فيه المرض حتى قضى عليه في الأيام الأولى من سنة ٧٢٤ / ١٣٢٣ . وكان هو الوحيد الذي مات موتا طبيعيا بين جميع الذين تولوا الوزارة في امبراطورية المغول منذ إنشائها . وحمل جثمانه إلى تبريز ودفن في رحاب المسجد الذي شيده . وأغدق السلطان نعمه وتكريمه على أقاربه ، وولى ولديه منصب الوزارة شركة بينهما ، ولكن لم يلبث الأخوان أن دب بينهما الانقسام ، وثارَت بينهما الخصومات ، وراح كل منهما يكيّل الاتهام للآخر . فقبض عليهما معا وأوشكا أن يلقيَا حكم الإعدام . وإذا كانا قد فازا بالاحتفاظ بحياتهما ، فقد عزلا من منصبهما ، وألزاما بالتخلي عن الثروات الواسعة التي جمعها لهما أبوهما ، والتي جمعها بنفسيهما في فترة صعود نجميهما .

لم يلبث أبو سعيد أن شعر بأنه انصاع لآتهامات أعداء رشيد الدين دون روية ، وأن موت هذا الوزير كان خسارة حقيقية للدولة ، فحين التمس منه الأمراء أن يسند منصب الوزارة الى غياث الدين بن رشيد الدين ، اعترف بأنه منذ أن ترك رشيد الدين رئاسة الحكومة ، والإدارة في حالة هبوط ، وأنه لم يكن بين خلفائه أحد جدير بسد فراغه (١) .

أراد أبو سعيد بطريقة ما أن يصلح الجور الذي أنزله برشيد الدين ، فرأى أن خير وسيلة لذلك هي أن ينصب ابن الوزير المنكوب في المكان المرموق

(٧٨) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥١٥ ظهر ووجه .

الذى ترشحه له خدمات والده وكفاءته الشخصية دون منازع . وقد حاز هذا الاختيار تعضيد الجميع ، وشهد الأمراء بالإجماع أنه لا يوجد بين الطامعين فى الوزارة من يجارى غياث الدين فى محتده وتعليمه ومعرفته بالأمر (١) ، ولم يكن فى هذا المديح شىء من المبالغة (٢) ، والحقيقة أن غياث الدين كان ذا طبيعة غاية فى التوفيق ، واستطاع أن يجمع بين الفضائل الاجتماعية والصفات التى تكون رجل الدولة . كانت تقوم طبيعته على نوع من الكرم لاحد له . وكان متضلعا فى معظم العلوم ، ويستطيع التعبير عن أفكاره فى بلاغة خلاصة صافية . وأدى فريضة الحج فى صباه (٣) ، كما كان لا يدع مناسبة إلا أظهر فيها تعلقه الصادق بدين الإسلام .

وفى أول الأمر ضم إليه علاء الدين كساعده له ، وهو إحدى شخصيات خراسان الرئيسية ، ولكن لم تمض ثمانية أشهر حتى عين هذا الأخير على بيت مال المملكة ، فأصبح غياث الدين (٤) وحده على رأس الدولة ، فلم يدخر جهدا فى العمل على الوصول بالامبراطورية إلى قمة المجد والرخاء . فكان قوى الإيمان يعمل على حماية ذوى الكفاءات ويغدق عطاياهم على العلماء ، كما كان يحرص

(١) ميرخوند ، الجزء الخامس ، ورقة ١٣٢ وجه .

(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٦ ظهر ووجه .

(٣) يقدم لنا المؤلف العربى للتاريخ آل على تفاصيل حول هذا الحادث (عمدة الطالب

مخطوطة عربية رقم ٦٣٦ ، ورقة ٨٤ ظهر ووجه) .

(٤) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٢٩ ظهر ووجه ، وورقة ٥٣٠ ،

ميرخوند الجزء الخامس ، ورقة ١٣٦ وجه ، وورقة ١٣٧ ظهر ، حبيب السير ، مجلد

٣ ، ورقة ٦٦ .

على كسب ود الجند وضمان أمن الأفراد من جميع الطبقات ، وازدياد السكان ، وازدهار الزراعة . ولما رأى أولئك الذين ساعدوا على الإيقاع برشيد الدين أن السلطة بين يدي ابنه ، استولى عليهم الرعب ؛ ولكن غياث الدين كان يضم إلى محاسنه العديدة صفتي الدمثة والرحمة اللتين لاتنال منهما الأحداث ؛ عفا عن جميع أعدائه ، ولم ينتقم من أحد منهم ، بل على العكس من ذلك غمهم بنعمه ومكرماته .

ولكن غالبا ما تكون أصفى الفضائل وأسمها جصنا خائرا ضد جحود البشر وسوء فعلهم . فبينما كان غياث الدين يعمل بحكمة إدارته على كسب محبة المغول جميعا واحترامهم ، أوشك على التردى في الهاوية من جراء مؤامرة شنيعة . اذ كان هناك أمير يسمى نارين طاغى يجمع بين الجرأة والفدر والطموح الذى لاحد له ، فضم اليه بعض الأشخاص الذين لايقولون عنه سوءا ، ودأب على الإيقاع بالرجال ذوى المكنة والذين تحول نزاهتهم وشجاعتهم بينه وبين الوصول إلى أغراضه . وكانت أولى هجماته موجة ضد غياث الدين الذى كان على علم بمناورات عدوه ، وفى قدرته أن يحول بينه وبين نتائجها دون مشقة ، ولكنه لم يقابلها إلا بالصمت والاعتدال جريا على عادته . ولما رأى نارين أنه لن ينجح فى الدس له لدى السلطان ، صم على اتخاذ طريق أقصر من ذلك ، وهو طريق الاغتيال . فاستصحب معه بضعة أشخاص من ذوى الجرأة ومعهم أسلحتهم التى أخفوها فى ثنايا ثيابهم وتوجه بهم إلى منزل

غياث الدين وطلب مقابلته متذرعاً بأن لديه طلباً يريد أن يتقدم به إليه. ولم يكن لدى الوزير أدنى ريب في وجود مؤامرة ضده ، فأمر بإدخاله فوراً . فأراد نارين الدخول بسلاحه ومعه نفر من أتباعه ، ولكنه التقي في طريقه بأخ غياث الدين اسمه شريف الدين أمير أحمد . فأخبر نارين أن لديه أوامر مشددة بمنع أى شخص من الدخول لدى الوزير بسلاحه . وفي الوقت نفسه جرده من سلاحه ، وتركه يدخل وحده ، وبقي هو على الباب ليمنع من أن يتبعه أحد من مراقبيه . ولما رأى أن تقديره قد فشل ، تقدم إلى غياث الدين ، ورجاه بكثير من الإلحاح أن يتفضل بتقديم خدمة له لدى السلطان ، وأن يرجوه بحسن استقباله . فوعده غياث الدين بالتأييد التام ثم صرفه بعد أن أخبره بأنه ذاهب إلى القصر من فوره . ورأى نارين في ذلك شيئاً من الأمل ، وذهب إلى المدرسة المجاورة يترقب مرور الوزير ، ولكن مصادفة سعيدة جعلته يسلك طريقاً آخر . ولما وصل لدى السلطان ، كان أول همه أن يفي بوعده ، وكله بحماس شديد في مصلحة نارين . فذهش السلطان لذلك ، وسأله عما إذا كان يجهل أمر المؤامرة التي دبرها ضده هذا الرجل الذي يسعى لمصلحته . وأجابه غياث الدين بأنه عبد السلطان وليس له هدف آخر غير القيام بخدمته ، ثم أضاف قائلاً : « هذا إلى أنه إذا كان نارين قد أراد بي شراً ، فإن الشر الذي أراده لي سيحقيق به هو لا محالة » . وأصدر أبو سعيد أمره فوراً بالقبض على نارين . وفي هذه الأثناء كان نارين قد أدرك أن غياث الدين

قد اتخذ طريقا آخر ، فامتطى جوادا واقتفى أثره ليدركه على باب القصر .
ولكن أحد أصدقائه قابله ، وهو يعبر السوق ، فأخبره بأمر القبض الذى
صدر ضده من السلطان . ولما سمع هذا الخبر لاذ سريعا بالفرار ومعه أنصاره
المخلصون . ولكنه قبض عليه وأحضر إلى القصر ، ولم يلبث أن تلقى الحكم
الذى يستحقه . وإذا كان غياث الدين لم يستطع منع عدوه من الموت ، فإنه
أظهر اعتداله باستصداره العفو عن علاء الدين محمد الذى ثبت اشتراكه فى
فى المؤامرة ومشاطرة نارين نواياه السيئة .

وبعد ذلك بزمن ما ، أعنى فى سنة ٧٣٤ / ١٣٣٣ - ٣٤ ، ولى
السلطان على حكومة فارس أميرا اسمه مسافر إيناق ^(١) فأوغر ذلك الاختيار

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٣٢ ظهر ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة
٦٧ ظهر .

(٢) كلمة « إيناق » التى تكتب أحيانا « اناق » ليست علما ، بل لقب يطلق على
الشخص الذى يتمتع بأقصى ثقة العاهل ، أو أحد مستشاريه الشخصيين الحميين .
فقرأ فى تاريخ رشيد الدين (ورقة ٣١٠ وجه) : « وهرچند اينافان بنصیحت گفته
اند » أى : بالرغم من أن الإيناقين « قد كلموه باخلاص » وقرأ بعد ذلك بقليل : « أو
اتریت فرمود و بزرك گردايند تا بجائی سيد كه ايناق كشت » أى : لقد كرمه وزرع
مرتبته ، وبذلك وصل تابعه إلى الحصول على مرتبة « إيناق » . وفى موضع آخر (ورقة
٣٢٤ ظهر) « أميرآبوقا كه ايناق أحمد بود » أى : الأمير أبوقا الذى كان إيناق أحمد .
وفى موضع آخر (٣٤٣ وجه) « باامرا و اينافان فايدو » أى : مع أمراء فايدو
وايناقيه . وفى ورقة ٣٥٤ ظهر « بيكى ازانافان حضرت سيد » . وفى ورقة ٣٦٠ ظهر
با انافان وخاصكيان : وترد هذه العبارة نفسها كثيرا فى ذيل رشيد الدين . فقرأ فى ورقة
٤٥٠ وجه « أزامرا و اينافان متفصى حال أو بودى » أى كان يأخذ من لدن الأمراء
والإيناقين أخبارا تخصهم . وقرأ بعد ذلك (ورقة ٤٥١) « ازانافان حضرت شده »
أى : صار أحدا إيناقى الأمير . وفى ورقة ٤٦٩ ظهر « با أنافان ميگفت » . وفى تاريخ

صدور بعض كبار رجال الديوان ، واعتمروا قتل هذا الأمير وطاردوه حتى قصر السلطان . فثار السلطان بحق ، لهذا الفعل ، وأمر بالقبض على الجناة وأصدر ضدهم حكم الإعدام . ولكن غاية الدين الذي كان يمنح دائماً نحو الرحمة تدخل لمصلحتهم ، واستطاع أن يستبدل لهم بحكم الإعدام الحكم بسجن كل منهم في إحدى القلاع .

== ميرخوند (الجزء الخامس ورقة ٥١) . باطيشه از اينان خود مشکورت کرده . « وفي موضع آخر (ورقة ٥٣) » از مقربان و اينان برسيد . « وفي ورقة ٨٦ ظهر « ياصد نقران خواص ومقربان و اينان » . وفي ورقة ٩٦ ظهر « بعض از خواص ز اينان كيختاوا » . وفي ١٢٣ ظهر « خواجه تاج الدين على شاه بنات اينان گشته بود » . أي كان على شاه قدصار من ثقات الأمير . وفي تاريخ حبيب السير (مجلد ٣ ورقة ٦٦ ظهر) « سلطان أبو سعيد از بعضی اينان شمه آزين حديث استماع فرمود » . أي علم السلطان أبو سعيد من أحد خواصه طرفاً من هذه الحادثة . . وفي فقرة من تاريخ و صاف (ورقة ١٧٥ وجه) تقرأ هذه الكلمات « شرف اينان در بندگی حضرت يافته بود » . أي : كان قد حاز لدى السلطان لقب اينان التشريني . وتقرأ لدى مكمل رشيد الدين (ورقة ٤٦٨ وجه) « از منصب قضا بمرتبه اينان رشيد » . أي : صد من منصب القضاء إلى منصب اينان .

وتوجد كلمة « اينان » أيضا في أيامنا هذه لدى الأمم الشرقية التي تقطن شرقي بحر الخزر . ففي أخبار الرحلة التي قام بها البارون مايندورف Meyendorff إلى بخارى ص ٢٦٠ ، ترجم كلمة « اينان » بمستشار خاص . ويذكر الأستاذ مورافيف Mouravieff في كتابه Voyage en Turkemenie etakhier ص ٢٦٩ أنه كان لكل قبيلة من قبائل الأزيك التي وفدت إلى خيوا واستقرت فيها ، شيخ أو رئيس يخاطب بلقب « اينان » . وتوجد كلمة « اينان » أيضا في لغة الأتراك الشرقيين ، فقرأ في تاريخ التتار لأبي الغازي (ص ١٠٧) « سلطان نينك براينان بارايردى » أي كان يوجد مقرب للسلطان . وفي صفحة ١٧٩ . « اينان ليق بيرب » . أي لما أعطى لقب مستشار خاص . (وانظر أيضا صفحة ١٣٥) .

وفي خلال السنة التالية^(١) مات أبو سعيد ، فوقعت الإمبراطورية المغولية
فريسة لأعنف الاضطرابات . ولكن غياث الدين عرف كيف يجمع بين
الحزم والدهاء ، ويتخذ قرارات موفقة ، ويسوس النفوس بحكمة جعلت
الأمراء وكبار الموظفين الذين كانوا على وشك امتشاق الحسام ضد بعضهم
البعض الآخر ، يطرحون أحقادهم جانبا ، ويتعاونون جميعا في المحافظة على
سلامة الدولة ورخائها .

خلع لقب « خان » على أر ياقاؤون^(٢) الذى تسمى باسم أر ياقخان ، بناء
على رأى غياث الدين ، وكان أر ياقاؤون^(٣) هذا ينحدر من تولى أو تولوى بن
چنكيزخان . ولكن النار التى كانت قد خمدت فى الظاهر ، لم تلبث أن
اشتعلت من جديد ، والتهمت الإمبراطورية . إذ قام الأمير على باديشاه
شاهرا سلاحه ، وأجلس موسى خان على العرش ، ثم جمع الأثنان قواتهما
وسارا الحرب أر ياقخان الذى سارع هو الآخر للقاء الثوار . وأرسل بعض هؤلاء
الثوار إلى غياث الدين يخبرونه فى الخفاء أنه يستطيع تهدئة الاضطرابات ،
إذا هو ضمن لعل لقب القائد والأمير . فرفض غياث الدين أن ينصت لهذا
الاقتراح ، وأجاب بأبيات ، ترجمتها :

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٣٣ ظهر ، ميرخونده ، ج ٥ ، ورقة
١٣٧ .
(٢) ميرخونده ، ج ٥ ، ورقة ١٣٨ ظهر ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦٨ ظهر .
(٣) المرجع السابق ، ورقة ١٣٩ ظهر .
(٥ - جامع التواريخ)

« لن أخضع أبدا لعدوى ، ولو كان مقره في السماء . وهل رأى إنسان قط أن الصقر يطيع البازي ، والأسد يخنى هامته أمام الثعلب ؟ » .

وأراد أرباخان أن يتخلص من بعض الأسماء الذين يعرف فيهم الشغب ، ويرتاب في اتصالهم بأعدائه . ولكن غياث الدين الذي لم يتنخل عن أسلوب الاعتدال والتسامح نصحه ألا يريق قطرة واحدة من دم . ولكن لما اشتبك الحزبان ، انجاز هؤلاء الأمراء إلى جانب على ، وأدى خذلانهم لأرباخان إلى هزيمته . ففر هذا الأخير . وقاتل غياث الدين ومعه أخوه بيرسلطان بشجاعة الأبطال . ولما اضطرا إلى التسليم للعدو ، تركا المعركة ، ولكنهما لم يلبثا أن وقعا في قبضة المنتصر . فاقتيد الوزير أمام الأمير على الذي استقبله بكل تكريم ، وبذل كل ما في وسعه ليحفظ له حياته ؛ ولكن الأمراء الآخرين أصروا على إعدامه ، فاقى غياث الدين الموت في الحادي عشر من شهر رمضان من سنة ١٣٣٦/٧٣٦ .^(١) وبعد ذلك بثلاثة أيام أو أربعة ذاق أخوه نفس المصير .

ونهب الربيع الرشيدى الذى كان غياث الدين قد زاد في سعته وتجميله ، فضلا عن بيت الوزير نفسه وبيوت أصدقائه . فأخذت منها كمية هائلة من الكتب الثمينة ، والآنية الذهبية ، والفضة المضروبة ، والأثاث ، والنسج من جميع الأنواع . وقد كبر موت غياث الدين على الشعراء والعلماء الذين

(١) انظر تاريخ كزنده ، ورقة ٢٠٩ وجه .

كان يفتق عليهم عطاياهم . فرثاه أحدهم بأبيات يعبر فيها عن ألمه ويبيكي بصورة مؤسفة ذلك المصير الذى انتهى إليه ولى نعمته .

ويكنى أن نذكر هذه القصة لبيان إلى أى حد وصل سخاء غياث الدين^(١) . يحكى أن الأمير الشيخ أبا إسحاق الذى كان قد أعلن نفسه ملكا وجعل مدينة شيراز عاصمة للملكة ، كان يتجاذب أطراف الحديث ذات يوم مع القاضى عضد الدين ، فوجه إليه هذا السؤال : « هل كانت الكفاة فى عهد أبى سعيد تلاقى من التقدير والجزاء أكثر مما تلاقى فى عهدى ؟ » وأجابه القاضى مبتسما بقوله : « هذا ما حدث لى شخصيا . كنت ذات يوم فى مجلس غياث الدين وزير أبى سعيد . فاختصنى هذا الوزير الكريم ، وأشار لى بيده ثلاث سرات ، ثم أتبع آية العطف البسيطة هذه بعطايا ضخمة من المال والعقار ، حتى إن جياتك قدروا عشر إيرادى بمبلغ ثلاثين ألف دينار أدفعه لهم خراجا فى كل عام » . ولما سأله الأمير الشيخ ، كيف كان يحدث ذلك أجابه بهذه العبارات : « كان غياث الدين يجمع فى ليلة الجمعة من كل أسبوع عددا من العلماء والفقهاء ليطارحهم الحديث حول العلوم والآداب ، وكانوا جميعا يجلسون فى القاعدة بحسب درجاتهم . فإذا أبدى أحدهم ملاحظة قيمة ، أشار إليه غياث الدين بأن يتقدم ويجلس قريبا منه . وفى أول مرة حضرت فيها هذا الاجتماع لم يسمح لى بالجلوس على المنصة التى يجلس عليها الوزير ،

(١) خوندير ، حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٦٨ وجه .

فجلست وسط منصة أقل منها ارتفاعا . ولما دار الحديث وجدتنى أتناقش مع بعض العلماء ، وكانت الغلبة لى . فلاحظ غياث الدين انتصارى وأشار إلى أن أصعد إلى مكان أعلى ، مما جعلنى أجلس فى مكان أعلى من أمكنة جميع الجالسين على نفس المنصة . وبدئت مناقشة أخرى ، ولم أكن فيها أقل توفيقا مما فى الأولى . فأشار الوزير إلى بالتقدم حتى صرت على نفس المنصة التى يجلس هو عليها . ولما أحرزت الانتصار الثالث على العلماء الذين كانوا يكوّنون هذا المجلس ، دعانى غياث الدين إلى الجلوس بجانبه مباشرة ، وأسبغ على عطاياه . ولما رأى أصدقاؤه مقدار العناية التى لحظنى بها ، أقبلوا جميعا يقدمون لى آيات الاحترام ، ويعمروننى بالهدايا الثمينة . وما أن سمع الأمير أبو إسحاق هذه القصة حتى أعفى القاضى من مبلغ الثلاثين ألف دينار التى كان يدفعها خراجا سنويا .

كان غضب الدين هنذا يعيش عادة فى مجتمع غياث الدين . وكانت مقدمات كتبه مفعمة بمديح هذا الوزير . هذا إلى أنه جعل عنوان أحد كتبه « الفوائد الغياثية » أى فوائد نافعة مهداة إلى غياث الدين ^(١) . وكتب أحد الشعراء عشر رسالات أهداها إلى هذا الرجل المشهور ^(٢) . ونجد فى كتاب دولتشاه ^(٣) منظومة طويلة يتغنى فيها الشاعر سلمان ساوجى بمحمد غياث الدين ويعدد مناقبه .

(١) حبيب السير ، جلد ٣ ، ورقة ٦٨ ظهر .

(٢) دولتشاه ، مخطوطة فارسية رقم ٢٤٩ ، ورقة ١٠٨ وجه .

(٣) مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٩٦ وجه و ٩٧ ظهر .

وكان حمد الله مستوفى^(١) كاتب رشيد الدين وابنه غياث الدين ؛ وقد أهدى إلى هذا الأخير التاريخ الذى ألفه وجعل عنوانه « تاريخ كزنده ، أى التاريخ المختار . وقصارى القول أن مناقب غياث الدين قد سجلت شعرا ونثرا على يد كتاب عديدين من جميع الطبقات .

لم أعر على أى خبر عن بهاء الدين محمد بن رشيد الدين . وينحصر كل ما استطعت أن أعرفه عنه فى أن كلا من الشاعرين شمس الدين كاشى ، وركن الدين ، قد نظم قصيدة فى مدح هذا الأمير^(٢) ، ولم أجد إلا القليل من التفاصيل عن أخيه شمس الدين عبد اللطيف^(٣) الذى كان ، كما رأينا ، وزيرا للسلطان أبى سعيد ، حينما كان هذا الأمير واليا لخراسان . ويرد ذكر الأمير مظفر الدين سرغل ، أحد أبناء رشيد الدين ، فى تاريخ كزنده^(٤) .

أما جلال الدين الذى أرسل ، كما سبق أن قلنا ، إلى آسيا الصغرى ليرأس الإدارة فى حكومة الأمير تيمورشاه ، فقد قدم لهذا الأخير دليلا ناصعا على إخلاصه وتفانيه^(٥) ، إذ أن بعض الأمراء أرادوا الإيقاع بجويان . والتخلص

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٨ ظهر ، تاريخ كزنده ، مخطوطة برويكس رقم ٩ ، ورقة ٢ ظهر ووجه .

(٢) خوندمير ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٥٩ ظهر .

(٣) خوندمير ، ج ٥ ، ورقة ١٢٤ وجه .

(٤) مخطوطة برويكس رقم ٩ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

(٥) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٠٥ وجه .

فى الوقت نفسه من أبنه تيمورشاه ، وألحوا على جلال الدين فى أن يتعاون معهم فى تنفيذ هذا المشروع . فحاول فى بادئ الأمر أن يصرّفهم عنه ، ولكنه لما رأى أن لا جدوى من إقناعهم ، وأنه إذا صرح هؤلاء المتآمرين بالرفض ، عرض نفسه لموت محقق ، تظاهر بأنه معهم وراح يبلغ كل تدابيرهم إلى تيمورشاه الذى استطاع بفضل معلوماته أن يتجنب هجوم أعدائه .

رأينا من قبل أن پير سلطان قد أعدم بعد أخيه غياث الدين . ويتكلم خوندمير عن أخت لغياث الدين : . وبالتالى ، فهى ابنة لرشيد الدين .

وفى عهد أبى سعيد ^(١) ثبت على الأمير شريف الدين أحمد بن رشيد الدين ارتكابه لأحد الأخطاء ، فصدر إليه الأمر بمغادرة القصر ، ولكن السلطان أراد أن يظهر لأخيه غياث الدين الذى كان وزيره فى ذلك الحين ، فمنحه لقب « أمير الإيلكاه ^(٢) » ، وهو لقب يحول لحامله فى أى مكان بالإمبراطورية ينزل فيه ، سلطة أعلى من سلطة الحكام أنفسهم . وقابل أحمد ، فى طريقه ، السيد عضد الدين عائدا من دلهى ، ومعه نقائس كثيرة قدمت له فى تلك المدينة كهدايا له والسلطان . فحصل أحمد من هذا الرجل على كمية كبيرة من آنية الذهب والفضة بقصد أن يرسلها إلى القصر ويقدمها للسلطان والأميرات لكى

(١) مسالك الأبصار ، مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ١٩ وجه
(٢) نثر على كلمة « إيلكا » أو « إيلكاه » ، باعتبارها لقبا من ألقاب الشرف عدة مرات فى كتاب رشيد الدين . فى جيش هولوكو ، نجد الأمير « قوقا إيلكا » . ودلالة هذه الكلمة لا يمكن أن تكون موضعا للشك ، إذ يجدها لنا صاحب مسالك الأبصار ، وهو كاتب معاصر يمتاز بالدقة والتصديق التامين .

يكسب ودهم ويمهد لنفسه طريق الرجوع؛ ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق مشروعه .

ولما انتصر الأمير الشيخ حسن على موسى وأجلس محمد خان على العرش؛ اختار لمنصب الوزارة شمس الدين محمد زكريا زوج ابنة غياث الدين وابن أخته (١) .

وفي سنة ٧٦٢ / ١٣٦٠ - ٦١ استوزر السلطان عويس ، نجيب الدين أخا شمس الدين زكريا ، أى حفيد رشيد الدين (٢) .

وتولى شمس الدين زكريا هذا نفسه (٣) الوزارة للسلطان حسين ابن السلطان عويس .

وفي سنة ٧٧٥ / ١٣٧٣ - ٧٤ ولى الأمير وحيه الدين إسماعيل بن الوزير زكريا حاكماً على العراق العربي (٤) ، ولكنه لم يعمر في هذا المنصب طويلاً . إذ أنه كان قد قام بحماية (٥) بعض الأشخاص ذوى الأصل الغامض ، ورفعهم إلى مراكز عالية . فاستطاع الشيخ علي بن عويس الذى كان يقطن بغداد في ذلك الحين أن يجتذب إليه هؤلاء الجحوديين ، ويفريهم بقتل ولى نعمتهم

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٩ وجه .

(٢) المرجع السابق ورقة ٧٣ ظهر .

(٣) المرجع السابق ، ٧٥ ظهر .

(٤) المرجع السابق ، ورقة ٧٤ ظهر .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ٧٤ وجه .

وينا كان إسماعيل في طريقه إلى المسجد الجامع في أحد أيام الجمع من سنة ٧٨٠ / ١٣٧٨ - ٧٩ وليس معه إلا نفر قليل ، فسارع بمقابلته شخص اسمه مبارك شاه ، وبأدره بطعنة سيف قوية في وجهه ألفت به على الأرض . وفي هذا الحين كان الأمير مسعود ، أخوز كريا ، خارجا من منزله ، فناداه إسماعيل لتجده . ولما سارع إلى تخليص ابن أخيه ، لم يصل إلا ليشاطره مصيره ، إذ اتقض عليه مبارك شاه وآخر من شركائه ، وأجهزا عليه . وبعد ذلك ذهب الجانيان إلى الشيخ على وأخبراه بالجريمة التي ارتكباها . وهنا طلب إليهما ذلك الأمير أن يطلعاه على رأس عدوه ، فذهبا من فورهما وقطعاه وأحضراه إليه . وعلق الرأس على إحدى العمار التي كان إسماعيل قد شيدها .

وما لوحظ في هذا الصدد أن إسماعيل كان قبل ذلك بقليل جالسا ذات يوم في أعلى العارة ينظر إلى العمال ، ورأى نجارا يريد قطع سهم نأى خارج الجدار ، فعارضه قائلا « دع هذا السهم لكي يستخدم يوما لتعليق أحد الرؤوس » . وكان رأسه بالذات هو الذي علق في هذا المكان . ولكن قتلة إسماعيل لم يلبثوا أن لاقوا جزاء جريمتهم (١) .

وقبل أن أختم هذا المقال يجدر بي أن أقول بضع كلمات عن الحى الذى أنشأه رشيد الدين في مدينة تبريز ، وسمى الربع الرشيدى : لما استولى الملك الأشرف على السلطة العليا في غضون سنة ٧٥٠ هـ ١٣٤٩ - ٥٠ م (٢)

(١) حبيب السير ، مجلد ٣ ورقة ٧٥ وجه .

(٢) المرجع السابق مجلد ٣ ، ورقة ٧٢ ظهر ، تاريخ الكرد ، مخطوطة ديكوروا الفارسية ، رقم ٨٨ ، ورقة ١٦٣ ظهر .

وجعل مقر قصره في تبريز ، اختار الربيع الرشيدى لإقامته . وأمر بحفر خندق حوله ، ثم أصدر أوامره إلى جميع سكان تبريز ، من كبار أعيان المدينة حتى العمال والصناع ، بأن يشيدوا منازلهم ويستقروا حول هذا الحى . أما أولئك الذين لم تسمح لهم ثروتهم بهذه النفقات ، فقد أنزلوا المساكن الخاصة بالفقراء ومن ثم أصبح الربيع الرشيدى معمورا بجمهور هائل من الأشخاص الذين ينتمون إلى جميع الطبقات .

وبعد ذلك بثمانية أعوام^(١) ، اضطر هذا الأمير إلى الفرار أمام جيوش جاني بك ، خان كاپتشاك ، المنتصرة ، فترك الربيع الرشيدى وانسحب إلى مدينة أوجان . ونقل نساءه ونفأسه فوق جبل ميزد الواقع في نفس المكان الذى تنبع منه عين رشيد الدين .

ولما استولى السلطان أويس على تبريز في السنة التالية^(٢) ، اختار الربيع الرشيدى محلا لإقامته . وهناك مات هذا الأمير^(٣) « در عمارت رشيدى » . ونقرأ في كتاب « حياة الشاه عباس الكبير »^(٤) أن هذا العاهل حول الربيع الرشيدى إلى قلعة ، كما أننا نعلم من هذا الكتاب نفسه^(٥) أن الربيع

(١) حبيب السير ، المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ورقة ٧٣ ظهر

(٣) تاريخ الكرد ، ورقة ١٦٧ وجه

(٤) مخطوطة الأستاذ دى ساسى ، ورقة ١٦٧ ظهر .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ١٧٧ وجه .

الرشيدى كان يقع شرق تبريز. ويتحدث Chardin عن قلعة كبيرة خارج تبريز تسمى القلعة الرشيدية^(١). وفي رحلة لتاجر إيطالى زار فارس فى أوائل القرن السادس عشر تذكر قلعة كبيرة تقع شرق تبريز عند سفح تل وبها قصر منيف. وهذه القلعة، إذا لم أخطئ، هى الربع الرشيدى، ويبدو أن هذا الربع لا يزال قائما اليوم باسمه القديم.

الجزء الثانى

رأينا فى الجزء الأول من هذا التقديم رشيد الدين، باعتباره حاكما، لإمبراطورية كبيرة، وموضعا لثقة ثلاثة سلاطين متتابعين. وبقي علينا الآن أن ننظر إليه باعتباره أديبا وكاتبا. وقد قلنا فى غير هذا المكان إن رشيد الدين رأى نفسه، على الرغم منه، منساقا فى دوامة القصر منذ ميعه صباح، ومضطرا إلى بذل كل وقته فى الاشتغال بتفاصيل الإدارة الشائكة، فلم يستطع إشباع ميله الخاص نحو الدراسة بالقدر الذى كان يتمناه. كما أنه، فضلا عن ذلك، كان عرضة لأمراض متتابة أضاعت عليه جزءا من الوقت الذى تركته له تلك المشاغل العديدة التى كان يزرع تحت عبئها^(٢). ولكنه كان مولعا بالمعرفة أشد الولع، ذا قدرة على العمل لا تعرف التعب، وذاكرة يضرب بقوتها المثل؛ فاستطاع، رغم كل هذه المشاغل والموانع، أن يجد لنفسه

(١) Voyage en Perse، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) المجموعة الرشيدية: مخطوطة عربية رقم ٣٥٦، ورقم ١٦٠ وجه، ٢١٢ ظهر.

الوسيلة لمعالجة الآداب والعلوم والإحاطة بالدين الإسلامي إلى أعمق حد . فكان يقضى كل نهاره في تصريف شئون الدولة ، ثم ينفق في الدراسة الساعات التي ينفقها غيره من الناس في الراحة والنوم ^(١) . وكان ضنينا بوقته إلى حد أنه كان في أسفاره وعلى صهوة جواده ، لا يكف عن التفكير في المواضيع التي تتطلب أهميتها فحفا عميقا ^(٢) . ولذلك ، إذا كان رشيد الدين يشكو في كثير من المواضيع من الشكوى من مجزه عن قراءة الكتب الهامة وتحصيل المعرفة الجدية ، فإنه ينبغي لنا ألا ننسب إلى أسفه هذا إلا دلالة نسبية ؛ وسرى أنه ، رغم تظاهره بالجهل ، كان يحيط بمجفل من المعارف العميقة المتنوعة ، وأن مؤلفاته الضخمة تكفي وحدها لتخليد ذكر أوسع العلماء اطلعا ورأيا .

إذا غضضنا النظر عن الطب الذي أقبل رشيد الدين على تعلمه منذ زمن مبكر ، وعن شتى فروع المعرفة الأخرى التي ترتبط بهذا العلم برباط مباشر ، وجدنا أنه أيضا لم يهمل دراسة الزراعة والهندسة والميتافيزيقا واللاهوت . وكان يحيط بإحاطة تامة بكثير من اللغات ، وهي :

الفارسية والعربية والمغولية والتركية والعبرية ، وربما الصينية أيضا .
الأولى من هذه اللغات لغته الموروثة .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢٨١ وجه .
(٢) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٦٧ ظهر .

أما بالنسبة للعربية ، فلا يمكن أن يخامرنا شك في معرفته بها ، إذ قد رأينا ، فيما سبق أنه كلف من قبل غازان خان بكتابة جميع الكتب التي ينبغي كتابتها بالعربية ؛ هذا فضلا عن أننا سنرى فيما يلي أنه ألف بهذه اللغة كتابا هامة .

والإمام التام بالمغولية كان ضروريا لرشيد الدين ، لكي يستطيع العيش في حاشية السلاطين الذين جلسوا على عرش فارس في هذه الفترة ، إذ الواقع أن هؤلاء الأمراء كانوا يستعملون لغتهم القومية ، وعلى وجه الخصوص في الحادثة . هذا إلى أن رشيد الدين كان مضطرا ، كما سنرى ، إلى أن يقرأ ويفحص ، بعناية تامة ، الحوليات والمذكرات الأخرى المكتوبة باللغة المغولية ، كما أنه هو نفسه يحدثنا ^(١) بأنه ترك عدة كتب بهذه اللغة .

أما فيما يتعلق بالتركية ، فإن مؤلفنا كثيرا ما يتكلم عنها ويورد الكثير من ألفاظها إلى حد يستحيل معه ألا يكون على معرفة عميقة بها .

وأما العبرية ، فهناك أسباب هامة تحملنا على القول بأن رشيد الدين كان يعرفها . ولن نستشهد هنا بهذا الخطاب الذي نسب إلى رشيد الدين ، وكان مكتوبا بالحروف العبرية . لأنه من الممكن جدا أن تكون الحروف عبرية واللغة عربية أوفارسية . ولكننا نرى رشيد الدين في حاجة له ضد اليهود ، يتكلم عن فقرات اقتبسها من التوراة ، ويقدم لها بهذه العبارات ^(٢) :

(١) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ٣٥٦ ، ورقة ٢١٣ ظهر .

(٢) المجموعة الرشيدية ، مخطوطة عربية ٣٥٦ ، ورقة ١١١ وجه .

«سنترجم هذه الفقرات إلى العربية أو إلى الفارسية تبعاً لما إذا كنا سنكتب كتابنا بهذه اللغة أو تلك ، وكذلك حتى يستطيع قراءتها وسماعها كل من لا يعرفون اللغة العبرية » . ونراه في موضع آخر يذ كر فقرة من سفر التكوين ثم يضيف قائلاً^(١) : « هذا النص العبري معناه ، إذا ترجم إلى العربية : « إني نادم على أن خلقتهم » . ومن اليسير أن نعرف أن المؤلف يشير بتلك الجملة إلى هذه الكلمات^(٢) : **יְהִי כִּי יַעֲלֶינָם** وفي مكان آخر يذ كر بالحروف العربية كلمة « يويل » ومعناها السنة الخمسين^(٣) : من الواضح أن هذه الكلمة العبرية « **יובל** » المستعملة في سفر الخروج^(٤) ، والتي منها الكلمة الفرنسية jubilé . وبعد ذلك بقليل يكتب هذه العبارة^(٥) : « إن كلمة « عولوم » **עולום** التي ترد في النص العبري للتوارة ، وتفسر بمعنى « الأبدية » تدل ، في جميع الفقرات التي ترد فيها ، إما على فترة متباعدة وإما على فترة قريبة . كما أنها تدل أيضاً على « العالم » ؛ وفي التوارة كما في جميع الكتب المكتوبة بالعبرية تقابل كلمة « عولام » كلما كان الأمر بصدد العالم وحالاته المختلفة . وسواء أكانت هذه الكلمة تدل على « الأبدية » أم على « العالم » فإنها لا تتغير ، ويمكن تفسيرها بأحد هذين المعنيين على التساوى .

(١) المرجع السابق ، ورقة ١١٤ وجه :

(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٦ ، آية ٧

(٣) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٤ ظهر .

(٤) إصحاح ٢٥ ، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٥) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة رقم ١١٤ ظهر .

ونجمع «عولام» على «عولاميم» وحينئذ يكون معناها «العولام»، وكثيرا ما تستعمل تلك الكلمة في هذا المعنى، إما في صيغة المفرد وإما في صيغة الجمع دون أى فرق». وفي مكان آخر يتكلم رشيد الدين بالتفصيل عن العقاب الذى يقع لدى اليهود على المرأة المتهمة بجريمة الزنا، ويلاحظ أن مثل هذه المرأة تسمى في العبرية «سوطا»^(١)، وهذه هى الحقيقة، وأخيراً يلاحظ أن اليهود يدلون على المجد بكلمة «كؤود» أى כבוד^(٢) وتكفى هذه الأمثلة التى يمكننا أن نذكر منها الكثير للدلالة على أن رشيد الدين كان يعرف اللغة العبرية.

أما بالنسبة للغة الصينية، فإنى لم أجرو على إصدار رأى قاطع بصددها، إذ يبدو لى أن الأمر هنا لازال موضع شك. نعم، إن مؤلفنا كثيرا ما يذكر كلمات صينية ويفسرها، كما سترى أنه استخدم التواريخ الصينية، وأنه أدخل فى مجموعة مؤلفاته رسالتين فى الطب كتبنا فى الأصل باللغة الصينية، ثم ترجمنا إلى العربية والفارسية. ولكنه لما لم يذكر أنه هو صاحب هاتين الترجمتين، فقد يحق لنا أن نفترض بأنه عهد بهما إلى شخصين صينيين سنتكلم عنهما فى غير هذا المكان؛ وكانا فى بلاط غازان خان، ويعرفان الطب معرفة تامة. ومن بين المواهب التى جادت بها الطبيعة على رشيد الدين موهبة استوحذ

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦، ورقة رقم ١١٥ وجه .

(٢) المرجع السابق، وجه ١٠٦ وجه .

عليها في أعلى درجاتها ، وأعنى بها موهبة الكتابة بسهولة لاحد لها . ويحكى هو نفسه عن هذا الأمر ما يشبه المعجزات فحينما كتب الرسائل التي يشرح فيها أمية محمد ، لم يكلفه تحريرها أكثر من نصف ساعة^(١) إذ يقول مامعناه: بعد ذلك بزمن ما طلب السلطان ألبانيو من علماء حاشيته أن يخبروه أيهما يفوق الآخر ، العقل أم العلم . فأجاب كل منهم بما ارتآه . ثم سئلت بدورى : وكان السؤال شائكا ؛ لأن هذا الموضوع لم يكن قد طرأ بخاطرى قط . وبعد لحظة من التفكير ، عرضت على المجلس ما قاذى إليه البحث العاجل . ولكنى بعد ذلك تأملت الموضوع على مهل وبقدر ما تسمح لى به مشاغلى المختلفة ، فتكاثرت على الأفكار ، إلى درجة أنى استطعت أن أملاؤها عشرين ورقة من ورق بغداد فى ظرف ثلاثة أيام أو أربعة . هذا وفى غمرة الصعاب والمشاكل العديدة التى تفرضا على واجبات منصبى ، وبالرغم من أنى أنفق جل وقتى فى خدمة السلطان وتصريف الأمور وتحرير الرسائل من جميع الأنواع إلى حد أنى لا أجد من الوقت إلا لحظات خاطفة ، فقد عملت على الاستفادة من هذه الفترات القصيرة واستطعت فى ظرف أحد عشر شهرا أن أولف ثلاثة كتب ضخمة ، وهى « كتاب التوضيحات » « ومفتاح التفسير » « والرسالة السلطانية » ، فضلا عن عدد كبير من الرسائل التى تدور حول المواضيع المختلفة والمسائل الدقيقة . ويقول رشيد الدين فى مكان آخر مامعناه^(٢) إن تحرير هذه الكتب الثلاثة لم يستغرق منه أكثر من ثمانية أشهر .

(١) المرجع السابق ، ورقة ٢٨٩ وجه ، ٢٩١ ظهر .

(٢) المخطوطة الزيرية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١٢١ ظهر ، ١٢٣ وجه .

فلولم يكن مؤلفنا رجلا صادقا ، ولولم يذكر الخبر نفسه في مواضع عديدة لاتبجه المرء إما إلى البشك في قوله ، وإما إلى اتهامه بالمبالغة بعض الشيء ؛ إذ يبدو أن المجموعة التي يتكلم عنها قد تتطلب سنين عديدة من التفكير المتواصل . ولكن مما يلفت النظر أيضا أن هذه المؤلفات تكشف في مواضع مختلفة عن بعض آثار السرعة الشديدة التي كتبت بها ؛ إذ أن المؤلف كثيرا ما يعتمد على خياله ، كما أن استدلالاته لا تبدو دائما متينة الترابط متجهة إلى نتائجها في خط مستقيم . وأما أسلوبه فقد يصرف عنه القارئ في بعض الأحيان بسبب إطنابه .

ويقول رشيد الدين إن هذه السهولة الخارقة في الكتابة لم تكن لديه موهبة طبيعية ، ولكنه لما نشر رسالته ^(١) التي حاول فيها أن يبرهن على أن أمية محمد صلى الله عليه وسلم كانت أمرا إلهيا وبرهانا قاطعا على صدق رسالته ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجازيه على تمحسه وحسن فعله ، فأثار بصيرته ووهبه تلك القدرة الثمينة على التفكير من غير عناء في المسائل المجردة والتعبير عن نتائج تفكيره بوضوح وسرعة فائقتين . وأعتقد أنه يمكننا ، دون أن نتهم بالإسراف في التشكك ، أن نرتاب في سبب هذه الموهبة لافي حقيقتها . فليس مما يستغرب أن يكون رشيد الدين قد وهب عقلا واعيا وخيالا خصبا ، فأستطاع مع الزمن وطول التفكير أن يعتاد تحريز أفكاره ،

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ٢٨٩ وجه .

وأن يكون في الفترة التي نحن بصدها قد استجمع قواه بعض الشيء، فبدأ يكتب قطعاً متتابعة؛ وأن يكون قد شعر في نفسه بتفتح موهبة لم يكن هو نفسه على بينة من وجودها لديه. ولكن ذلك كله لا يحتاج إلى الاعتراف بتدخل النبي لإيجاده. ومهما يكن من شيء فإن رشيد الدين لم يتجه إلى التأليف إلا في وقت متأخر^(١). كان مشغولاً بإدارة المملكة، محصوراً في تواضعه الجهم، مقتنعاً بأنه لم تتوفر له الموهبة والمعارف الكافية التي تجعله يقتنى أثر الكتاب الذين يفخر بهم وطنه، فضلاً عن تهيبه النقد الذي يتعرض له كل من يتناول القلم، لذلك كله فضل التفكير في صمت. فكان لا يكشف عن شيء من ثمرات تفكيره إلا في محادثاته العلمية مع السلطان أومع عدد محصور من الأصدقاء، حتى قام غازان خان الذي قدر مواهب مؤلفنا الحقيقية بتكليفه بعمل هام، وهو تأليف تاريخ المغول. ولما كان هذا الكتاب أهم مؤلفات رشيد الدين دون منازع، والعمل الحقيقي الذي استحق به عرفان العصور اللاحقة، فإنه أطمع من القارئ في أن يسمح لي بإيراد بعض التفاصيل التي لا تحلو من فائدة، وأن أعرض؛ رواية عن المؤلف نفسه إلى حد كبير؛ البواعث التي دفعته إلى القيام بهذا المشروع النافع، والمبادئ التي أبنى عليها تحرير حوليات تلك الأمة الكبيرة.

كان رشيد الدين، كما ذكرنا، قد استحق ثقة غازان خان واحترامه إلى

(١) المرجع السابق، ورقة ٥٤ وجه.

أقصى درجة . وكان هذا السلطان يجمع بين رجاحة العقل وسعة المعارف والحب الشديد لأمة ، فاستطاع في مدة حكمه القصيرة أن يصدر - في جميع فروع الإدارة - طائفة من النظم الحكيمة المفيدة في آن واحد . وأراد أن يكشف للنغول عن تاريخهم الخلقى فرسم هذا المشروع ، وعمل على إخراجه من زوايا النسيان : وذلك أنه كان يتحرق أسمى ، إذ يرى مواطنيه وقد انحدروا من هذه الناحية في هوة عميقة من الجهل المشين ، وأن أعلام طبقة قد صاروا بالنسبة لهذا الموضوع هم والسوقة سواء بسواء لا يعرفون من تاريخهم إلا أوهاما وأساطير ، وأن الأمراء والكبراء قد بددت بهم الشقة عن مهد أسلافهم ، فأصبحوا لا يبالون بأنسابهم ولا بمجد آبائهم الذين اختفت أسماؤهم نفسها من ذاكرة أبنائهم الجحودين ، وأوشكت أن تتلاشى في ظلمات النسيان والإهمال . ورأى أن النغول لم يعد يحفزهم مطمح نبيل أو تهز نفوسهم كبرياء وطنية مشروعة ، وقول مشروعة ، لأنها تقوم على سلسلة من أعمال البطولة والانتصارات الهامة ، كما أدرك أنهم أخذوا شيئاً فشيئاً يمتنعون دين المغلوبين ، ويتخذون من نسائهم زوجات لهم ، وأنهم على وشك التلاشى في غمرة الأمم العديدة التي تحيط بهم والتي زودوها بكثير من القوانين والتشريعات . وتحقق ، من جهة أخرى ، من أن الفتوحات المغولية الهائلة لا تزال غير معروفة على حقيقتها من شعوب الشرق ، وأن الأخبار الجافة الغامضة المتناثرة المتباعدة التي كتبت تحت تأثير الاضطهاد والبغض وعلى بعد شاسع من الأماكن التي كانت مسرحاً

لتلك الحوادث ، لا يمكن أن تقدم عن هذا الموضوع إلا سلسلة من المعلومات ناقصة غير صادقة . ومع ذلك فليس هناك فترة أخرى من فترات التاريخ تقدم مثل هـ . هذه السلسلة الهائلة المتتابعة الحلقات المتلاحقة العرى من الكوارث المتنوعة المروعة ، أو مثل هذه المجموعة من الفتوح التي تشبه الأساطير والتي لاتدانيها فتوح الإسكندر وفتوح الرومان ، أو هذا التجمع الغريب لضروب الإفراط من كل نوع ، مابين أعمال وحشية ، وفضائح تثير القلب والعقل ، تصحبها أعمال ناصعة البطولة ، وأفعال ملأى بالشجاعة والرجولة والنبل ، وانتصارات تشبه المعجزات ؛ ولاسيما إذا عرفنا أن المغول كانوا حتى ذلك الحين من أبعد الناس عن المواهب التي يتطلبها الفن الحربى ، وأقلهم معرفة بجدع الحصار . فما هو ذا مجرد زعيم قبلى محصور فى إقليم صغير من أقاليم الشرق الأقصى ، يوسع مجاله شيئاً فشيئاً بفضل شجاعته فى إخضاع الأقوام التي تقطن مجاهل بلادالتتار المترامية الأطراف ، ثم ينطلق كالصاعقة فيقضى على إمبراطورية عظيمة يحكمها عاهل مولع بالحرب خير بفنونها ، ويأخذ أمنع المدن التي تدافع عنها جيوش بأسرها ويفتحها عنوة بالرغم من ارتفاع أسوارها . ويرى الشجاع جلال الدين نفسه وقد حلت به الهزيمة فى موقعة منظمة على شواطئ نهر مكران (مهران) فيضطر ، لكي ينجو بحياته ، أن يعبر هذا النهر سابجا ، تاركا لمتصر نساءه وأفراد أسرته . ثم يذهب ذلك الحارب المغوار نفسه هائما على وجهه فى نفس الأقاليم التي كانت من قبل تعج بكتائبه العديدة ، ومن

ورائه عدو لا يكل ؛ حتى إذا رأى أن الهزائم تتبعه حيثما حل ، استسلم لموت يليق بمغامر أكثر مما يليق بعاقل عظيم . وذلك أن جيشا يتسكون من عشرين ألف محارب من المغول غامر بالدوران حول بحر الخزر ، وهى مغامرة لم يحاول القيام بها أحد من قبل ، ولم يقدم على مثلها من بعد إلا جيوش تيمور . وفى خلال عدد محصور من السنين ، أصبحت آسيا كلها تقريبا تحت إمرة هؤلاء الفاتحين - المرهوبى الجانب . وأصبح جزء ما من القارة الأوربية هى الأخرى تغطيه الخرائب ويعترف بالفتحين الجدد سادة له : وارتاع ملوك هذا الجزء من العالم أمام غزو هذا العدو الذى عدوه أخطر من غزو إتلا (Atella) ، فسارعوا بمحاولون وقف العاصفة ، وتحويل اتجاه ذلك السيل الجارف الذى كان يبدو أنه لا يمكن لسدود أو لحواجز أن تقف فى طريقه .

ومع ذلك فإن هؤلاء المغول لم يكادوا يختلطون بالشعوب المهزومة ، حتى تخلصوا من وحشيتهم القديمة ، وراحوا يسرون فى طريق الحضارة بخطى تدريجية فقد قام جنكيز خان بإعطائهم قوانين تنظم سلوكهم . وثابر أوكتاي على متابعة خطط والده العظيمة ، وعرف كيف يجمع بين شجاعة الجندى المقدم وفضائل الملك العظيم ويظهر فى أثناء حكمه الذى لم يطل مداه ، مع الأسف الشديد ، من التسامح والسخاء ما لم يكن لأحد أن ينتظر وجوده فى صحارى مغولستان . واستطاع قوبلاى أن يفوز بإعجاب الصينيين أنفسهم ، بفضل صفاته النادرة ومعارفه الواسعة وحكمة حكومته البالغة .

هذا ، بالاختصار ، جزء صغير من الأعمال الرائعة التي يقدمها لنا تاريخ المغول . ولا شك أن المرء يشعر شعورا قويا ، بأن مثل هذا التابع من الأحداث يستحق تسجيلا نزيها مفصلا ، وأن مثل هذا الكتاب لا يهتم المغول وحدهم ، بل يهتم جميع شعوب الأرض من وجوه شتى . وهذا ، إذن ، ما حدا بغازان خان أن يقدم المغول تاريخا لوطنهم .

وكان بعض الكتاب قد حاولوا أن يقوموا بهذا العمل ، وقد أصابوا نصيبا من التوفيق يختلف باختلاف الأحوال . فأورد ابن الأثير في كتابه المسمى « بالكمال » عرضا مختصرا لفتوح المغول ؛ ولكن التحفظ والحذر منعه من التعرض لتاريخهم القديم ، فاعتصم بالصمت التام عن فتوح چنكيزخان الأولى ، ووقع بأن يبدأ سرده بحكاية الحرب التي شنها هذا الفاتح المخوف في ولايات سلطان خوارزم . واقتفى ابن القرات أثر ابن الأثير . أما محمد بن النسوي الذي كان يعمل كاتباً للسلطان جلال الدين منكبرتي والذي ندين له بتاريخ جيد جدا لهذا السلطان ، فقد حاول أن يجمع بعض التفاصيل حول السنين الأولى لحكم چنكيزخان ، ولكن هذا الكاتب الممتاز كان مفعما بالبعث نحو أولئك المغول القساة الذين رأى عرش سيده ينهار تحت شبا سلاحهم ، كما كان نهبا للاضطراب والمهالك التي كانت تهدده بها حياة المخاطرات ، محاطا من كل جانب بالخرائب وآثار المذابح ، لا تطرق آذانه إلا أخبار الفتح وصيحات اليأس ؛ ولذلك كله لم يكن لديه من الوقت ولا من الرغبة ما يحفزها على بذل

المجهود والقيام بالمباحث العميقة من أجل تاريخ هؤلاء الأعداء المخوفين . ومن ثم كانت السطور القليلة التي خصصها لتاريخ المغول البدائي تحتوي على سلسلة من التفاصيل المتبورة التي تنقصها الدقة .

وقد جمع أحد المؤرخين الفرس ، المسمى عبد الله البيضاوى ، بعض الأخبار الخاصة بالمغول وضمنها كتابه الذي جعل عنوانه « نظام التواريخ » ولكن هذا العمل لم يكن إلا تخطيطا سطحيا يكاد يخلو من أى تفصيل ، وكل مانسطيع العثور عليه فيه ينحصر فى تواريخ الأحداث الرئيسية . وهناك مؤرخ مدقق ، وهو « علاء الدين عطاء الملك الجوينى » الذى شغل بعض المناصب الهامة واستطاع بفضل رحلاته العديدة أن يجمع بعض الروايات الغربية الصادقة من مهد الإمبراطورية المغولية نفسه ، فحاول أن يخطط تاريخا لفتوح چنګيزخان وخلفائه . ولكن هذا الكتاب ذا القيمة النادرة الذى اتخذته كثير من المؤرخين مرشدهم الوحيد ، ينقصه الكثير مما يتعلق بالسنين الأولى لعهد چنګيزخان ، إذ أن هذا المؤلف الفارسى قد أهمل ذكر الروايات المغولية الخاصة بأسلاف هذا الأمير وسابقية ، والتي تصل فى سردها حتى الأزمنة الأسطورية ، ولعل السبب فى ذلك أنه لم يتأت له أن يجمع من هذه المادة إلا أخبارا شديدة الغموض غير جديرة بإثارة شوق القراء . لذلك لانبجذ فى تاريخه شيئا يتعلق بأصل القبائل المغولية المختلفة ، أو بأنساب الأمراء والرؤساء وغيرهم من الشخصيات ذات المكانة الرفيعة .

وهناك مؤرخ آخر عاش بعد عطاء الملك ، وأخذ على عاتقه أن يكمل كتابه ، وهو عبد الله بن فضل الله الذى ألف ذلك التاريخ المشهور المسمى « بتاريخ و صاف » . ولكن هذا المؤلف لم يكن قد نشر شيئا فى حياة غازان خان ، بل كان يثابر فى صمت ، على جمع مادته وتصنيفها ، ويعمل على ملء ذلك الإطار الجميل بأسلوبه الأنيق . ولكن بالرغم من أن هذا الكتاب يقدم لنا تفاصيل قيمة حول الحوادث ، فإننا إذا نظرنا إلى فقراته الطويلة التى لاتكاد تنتهى ، وأسلوبه المسجوع المليء بالمجازات والاستعارات الجرئية ، واقتباساته العديدة من الشعر العربى ، واستطراداته التى لاجدوى منها فى غالب الأحيان ، اقتنعنا بأن المؤلف كان يحرص على لقب « الكاتب البليغ » أكثر مما يحرص على لقب « المؤرخ » ، وأحسنا أن مثل هذا الكتاب الذى لا يستطيع فهمه إلا من ارتوى أوفر قسط من الثقافة الأدبية ، غير جدير بأن يقدم للقراء من مختلف الطبقات سردا سهلا جذابا ومفيدا فى آن واحد . هذا فضلا عن أن المؤلف لم يحاول ، كما أشرنا من قبل ، أن يرجع يبيحثه إلى ما وراء الفترة التى توقف عندها عطاء الملك .

لكل هذه الأسباب كانت الحاجة لاتزال ماسة . إلى كتابة تاريخ جيد للمغول ، ولا سيما فيما يتعلق بالأزمنة القديمة ، وفتوح چنكيزخان الأولى ، وتصنيف القبائل المغولية وتحرير أنسابها ، وقد عقد غازان خان العزم على سد هذه الحاجة . ولم تكن المادة هى التى يحتاج إليها تحقيق هذا المشروع ، بل

كان يحتاج بالأحرى إلى كاتب عالم محقق ينسقها وينظمها . إذ كان يوجد في سجلات الإمبراطورية المغولية في فارس حوليات مكتوبة باللغة المغولية ، وفيها تذكر حوادث التاريخ الوطنى الرئيسية والروايات المختلفة ، سواء أكانت حقيقية أم زائفة ، وكلها تروى بشيء من البسط ، إن قليلا وإن كثيرا ، ولم يكن قد أتى لكاتب حتى الآن أن يستفيد من هذه الأوراق التى تكون عدة كراسات غير منظمة تنظيما حسنا ، وإن كانت تحتوى على كثير من المعلومات ذات القيمة العليا .

هذا إلى أن الأسر المغولية الكبيرة كانت تحتفظ ببعض الوثائق الحقيقية ، وقوائم الأنساب المتصلة بعض الشيء ، والروايات التى يختلط فيها التاريخ العام بالتاريخ الخاص ، وهذه هى المادة الحقيقية التى كان لابد من استخدامها لكتابة تاريخ مفصل للإمبراطورية المغولية . وكان غازان خان شديد الولع بأن يضيف اسمه إلى هذا المشروع الذى يجمع بين الفائدة العلمية والتاريخية فى آن واحد . هذا إلى أن ذلك الأمير الراجح العقل كان لا يجهل أنه لم يكن المغول أن يوهوا أنفسهم بأنهم سيظلون سادة الفرس ، وكان يحس جيدا أنه لابد للشعوب المغلوبة أن تطرد الفاتحين إن عاجلا وإن آجلا ؛ أو أن - أو تلك الفاتحين الذين يضطرم وضعهم إلى الزواج من نساء فارسيات ، والذين أخذوا يخضعون بدورهم لسيطرة المتعة والبذخ ، وراحوا يعتنقون الدين الإسلامى بالتدرج ، لابد لهم أن يفقدوا شيئا فشيئا طابعهم الأجنبى وقسوتهم وشجاعتهم .

الباسلة ، وأن يتتبعوا بأخاذا اللغة الفارسية بدلا من لغتهم . وفي النهاية كان من المفروض أنه لا بد أن يأتي يوم تعصف فيه الأطماع بقوانين المملكة ، ويسعى المتنافسون الطامعون إلى التنازع على العرش بقوة السلاح ، وتغرق الإمبراطورية في تيار جارف من فظائع الحرب الأهلية . وإذا تأتى لمثل تلك النبوءات أن تتحقق ، فمن الواضح ، في هذه الظروف ، أن تهمل الوثائق التاريخية المحفوظة في السجلات العامة والخاصة ، كما لو كانت أوراقا عديمة النفع ، وتصبح فريسة لدود الأرض ولهب النار . فكان العاهل العظيم يقول في نفسه إنه ليس هناك إلا طريقة واحدة لمنع ما يترتب على تلك الكارثة المحتمومة من نتائج مفرعة ، وإنه يجب استخلاص أصدق ما محتوى عليه هذه المادة خاصة بأصل التاريخ المغولى ، وترتيبه في صورة حوليات تكتب باللغة الفارسية ، لتكون قصة مفصلة صادقة تنقل إلى الخلف تلك الأعمال الجليلة التي قام بها چنگيز خان وأسلافه وخلفاؤه . ولم يتردد السلطان في اختيار الكاتب الذى يولى هذه الثقة العالية والتقدير الكبير ، فأجبه إلى رشيد الدين وعهد إليه بفرز السجلات ، وجمع الحقائق التاريخية وترتيبها ترتيبا زمنيا ، وبأن يضيف إليها كل ما يستطيع الوصول إليه في مؤلفات المتقنين أو فى أحاديثهم ، إذا كان هؤلاء قد عنوا بالبحث فى تاريخ المغول . فأقبل الوزير على تحقيق الالتزامات التي ألقاها عليه على عاتقه بكل نزاهة ودقة . وكان يقبل على هذا العمل بهمة تدعو إلى الإعجاب حقا ، بالرغم من اشتغاله الدائم

بالمهام العديدة التي تتطلبها إدارة إمبراطورية عظيمة . إذ يذكر دولت شاه^(١) ، رواية عن رشيد الدين نفسه ، أنه لم يكن يعمل في هذا الكتاب إلا بعد صلاة الفجر من كل يوم حتى شروق الشمس ، حيث إن شئون الدولة كانت تستغرق منه كل أوقاته الأخرى .

كان كتاب التاريخ قد قارب تمامه حين وافت غازان خان منيته في سنة ٧٠٣/١٣٠٣-١٣٠٤ . وخلفه على العرش أخوه « أبلجياتو » أو « خدا بنده » . ولم يكتب هذا العاهل بإظهار رضائه التام عن الخطة التي وضعت للكتاب ، والطريقة التي نفذت بها ، حتى أصدر إليه الأمر بمراجعته المراجعة الأخيرة ، بل طالب إليه أيضا أن يكتب عرضا عاما كاملا بقدر الإمكان لتاريخ جميع الشعوب التي عرفها المغول ، ويضيف إليه وصفا مفصلا لكل شعوب الأرض ، وأن يلحق هذين العاملين بكتاب تاريخ المغول ليكونا تكملة له ، وليتيسرا في نفس الوقت لجميع طبقات القراء فرصة الاطلاع على معلومات متنوعة وممتينة في آن واحد . وقبل رشيد الدين أيضا أن يقوم بهذا العمل الضخم الذي قد يخيف أعظم الكتاب كدا ومثابرة . ولم تمض سنوات حتى كان قد انتهى من مهمته ، لأننا نعرف أن الكتاب كله كان قد تم في سنة ٧١٠/١٣١٠-١٣١١ ، تحريراً ونسخاً وتجليداً ، وأودع مكتبة المسجد الذي كان رشيد الدين قد بناه في مدينة تبريز . ولكننا من جهة أخرى ، نعلم من مؤلف كتاب « تاريخ ووصاف »^(٢)

(١) تذكرة الشعراء ، مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٣ ظهر .

(٢) المخطوطة ، ورقة ٤٢٧ ظهر .

أن مؤلفنا قد واصل عمله حتى سنة ٧١٢/١٣١٢-١٣١٣ . غير أنه من المحتمل ألا يكون هذا الخبر يعنى غير الجزء النخلص بتاريخ ألبايتو أو خدا بنده . ويبدو من رواية لحيدر الرازى ^(١) أن تاريخ الهند الذى يكون جزءا من هذا التاريخ الضخم قد تم تأليفه فى سنة ٧٠٣/١٣٠٣-١٣٠٤ ، أى فى نفس السنة التى كلفه فيها العاهل الجديد بهذا النوع من البحث . وسمى الكتاب بأكمله « جامع التواريخ » . وكان المجلد الأول منه الذى يمكن اعتباره عملا منفصلا ، قد سمي « تاريخ غازانى » باسم السلطان الذى ألف تحت رعايته وأهدى إليه . قد عبر رشيد الدين عن عمله فقال مامعناه ^(٢) : « أستطيع أن أشهد لنفسى بأنى لم أدخر أى احتياط أو جهد فى تحرى الحقيقة والامتناع عن كتابة كل ماهو زائف أو مشكوك فيه . وقد اقتنست ، دون أى تغيير ما انطوت عليه أصدق الوثائق الخاصة بكل شعب ، والروايات التى حازت أحسن التقدير ، والمعلومات التى استقيتها من أعلم الرجال فى كل قطر . وفتشت كتب المؤرخين ورجال الأنساب . وحققت هجاء اسم كل أمة وكل قبيلة . ثم رتبت المواد التى جمعتها على نظام منهجى لم يتبعه أحد قبلى ، ومن شأنه أن يسر تناوله على جميع قرائه » .

وليس لى أن أذكر شيئا أكثر من ذلك عن مؤلف رشيد الدين

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٨٢ ظهر .
(٢) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ورقة ١٣٥ وجه ، ٢٠٤ ظهر .

التاريخي ، إذ أن مقدمة المؤلف نفسها تعرض خطة الكتاب وطريقته والذواق التي أدت إلى تأليفه ، وسنثبت فيما يلي محتواها :

كتاب جامع التواريخ يشتمل على أربعة مجلدات : المجلد الأولى التي تسمى بتاريخ غازان تشتمل ^(١) على قواعد وديباجة وفصول في شرح أحوال بدايات ظهور الأتراك ، وتعداد قبائلهم ، وذكر الملوك والخواتين والأمراء المعترين من كل قوم منهم ، ماضين أو باقين ، وشرح أمكنة كل طائفة منهم ، وذكر تواريخ أجداد چنگيز خان ، وذكر تواريخه ، وذكر أولاده وأحفاده المستولين على أكثر الأقاليم إلى تاريخ دولة سلطان الإسلام ألبايتو خلد الله ملكه (وسيأتي ذلك في المجلد الثاني) ، وذكر خواتين كل منهم وذكر أولادهم وشعب أنسابهم ؛ وذكر تواريخ الخلفاء والملوك والسلاطين والأتابكة الذين كانوا في عصرهم ؛ وذكر الحوادث والنوادر الواقعة في عهد كل منهم ، وذكر الأخلاق الحميدة والشيم المرضية المنسوبة إلى كل منهم .

المجلد الثانية تشتمل على ديباجة وشرح تاريخ سلطان الإسلام ألبايتو ، خلد الله ذكره ، من لدن ولادته إلى يومنا هذا ، على وجه يلحق بذلك الكتاب تاريخ دور سلطنته المخلدة يوما فيوما ، وذكر مجمل تواريخ الأنبياء والخلفاء والسلاطين وملوك العالم من ظهور آدم عليه السلام إلى الآن ؛ ومفصل تواريخ أقوام الأقاليم التي لم تكن نستختها إلى الآن في هذه الولايات ، وإتماما

(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ .

تقلناها نحن من كتبهم ؛ وذكر تواريخ أهل الكتاب من اليهود والنصارى،
وذكر تواريخ السلاطين الماضية والملوك المعترين من تلك الممالك ، وذكر
تاريخ الملاحدة ، إلى غير ذلك من الفوائد .

المجلد الثالث تشتمل على ديباجة ، وتفصيل شعب الأنبياء والملوك والخلفاء
والقبائل والأقوام والصحابة من لدن عهد آدم إلى آخر خلفاء بني العباس ؛
وأنسب أجداد چنگيز خان وقبائلهم ؛ وأوضاع طبقات القياصرة وغيرهم من
ملوك النصارى وأسمائهم ومدة ملكهم بموجب ماورد في كتب أولئك الأقوام
وتواريخهم على وضع غريب وترتيب قريب اخترعه المصنف المذكور غفر
الله له وأعز أنصاره .

المجلد الرابع تشتمل على ديباجة ، وتفصيل حدود الأقاليم السبعة وولايات
ممالك العالم وكيفية أوضاع معظم البلاد ومواقع كل منها من البحار والبطاح
والأودية الواطئة والجبال الشاهقة المشهورة الواقعة في الأقاليم والممالك والولايات،
باعتبار أطوال البلاد وعروضها الموضوعه في الكتب؛ وبعد تحقيقها واستعلامها
من أرباب الخبرة وأصحاب العيان ، بحيث لا يكون بين ماوضعناه وبين ما هو
في الواقع تفاوت . وقد ذكرنا أيضا فيه منازل البريد (اليامات) وتصوير كل
منها ، على ضوابط اخترعها المصنف ضاعف الله إقتداره .

اتبعت هنا ترتيب الكتاب على النحو الذي ذكره رشيد الدين نفسه .

ومع ذلك ؛ فإنني أعترف بأنه لا يذكر في المقدمة التي في أول تاريخه وفي عدة فقرات أخرى من الكتاب إلا ثلاث مجلدات ، لأنه هنا يجمع في مجلدة واحدة كل ما في المجلدتين الثانية والثالثة ، ولكن لما كان حجم هذه المجلدة مسرفا في الضخامة ، ولا يتناسب مع حجم المجلدتين الآخرين ، فقد استحسن أن يقسمها إلى مجلدين متساويي الحجم تقريبا . وهذا التقسيم هو الذي اعتمده حينما أصبح ثبت كتبه كاملا .

لست في حاجة إلى إطالة الكلام لإثبات مالكتاب رشيد الدين من أهمية ، فإن هذا الكتاب الفائق الذي ألف في خير الظروف ملاءمة ، واعتمد على وسائل لم تتوفر لأي كاتب آخر ، يقدم إلى شعوب آسيا للمرة الأولى منهاجا كاملا للتاريخ والجغرافية العالميين . فحتى هذه الفترة التي تتكلم عنها لم يكن هذان العلمان قد وصلا إلى درجة التقدم التي كانت تنتظر لهما . وذلك لأن العرب والفرس كانوا قد تعودوا على نسبة كل شيء إلى أنفسهم ، والانسياق وراء عواطفهم الوطنية المتطرفة ، واحتقار المتعصبين منهم لكل ما لم يكن إسلاميا ، ولذلك لم يظهروا عناية تذكر بالشعوب الأجنبية ولم يروا أنهم يستحقون بضع صفحات من كتب التاريخ إلا بكل مشقة . وإذا انفق لأحد مؤرخيهم أن يذكر بعض التفاصيل عن الهند والصين والترك وبعض الأمم الأوربية إظهارا لسعة علمه ، فإنه كان يستقى أخباره من أرداد المصادر ، ولا يعتمد

إلا على روايات زائفة وحكايات شعبية ، فيصبح تاريخه نسجا من الأساطير وضروب التناقض والأخطاء الزمنية الصارخة . ولم تكن المؤلفات الخاصة بالجغرافية أحسن حالا من تلك ، إذ لا يكاد المؤلف الجغرافي يتجاوز حدود بلاد العرب وفارس وبعض الاقاليم المجاورة ، حتى يدخل في ميدان الأساطير . فهناك الكثير من الملاحظات غير الدقيقة والظواهر الغريبة التي لا يقبلها عقل وتملأ كتب الجغرافية الفلكية ، ويتناقلها مؤلفون من ذوى المكاينة السامية والعقل الراجح ، ومن ثم كان من شأنها أن تشيع أشنع الأخطاء مع إلباسها لباس الحقائق ، بل مما يلفت النظر ، أن معرفة الناس بأسيا العليا في القرن الثامن الهجرى كانت أقل منها في القرن الرابع ، ففي هذه الفترة ظهر كاتب غربي اسمه المسعودى ، وكان ذا عقل راجح ومعارف عميقة ، فجال بلاد الشرق كلها تقريبا ، واستطاع أن يضمن كتابه معلومات صادقة وقيمة في آن واحد عن الجغرافية والتاريخ ، والتاريخ الطبيعي بجميع فروعه .

ولكن بالرغم من أن هذا الكاتب القدير قد جمع بين التوفيق في تحرى الصدق وموهبة الملاحظة ، وبالرغم من حرصه الشديد على تنفيذ الأقوال الزائفة التي أتى بها سابقوه ، فإن كتاباته لم يكن له الأثر ولا السلطان اللذين تستحقهما . فقد استمر الناس من بعده يتداولون نفس الأخطاء التي أظهر لهم شناعتها العقلية . ولا ينبغي أن ندهش لذلك ، إذا عرفنا أن خيال الشرقيين الوثاب

كان في كل العصور يركن إلى الغرائب الزائفة البراقة أكثر مما يركن إلى الحقيقة العارية (١).

نستطيع بعد هذه الملاحظات التي أوردناها حول حالة الجغرافية والتاريخ في عصر رشيد الدين، أن نفهم دون مشقة مقدار الخدمات التي أداها هذا المؤلف لمعاصريه، حين قدم لهم تلك اللوحة الضخمة المشتملة على التاريخ الصحيح والوصف الصادق لجميع البلاد المعروفة حتى ذلك الحين. فهذا المؤلف يجمع بين سعة المعارف التي لاحد لها، وحاسة النقد المستنيرة: ويستعيز عن لأخبار الأسطورية التي كانت ثمرة الجهل والسذاجة بأخبار أصيلة صادقة، ولذلك يجب أن يحرص على قراءته بشغف كل أولئك الذين يرغبون في تحصيل للمعارف الحقّة، ويفضلون ذهب الحقيقة على بريق الغرائب والأخطاء.

وإذا كان في وسع العرب والفرس والمغول أن يجدوا في مؤلف رشيد الدين منبعا فياضا لأقوم الوثائق، فإننا أيضا نستطيع أن نعترف منه طائفة كبيرة من المعلومات التي لا نجد لها في سواه. ففيه مواضع عديدة تستطيع أن تلقى الكثير من الضوء على تاريخ بعض البلاد الشرقية التي لاتزال معرفتنا بها على جانب كبير من النقص. ومن أمثلة ذلك تاريخ الأمم التركية المفصل، ولا سيما تاريخ «الإينوريين» الذي استمدّه رشيد الدين من سجلات هذه الأمم

(١) الإسراف هنا واضح، حسبنا أنه ذكر المسعودي ليقول من المغالاة في حكمه. ونحن نذكر مع المسعودي كتابا من أمثال ابن حوقل والمقدسي والبيروني واليهيقي. ثم رحلة من أمثال ناصر خسرو وابن بطوطة وابن جبير. هذا فضلا عن المؤرخين من العرب والفرس «المشأب».

نفسها ، تلك السجلات التي يحيل عليها في كثير من المواضع . ولكن لعل أهم ما في الكتاب هو الجزء الرابع الذي يدور كله حول المسائل الجغرافية ، والذي يكفل لنا أن نحدد أفكارنا حول عدد لا يحصى من النقط الغامضة . وهو يوضح لنا كثيرا من الصعوبات التي لا تزال حتى الآن وستظل زمنا طويلا من المشاكل المستعصية الحل ؛ وذلك لأنه من الملاحظ أن الأقاليم التي كان في طوق رشيد الدين أن يستقي عنها أصدق المعلومات ، هي بالذات تلك الأقاليم التي لانكاد نعرف عنها شيئا على الإطلاق . وأعني بهذه الأقاليم الرقعة الشاسعة من الأرضين التي تبدأ من بحر الخزر ممتدة حتى الأطراف الشرقية لفارس ؛ وتشمل كل وسط آسيا حتى حدود الصين .

فكل هذه البلاد كانت في ذلك الحين تكون جزءا من إمبراطورية السلاطين المغول ، تحتلها حامياتهم ، ويحكمها ، ولاتهم ويجوبها من جميع جهاتها رجال البريد الذين يحملون أوامرهم بصفة دائمة ؛ فلم يعد مؤلفنا أن يجد الوسيلة لوصفها أدق وصف وأصدق . وقد ضمن وصفه الكثير من الملاحظات القيمة حول مواقع المدن ، وطبيعة الجو ، وغللات الأرض ، وعادات السكان الذين يقطنون هذا الجزء من الأرض الذي لم يطرق بابه أحد السائحين . فكم من فائدة جلية يمكننا ، مثلا ، أن نجنيها من معرفة أما كن محطات البريد التي كانت منتشرة في الإمبراطورية المغولية وتتتابع على مسافات متساوية من بغداد حتى خان باليغ التي تدعى اليوم «بكنيك» ! إذ أصبح من الممكن أن

(٧ - جامع التواريخ)

يقدم لنا وصفه لهذا الطريق - عن كيفية الوصول إلى داخل آسيا - معلومات كاملة تفوق في ثقتها كل ما نستطيع الحصول عليه في كتب التاريخ والجغرافيا؛ ولذلك لأجدني أخرج عن القول بأنه ربما كان خسارتنا من فقدان كتاب رشيد الدين تفوق خسارتنا من فقدان أى كتاب غيره من الكتب الشرقية التي لم تصل إلينا .

كثيرا ما نرى المؤرخين الفرس يرجعون إلى مؤلفنا، تحت اسم « جامع التواريخ »^(١) أو « جامع أعظم »^(٢) أحيانا ، أو تحت اسم « جامع رشيدى »^(٣) أو « جامع التواريخ رشيدى »^(٤) أحيانا أخرى .

قد يتساءل المرء كيف تأتى لرشيد الدين أن يتهمى فى بضع سنين من مثل هذا المؤلف الذى يبدو أنه كان جديرا باستغراق حياة أعظم الكتاب جدا ونشاطا . والواقع أنه قد توفرت لمؤلفنا ، كما رأينا ، مساعدات لم تكن للتوفر لأى شخص غيره ، فضلا عن سعة المعارف التي كان يتحلى بها ، بادىء ذى بدء ، واستطاعته الكتابة بسهولة قل أن يدانيه فيها أحد . فقد رأينا أن القصر كان يضم علماء من كل إقليم ، وأن كلا منهم قد كتب موجزا لتاريخ

(١) خوندميز ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٤ وجه ، حيدر الوازى (المخطوطة الفارسية بمكتبة برلين الملكية) ورقة ٥٨٩ ظهر ، ٥٩٧ ظهر ،
(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٢ وجه .
(٣) المرجع السابق ، ورقة ٣ وجه ، و ٥٢ وجه ، ٥٣ ظهر وغيرها ، حيدر الرازى ، ورقة ٥٨٥ ظهر ، ٥٨٨ ظهر ، ٦٨٣ وجه ، وغيرها .
(٤) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٧ ظهر .

وطنه ؛ ولذلك كان عمل رشيد الدين ينحصر ، بالنسبة لبعض أجزاء هذا الكتاب ، في أن يتناول بالترتيب والإيجاز والتحرير تلك المذكرات العديدة التي وجدها تحت يده ، والتي كانت ثمرة لجهود جحفل من الباحثين .

ولكن قد يقول قائل : هل رجع رشيد الدين حقا إلى الوثائق التاريخية لتلك الشعوب الأجنبية؟ ثم ألا يمكن أن يكون كل ما ذكره في مقدمته عن هذا الموضوع مجرد افتراء من محتمل حاذق ، لم يقم إلا بجمع سبيء لبعض المعلومات التي أوردها سابقوه في مؤلفاتهم ، وأراد أن يستغل حسن نية قرائه ، فادعى لهم أنه جاءهم بمعلومات جديدة كل الجدة استقاها من مصادر غير معروفة؟ وليس عندي إلا جواب واحد على هذا الاعتراض : يذكر كاتب معاصر لرشيد الدين ^(١) أن هذا (رشيد الدين) لما أراد أن يكتب تاريخا لخطاي ، استقدم عالين صينيين ، كانا في حاشية ألبايتو ، أحدهما يسمى « ليتنجي » والآخر « مكسوام » . وكانا كلاهما على علم بالطب والفلك والتاريخ ، وقد أحضرا معهما عدة كتب تبحث في هذه العلوم المختلفة . وقد أكد اللوزير أن هناك كتابا ، من بين جميع الكتب التي تعالج تاريخ خطاي ، يتمتع بشهرة كبيرة ويعرف بالصدق التام ، وأن هذا الكتاب الذي يضم أسماء الملوك وحياتهم بأوسع تفصيل قد قام بتأليفه بالاشتراك فيما بينهم ثلاثة علماء ممتازون من اللامات المتخصصين : الأول يسمى (قوهين) من

(٤) عبد الله البيضاوي ، النص الفارسي ، ص ٣ - ٥ .

Historia Chataica (تاريخ خطاي)

مدينة « تاي جان جيو » والثانى (فنجو) من مدينة « كِن جيو » والثالث .
(شيخون) من مدينة « لاؤوكين » ؛ وأخبره بأن هذا الكتاب المستقى من
المصادر التاريخية القديمة قد قام بمراجعته وتنقيحه جميع علماء المملكة بكل
عناية ، وقرروا بالإجماع أنه يطابق الوثائق الأصلية كل المطابقة ولا يضم شيئاً
مشكوكاً فى صحته . وبعد أن قام أحد الأدباء بمراجعته مرة أخرى ، قرر أنه
جدير بالطباعة على الطريقة المعروفة فى البلد . وإذا كان هذا هو الكتاب
الذى استرشد به رشيد الدين فى تحريره لتاريخ الصين ، فإننا نشعر تماماً بأنه
لم يكن فى طوقه أن يرجع إلى خير منه .

وإذا كان قد بذل كل تلك العناية من أجل جزء من أجزاء كتابه ،
فقد حق علينا الاعتقاد بأنه بالنسبة للأجزاء الأخرى لم يدخر أى وسع فى
سبيل الحصول على خير المواد .

هذا إلى أن لدينا الآن الجزء الأول من كتاب رشيد الدين ، وهو الجزء
الخاص بتاريخ المغول ، ونستطيع أن نشهد له بأنه كتاب ممتاز حقق فيه
مؤلفه كل ما وعد به ، وبأنه الكتاب الوحيد الذى نستطيع العثور فيه على
أصدق المعلومات عن حياة جنكزخان وخلفائه وعن عهدهم .

ولكن يحظر لنا هنا سؤال يجب حله ، وهو : هل الأجزاء الثلاثة
الأخرى التى تكمل تاريخ رشيد الدين قد ضاعت دون أمل فى العثور عليها ،
أم يصح أن نأمل فى العثور عليها بإحدى مكاتب الشرق ؟ الواقع أننا

لا نستطيع إصدار جواب نهائى على هذا السؤال ، ولكن قد لانكون
مخطئين إذا ملنا إلى الاعتقاد بأن البحث الذى يمكن بذله فى هذا الصدد قد
لا يكال بأى نجاح ، وأن هذه المجلدات الثلاث لم يبق لها وجود منذ
زمن طويل .

لم أكد أجد بين المؤرخين الشرقيين الذين كتبوا بعد رشيد الدين
والذين رجعت إليهم من يشير إلى أى من المجلدات الثلاث الأخيرة لكتاب
« جامع التواريخ » . وإذا كان حاجى خليفة قد ذكر عن هذا الكتاب
ملاحظة سطحية بعض الشئ فى كتابه عن المؤلفات العربية والتركية والفارسية ،
فيبدو أنه لم يرمه إلا الجزء الخاص بتاريخ المغول على أحسن تقدير . إذ لو
أنه عرف الأجزاء الأخرى ، ولا سيما الجزء الرابع ، لحرص على الاستفادة
منها فى كتابه الجغرافى المعروف باسم « جهان نما » : ولكنه لم يذكرها فى
هذا الكتاب مرة واحدة . كما أن « أبو الهادى بهادر » الذى اعتمد على
كتاب رشيد الدين كل الاعتماد ^(١) وأخذ عنه بوجه خاص كل ما يتعلق
بالقبائل التركية والمغولية المختلفة ، لا يذكر كلمة واحدة غير موجودة فى المجلد
الذى بين أيدينا .

ولست أتكلم هنا عن مؤلفى العرب ، وإن لم يكن من الممكن
الاحتجاج بمجهلهم باللغة الفارسية ، إذ أن كتاب رشيد الدين ، كما سنرى فيما

(١) Histoire généalogique des Tatars ص ٣ - ٥ .

بعد ، كان قد كتب بالفارسية والعربية في آن واحد . ولكن مما لا يمكن
تقليه ألا يرد أى ذكر للأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ في أى كتاب
من كتب الفرس الذين لا توجد بالنسبة إليهم حتى هذه العلة . فميرخوند
وخوندمير اللذان يكثران من النقل عن هذا الكتاب في كل ما يذكراه
عن المغول ، لم تكن لتفوتهما الاستفادة من الأجزاء الأخرى ، لو كانت بين
أيديهما حقيقة . وأنا أعرف جيدا أن ميرخوند قد نقل فقرات برمتها عن
رشيد الدين دون أن يتنازل بذكر اسمه مرة واحدة ، ولكن خوندمير الذى
كثيرا ما ينقل عن مؤلفنا في كتابه المسمى « حبيب السير » ، ولا يهمل مطلقا
إرجاع تلك الاقتباسات إلى المصدر المنقولة عنه ، لم يكن ليقصر على الاستفادة
منه بالنسبة لما يتعلق بالمغول فقط ، بل كان لابد له أن يذكر اسم رشيد الدين
في مواضع أخرى من كتابه ، ولا سيما فى الأوصاف الجغرافية الملحقة به ،
ولكننا لأنجد له أثرا فى تلك المواضع . ويتكلم ابن مسعود^(١) عن كتاب
رشيد الدين ، فيقرر أنه المصدر الحقيقى الذى يمكن للمؤرخ أن يستمد منه
المعلومات الدقيقة حول فروع أسرة چنگيزخان المختلفة ، ولكنه لا يذكر اسمه
فى الأجزاء الأخرى من تاريخه مرة واحدة ، مما يدل على أنه لم يكن يعرف
شيئا عن الأجزاء الثلاثة الأخيرة من « جامع التواريخ » . وأخيرا لما أمر
رخ شاه بن تيمورلنك بإكمال تاريخ رشيد الدين^(٢) ، قام كاتب مجهول بكتابة

(١) تعليقات على المخطوطات ومختارات منها Notices et extraits des

Manuscrits ، مجلد ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٢) المخطوطة العربية رقم ١٦٨ ، ورقة ٥٥٨ ظهر .

ملحق له لازال تحت أيدينا ، ويتضمن حياة السلطانين ألبجايتو وأبى سعيد .
فلو كان كتاب مؤلفنا موجودا بكامله في هذا العهد ، لكان من العبث كتابة
تاريخ لحياة ألبجايتو ، إذ أن رشيد الدين كان قد كتب هذا التاريخ يوما بيوم
وبكل تفصيل ، وضمنه المجلد الثاني من كتابه ؛ ولما كان قد عاش بعد هذا
السلطان زمننا ما ، فقد كان لديه من الوقت ما يسمح له بتتقيق هذا الجزء من
كتابه تنقيحا نهائيا .

ولكن في أى فترة اختفت الأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ ؟ لقد
ذكرنا فيما سبق أنه لما مات رشيد الدين ، أسلمت إلى النهب والسلب الضاحية
التي كان قد أمر ببنائها في مدينة تبريز وأطلق عليها اسمه ، ونحن نعلم أن نسخ
هذا الكتاب الأصلية كانت مودعة في مدرسة هذه الضاحية . فمن الممكن
إذن أن تكون تلك المخطوطات قد هلكت في هذه المناسبة ، إما بسبب
إمعان أعدائه في الانتقام منه ، وإما بسبب الفوضى التي تصحب أعمال السلب
عادة . ومن جهة أخرى كان هذا المؤرخ ، كما سنرى فيما بعد ، قد أوقف مبلغا
ضخما من أجل إخراج نسخة من مؤلفاته كل عام ، ولما كان الأعيان العقارية
التي حبس رشيد الدين دخلها على الإنفاق على المدرسة قد ضمت إلى أملاك
السلطان ، فقد كف عن تنفيذ إرادة الواقف ، وتعذر نسخ الكتب ؛ هذا
إلى أن أبى سعيد الذى خلف ألبجايتو لم يكن مولعا بالآداب ولع أبية وعمه بها .
كما أن الإمبراطورية المغولية في فارس قد مزقتها الحروب الداخلية بعد موت

أبى سعيد ، وجرت إليها الخراب . ولم تكن هذه الظروف مواتية للاتجاه إلى إجراء بحوث فى التاريخ والجغرافية . وأخيراً نحن نعلم أن رشيد الدين ، بالرغم من فضائله وخدماته ، قد مات ضحية لحقد أعدائه الذين لم يقنعوا باستصدار الحكم عليه بالموت ، بل دأبوا على وصمه بأحط الاتهامات التى تسمى إلى سمعته لدى رعايا الإمبراطورية جميعاً ، ولا سيما المسلمين منهم . وبالرغم من أن أسف العاهل فيما بعد كان كافياً لإظهار براءة الوزير ، فإن الأفكار السيئة التى وقرت فى أذهان الناس عنه ، كانت قد اتخذت لها جذوراً عميقة يصعب انتزاعها . فقد وقعت الواقعة ، وأصبح الناس ينظرون إلى رشيد الدين نظرتهم إلى المجرمين ، لأنه نكب ؛ وفى هذه الحال يمكننا أن نحسد بأن كتب رشيد الدين قد شملتها اللعنة التى حلت بمؤلفها ، وأن الريب الذى أحاط بها ، لم يلبث أن سبب ضياعها التام .

لاشك أن هذه كلها حجج وجيهة ، ومع ذلك فمن الممكن معارضتها بحجج أخرى لا تقل عنها وجهاهة وتممانا على الاعتقاد بأن الكتب التاريخية التى تركها مؤلفنا لم تنفق إلى الأبد . فإن هذا الكاتب ، كما سنرى فيما بعد ، كان قد أوصى فى وثيقة صريحة بأن تنسخ فى كل عام نسخ من كتبه التاريخية والدينية ، وحبس على هذا الأمر حبوساً ضخمة حرم استخدامها لغير هذا الوجه . ونحن نعلم أن رشيد الدين قد عاش بعد هذه الوقفة ثمانى سنوات ، وأنه كان يشغل فى هذه الفترة المنصب الأول فى الإمبراطورية ، ويمكننا أن

نتأكد من أن أو أمره كانت طوال تلك الفترة تنفذ بكل دقة ، وإذن فلا بد أن يكون قد وجد في وقت موته نسخ عديدة صحيحة من تاريخه ، فضلا عن النسخ الأخرى التي لا بد أن يكون بعض الخواص قد قاموا بها ، إما رغبة في العلم وإما تقربا إلى الوزير . ومن جهة أخرى ، نعرف أن غياث الدين قد شغل المنصب الرفيع الذي شغله أبوه من قبل ، ولا شك في أنه لم يهمل تنفيذ الرغبات التي أظهرها ذلك الرجل الجليل ، وهي نشر المعرفة بمؤلفاته الأدبية التي تعتبر شرفا كبيرا للأسرة . ولذا لا يعتبر صمت الكتاب الذين تقدم ذكرهم دليلا قاطعا ، والواقع أن حاجي خليفة حينما أراد أن يقوم بتأليف كتابه عن الكتب التاريخية لم يستطع أن يطلع إلا على الكتب التي وجدها في القسطنطينية في ذلك الحين .

في الوقت الذي كتب فيه مؤلفنا كتابه كان الخلاف المرير والحرب العوان يسودان بين سلاطين مصر المماليك والأمراء المغوليين في فارس ، وإذا لم تكن هذه الحال قد أدت إلى انقطاع الاتصال انقطاعا تاما بين هذه الأقاليم من جهة ، وبين مصر والشام من جهة أخرى ، فإنها على الأقل أدت إلى إضعافه وندرتة طوال هذه الفترة وبعدها بزمن طويل . ومن ثم يمكننا أن ندرك بسهولة أن يكون إرسال المخطوطات المخصصة للمكاتب العامة في إمبراطورية المماليك قد توقف أو أجل لأمد طويل في هذه الفترة .

وإذا كان ميرخوند وخوندمير وصاحب ذيل تاريخ رشيد الدين الذي

كتب كتابه في مدينة هراة ، لم يطالعوا على الأجزاء الأخيرة من جامع التواريخ فليس معنى ذلك ، فيما أعتقد ، أن هذه الكتب لم تكن موجودة في تلك العاصمة ، إذ ربما كان لدى هؤلاء المؤرخين وثائق أخرى ، فلم يهتموا كثيراً باستخراج بعض الكتب المدفونة في تراب إحدى المدارس أو أحد المساجد ، وقد لا نجد عسرا في الاعتقاد بأنه إذا كان سلاطين خوارزم الذين كان حظهم من التعليم قليلا على وجه العموم ، قد أودعوا مكاتبتهم العامة تاريخ المغول الذي يعتبر وثيقة وطنية بالنسبة إليهم ، فإنهم أهلوا أن يضيفوا إليه بقية مجلدات الكتاب ، لأنها لا تمت إلى تاريخ المغول بصلة قريبة . والواقع أن المؤرخ الفارسي حيدر الرازي الذي كتب في القرن السابع عشر قد ذكر أكثر من مرة كتاب « جامع التواريخ » بصدد حوادث بعيدة عن المغول ^(١) ، مما يدل على أنه كان تحت يده بضع مجلدات من الكتاب المذكور . وفي النهاية نجد لدينا دليلا قاطعا في هذا الصدد ، إذ أنه يوجد في حوزتنا كتاب محرر بالفارسية مؤلف مجهول يحتوى على تاريخ عام يبدأ من فجر الخليفة وينتهي بالنبي محمد ^(٢) . ويخبرنا مؤلفه الذي كتبه سنة ٨٥٨ من الهجرة في عهد شاه رخ ^(٣) بأن هذا السلطان كان قد طلب منه كتابة تاريخ عام للأنباء والملوك والسلاطين ومختلف الشعوب منذ خالق آدم حتى الفترة التي يعيش

(١) مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٨٢ ظهر ، ٦٨٥ ظهر .

(٢) مخطوطة فارسية بمكتبة الأرسينال ، رقم ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٣ وجه .

فيها^(١) . ولما كان حريصا على إطاعة أمر السلطان ، فقد أقبل على الاقتباس . من الكتب التاريخية التي حازت أسمى تقدير ، فيقول^(٢) : « و بناء على ذلك أصدر إلى مولاي المعظم أمره بأن أكمل كتاب رشيد الدين الذي ضاع أوله . فتقدمت إلى الأمير وعرضت عليه بكل تواضع أن يشمل النصف الأول من كتابي الفترة التي تبدأ منذ خلق العالم وتنتهي ببداية الرسالة الحمديّة . وقد اعتمدت في كتابة هذا الكتاب على القراءة العميقة لكتاب رشيد الدين وكتاب الكامل للطبري و بعض الكتب التاريخية الأخرى ، ولذلك يستحسن فصل هذا الجزء الأول منه ووضعه في مجموعة كتب الأمير . وقد أجاب السلطان . مقترحي . ولذا فقد نسخ الجزء الأول الذي يشمل ربع الكتاب وأودع فوراً مكتبة السلطان » .

فبرى من هذه القصة أنه كان يوجد في منتصف القرن التاسع الهجري نسخة كاملة من مؤلفات رشيد الدين التاريخية في مكتبة هراة عاصمة إمبراطورية ابن تيمور ، وأن الجزء الأول من هذا الكتاب قد اختفى عرضاً ، ولكن يبدو أن يكون هذا الفقدان حديثاً ، إذ أن المؤلف سابق الذكر استطاع أن يقرأه ويقتبس خلاصته . غير أنه يبدو من الغريب ، على أية حال ، أن يكون كتاب بلغ هذه الدرجة من المسكاة والكمال وكلف مؤلفه جهوداً ووقتاً ومالاً لا يحصى ، قد ظل طوال خمسة قرون مغموراً بين مؤلفات لاقيمة-

(١) المرجع السابق ، ورقة ٤ وجه ، ه ظهر .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ه ظهر .

لها ، منبوذا في زوايا نسيان لا يستحقه طوال هذه القرون ، دون أن يلفت نظر العلماء الذين يهتمهم إلى أقصى حد الاستفادة من هذا الكنز الفريد . ويا حبذا لو قام سائح مثقف بجوب بلاد الفرس ، وإجراء بحوث جدية بغية العثور على مجموعة المجلدات التي تكوّن مؤلفات رشيد الدين التاريخية .

وقد وجدت بين المخطوطات التي أحضرها الماحور مالكولم من فارس - وقدمها إلى كلية فورت وليام ^(١) كتابا عنوانه « جامع التواريخ قديم » . فهل هذا الكتاب جزء من مؤلف رشيد الدين ؟ هذا ما لم أستطع التحقق منه .

وقد علمت أنه يوجد بين مخطوطات المغفور له المستر رتش التي اشتريتها الحكومة البريطانية وأودعتها المتحف البريطاني ، نسخة من تاريخ المغول في مجلد ضخيم يبدو أنه يحتوي ، إلى جانب هذا الكتاب ، جزءا لا بأس به من تاريخ رشيد الدين العام !

وإذا كنا نعرف حتى الآن أن الجزء الأول وحده هو الذي نجما من الضياع ، فإنه لا ينبغي لنا أن ندهش من ذلك ، فإن هذا المجلد يحتوي على أنساب جميع الأمراء المتوليين وتاريخهم ، ومن ثم يمكننا أن ندرك ، بسهولة ، أن يكون السلطانان ألبايتو وأبو سعيد قد عملا كل ما في وسعهما على الاحتفاظ

(١) A Descriptive Catalogue of the Oriental Library of the Tippo Sultan Mysore, by Ch. Stuart, ص ١٨٥ .

به ونشره ، باعتباره الوثيقة الصحيحة التي تستطيع أن تنقل إلى الخلف أعمال البطولة التي قام بها أسلافهما . وأغلب الظن أن رجال الحاشية الذين لا يدخرون وسعا في عمل كل ما يرضى السلطان ، كانوا يتسابقون في إظهار إعجابهم بكتاب جديد جدير بأن يخلد مجد الوطن ؛ وكان هذا يدفعهم ، في أغلب الظن ، إلى التنافس في نسخه ، مما عمل على نشر نسخه في حياة رشيد الدين نفسه ، ولذا بقي ذلك الجزء حتى يومنا هذا ، بل وانتقل إلى أوروبا .

ولكنني أستطيع التأكيد بأن لدينا ، إلى جانب تاريخ المغول ، موجزاً ، على الأقل ، مما كتبه رشيد الدين عن الصين وجعله قطعة من المجلد الثاني لكتاب جامع التواريخ . فهناك كتاب صغير كتب بالفارسية ونشره أندريه ملر André Müller - بعنوان Historica Chataica (تاريخ خطاي) . ويقرر المترجم أن هذا التاريخ يكون الجزء الثامن من الموجز التاريخي المسمى « نظام التواريخ » الذي ألفه عبد الله البيضاوي^(١) . ولكن هذا القول لا أساس له من الصحة مطلقاً ، وقد وقع فيه ملر بسبب تسليمه ، دون تمحيص ، يقول قاله ناسخ النسخة . فالواقع أن « تاريخ خطاي » ألف في سنة ١٣١٧/٧١٧ - ١٨^(٢) ، ولما كان البيضاوي قد مات في سنة ١٢٨٦/٦٨٥ - ١٢٨٧ أو في سنة ١٢٩٢/٦٩٢ - ٩٣^(٣) ، في قول آخر ، فإنه لا يمكن نسبة

(٢) André Müller, Commentatio alphabetica ص ٢ .

(١) تاريخ الخطا ، النص الفارسي ، ص ٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٣ .

(٢) حبيب السير ، مجلد ٢ ، ورقة ٤٣ وجه .

هذا الكتاب إليه بأية حال . ومن جهة أخرى نرى أن المؤرخ الذى ندين له بهذا التاريخ ، والذى كتبه بعد موت رشيد الدين بسنة واحدة ، يشير إلى أن رشيد الدين هو المؤلف الوحيد الذى أتى بتفاصيل صحيحة عن تاريخ الصين . فمن الواضح إذن أن هذا الكاتب قد أخذ عنه كل ما أودعه فى كتابه ، هذا إلى أننا نستطيع أن نعرف مقدار ما أخذه عن رشيد الدين .

هناك على رأس تاريخ الصين قطعة فيها وصف لخطاى والأقاليم المجاورة لها وسنترجمها فيما يلى ^(١) :

« تتكون خطاى من عدة ممالك كبيرة تختلف أسماءها باختلاف اللغات . فالإقليم الذى كان دائماً مقرا للملوك اسمه باللغة الصينية « جانجتشوخون قوى » ^(٢) ويعرفه المغوليون باسم « جاوقوت » والمهنود باسم « تشين » ونحن نطلق عليه اسم « الخطا » . وفى شرق هذا الإقليم ، إلى الجنوب قليلا ، توجد مملكة أخرى يسميها أهل البلاد « منزى » ، والمغول « منكياس » ^(٣) والمهنود

(١) تاريخ الخطا ، ص ٨ - ١١

(٢) لم أترد فى أن أقرأ « تشون قوى » بدلا من « خون قوى » كما فى النص المطبوع . والواقع أنى أعتقد أننا هنا أمام الاسم « تشون قوى » ، (أى مملكة الوسط) ، الذى لا يزال الصينيون يطلقونه على بلادهم حتى يومنا هذا . ويمكننا أن نقرأ العبارة كلها على هذا النحو « جانزى وتشون قوى » . وتستعمل كلمة « جانزى » اسما لإقليم « شان سى » .

(٣) كثيرا ما يرد الاسم الذى يطلقه المغول على الصين الجنوبية فى تاريخ رشيد الدين (ورقة ١٨ ، ٨٦ ، ١٥٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥) . ولكنه يرد دون ققط الإعجام دائما ، ولذلك كان من السبيل معرفة هجائه =

« ماهاچين » ، أى تشين الكبرى ، وغيرهم يسميها « متشين » (ماچين) .
وتبلغ هذه المملكة عشرة أمثال مملكة چين . ويروى الوزير رشيد الدين
عن « بولاد تشنج سانج » أن مملكة ماچين تدفع للسلطان خراجا سنويا
قدره تسعمائة طومان « تسعة آلاف ألف درهم » . وتسمى عاصمتها خنساى ^(۱) .

== الحقيق . ويقرأ فى فقرة من تاريخ ميرخوند (ج ٤ ورقة ٤٩) « تنكياش » ولكننا
نجد الشرح الحقيق فى زهة القلوب (مخطوطة فارسية رقم ١٣٩ ص ٧٩٠) فيها قرأ
هذه الكلمات : بلاد المنشين تسمى لدى المغول « تنكياش » . والواقع أننا قرأ فى
المطاب الذى أرسله السلطان « أبلجايتو » إلى الملك فيلب لى بل Philippe Le Bel
هذه العبارة : تنگياسون غسار Nangkiassun ghesar (أى بلاد الصين)
وانظر شممت : Philologisch - kritische Zugabe , Schmidt , ص ١٥ .
وأخيراً نجد كلمة تنگياد Nangkyad تستعمل فى كتاب Geschichte
der öst - Mongolen ، ص ٢١٠ للدلالة على الصينيين .

(١) أعتقد أنه يستحسن أن نورد فيما يلى وصف المؤرخين والجغرافيين الشرقيين لتلك
المدينة . فى تاريخ وصاف (ورقة ١٧ وجه ، وورقة ١٨ طهر) : خنزاي حاضرة
بلاد الصين : تبدو كأنها جنة عرضها السموات ، وتمتد طولاً حتى يبلغ محيطها أربعة
وعشرين فرسخاً ، وسطحها مرصوف بالأجر والأحجار ، وبها منازل وعمائر مشيدة
بالحشب ومزخرفة بالتصاوير الجميلة من كل نوع . وقد أقيم بين طرفى المدينة ثلاث يامات ؛
ويقال إن أعظم شوارعها يبلغ طوله ثلاثة فراسخ ، ويحتوى على أربعة وستين مبنى
متشاكلة الهندسة ومقامة على عمد متساوية . ويبلغ حاصل ضريبة الملح فيها سبعمائة بالش
چاو « عملة من الورق » فى اليوم الواحد . وفيها عدد ضخم من الأشخاص الذين
يمارسون الحرف ، فقد عد منهم اثنان وثلاثون ألفاً ممن يشتغلون بالصباغة ، ويمكننا أن
نقيس على ذلك أهل الصناعات الأخرى . وهناك سبعمائة ألف جندي ، ومثلهم من السكان
المسجلين فى مكاتب التعداد وسجلات الديوان . وتضم المدينة ، فضلاً عن ذلك ، سبعمائة
معيد تشبه الحصون ، ويقم فى كل منها عديد من رجال الدين الذين لا يؤمنون لهم ، والرهبان
الذين لا دين لهم ، وكذلك عدد جم من العمال والحراس والجند وعباد الأوثان الذين
تصحبهم أسرهم وأتباعهم .

وكل هؤلاء الناس لا يندخلون فى التعداد ولا يخضعون لجباية المكوس والضرائب . وهناك
اربعون ألفاً من الجنود مخصصون لحراسة المدينة والمراقبة . ولا تكاد الشمس تخفى وجهها ==

== خلف مدينة القيروان في المغرب ، ويستر الليل رأسه بقناع بلون السناج ، ويبدأ الأشجار ، ويجهن اللصوص حياهم المعقوفة ، حتى يتخذ الخند أما كنهم على مداخل المنازل في الأحياء المختلفة ، وفي منافذ الطرق والأسواق والميادين ، ويمارسون الحراسة الشديدة ولا يسمحون لأنفسهم بأن تغمض جفونهم السوداء لحظة واحدة . ويرى في داخل المدينة ثلثمائة وستون جسرا مقامة على القنوات التي لا تقل اتساعا عن نهر دجلة ، وتخرج من بحر الصين . وهناك ، من أجل راحة السكان العديدين ، سفن وزوارق من كل نوع تسير فوق الماء ، ولا يمكن للخيال أن يحيط بها ، بله العد . ومن اليسير أن يتخيل المرء ذلك العدد الضخم من الغزباء الذين يفدون يوميا على هذه الملكة ، سواء أكان ذلك للتجارة أم لأمر أخرى .

ويقول مؤلف نزهة القلوب (مخطوطة فارسية رقم ١٣٩ ، ص ٧٩٠) : « خنساي عاصمة بلاد الصين ؛ وإن صح مايقوله بعض الرحالة ، فإنه لا يوجد في العالم كله مدينة أعظم منها ، ولكن الجميع يتفقون على أنها أكبر مدن الأقطار الشرقية . وفي داخلها بحيرة يبلغ محيطها ستة فراسخ ، وتحيط بها المنازل من كل جانب . وجو هذه المدينة حار ، وتتحضر حاصلاتها الرئيسية في الأرز وقصب السكر . أما البلح فيها ، فن الغلو والنسرة بحيث يساوى اللن منه ضعفه من السكر . وأما الحيوانات التي تستعمل في الغناء عادة ، فهي السمك والبقر ؛ ولحم الضأن فيها نادر غالي الثمن . وسكانها من الكثرة بحيث يبلغ عدد الحراس والحفراء فيها بضعة آلاف ، وقد يضل إلى عشرة آلاف . ومعظم هؤلاء السكان من الوثنيين ، لكن المسلمين أقوى منهم وإن كانوا أقل عددا . »

ويقول صاحب مسالك الأبيصار (مخطوطة عربية رقم ٥٨٣ ، ورقة ٤٥ وجه) (مامعناه) : « يوصل بين خان بالق وخنساي طريقان : أحدهما بالبر والثاني بالبحر . ويقطع كل من الطريقين في أربعين يوما . وتمتد مدينة خنساي طولا مسيرة يوم واحد بأسره ، وعرضا مسيرة نصف يوم . ويشقها في وسطها شارع يصل بين طرفيها . وشوارعها وميادينها مرصوفة كلها ، وتتكون منازلها من خمسة طوابق ، وهي مشيدة من ألواح الخشب التي تبنى فيها بينها بالمسامير . ويشرب أهلها مياه الآبار ، ويعيشون بتقشف بالغ . وتتكون غذائهم الرئيسي من لحم الجاموس والإوز والدجاج ، ويضيفون إليه الأرز والوز وقصب السكر والليمون وقليل من الرمان . وطقس هذه المدينة شديد الشبه بطقس مصر من حيث الحرارة ورطوبة الهواء . والسلع فيها متوسطة الثمن . ويحمل إليها الضأن والقمح ، ولكن بكميات صغيرة ؛ والحبل فيها نادرة ، ولا ترى إلا لدى الكبراء والرؤساء . وليس فيها جمال قط ، وإذا اتفق أن ظهر فيها جمل ، أصبح موضع الإعجاب العام . » ويمكننا أن نجد الكثير من وجوه الشبه بين هذا الكلام وبين ما رواه عنها « ماركو بولو » ، في (Ramusio Navigazioni et viaggi) مجلد ٢ ، ورقة ٤٥ وما يليها) .

ويبلغ قطر سورها أحد عشر فرسخاً^(١). وفي المدينة ثلاث يامات^(٢). ومنازلها تتكون من ثلاث طبقات. وفي خنساي ثلاثة مساجد كبيرة، من الدرجة الأولى، تمتلئ يوم الجمعة بالمسلمين. ويبلغ عدد السكان فيها حداً يجعلهم لا يعرفون بعضهم بعضاً. وفي جنوب غربي «خطاي» توجد مملكة يسميها الصينيون «دای ليو»، والمغوليون «قارا جنج»^(٣)، «والهنود» قندهر؛ ونسبها نحن «قندهار».

ويتكلم أودريك Oderic عن هذه المدينة التي يسميها كساي Casay (مخطوطة فرنسية رقم ٧٥٠٠ ج، التاريخ العجيب لحان التتار الأعظم، Histoire merveilleuse du grand chan de Tartary ورقة ٦١ وجه ٦٢، يظهر)، فيقول إن في هذه المدينة أربعة طومانات من المسلمين، أي أربعين ألفاً. ويذكر نفس المرجع أن شخصاً من سكان هذه المدينة اعتنق المسيحية على يد الإخوان الصغار Frères Mineurs. ويمكننا أيضاً في هذا الصدد أن نرى الكتاب الذي عنوانه De l'Etat et du gouvernement du grand Caan de Cathay (نفس المرجع ورقة ٨١ ظهر).

(١) في النص المطبوع: «كه قطره» آن يعني ياور نياورده فرسنگست». وقد شعر أنسريهملر، بوجود خطأ فيه، وترجمه: Metropolis pecem parasangis patet. ويمكننا افتراض أن الكاتب قد كتب: «كه قطرآن يعني بارو. يازده فرسنگست». وهذا هو المعنى الذي اعتمدت عليه في ترجمتي. ومع ذلك فإني أعتزف بأن في عبارة: «قطر آن يعني بارو» بعض الصعوبات، ويمكننا أيضاً أن نقرأ: «كه بحيرة آن يعني ناور پهنا ورده فرسنگست» أي «التي عرض بحيرتها عشرة فراسخ».

(٢) لم أتردد في أن أقرأ «يام» بدلا من «يام» التي في النص المطبوع.

(٣) في رحلة ماركو بولو Ramusio, Navigazioni ap. مجلد ٢ ورقة ٣٥ يظهر ووجه)، يذكر لإقليم يسمي «كارا كات» أو «كاراجات» (انظر De regionibus orientibus. ص ٩٧، ٩٩، ١٠٠)، ويقول إن عاصمته تسمى يانشي يانشي. وكان هذا الإقليم خاضعا لسلطان مغول الصين ويحكمه كنيشور ابن

(٨ - جامع التواريخ)

ويقع هذا الإقليم بين الهند والتبت ؛ وينقسم إلى قسمين ، أحدهما سكانه من ذوى البشرة السوداء والآخر سكانه من ذوى البشرة البيضاء . وهذا القسم الأخير يسمى بالمغولية نشاجان چنج (چنج = أبيض) . ويجدف شمال الخطاى شعوباً بدوية يسميها الصينيون خيدان (خيتان) ويطلق عليها المغوليون اسم «قاراخانى» ، والإقليم الذى يسكنونه يتاخم صحارى المغولستان . وقد حدث فى الزمان الغابر أن رفع أحد هؤلاء البدو ، واسمه خاوولتش آيا ، علم الثورة ، واستولى على الخطاى ، وخلع على نفسه لقب « ملك » ؛ وتوارث ذريته العرش من بعده ، وظلوا سنين عديدة يحتلون الخطاى . وهناك ، بالقرب من هذا الشعب ، شعب آخر يسميه الصينيون « نوتشى » ، ولكن المغول وغيرهم من الأمم يسمونه « تشورتشه » . وقد حدث ذات مرة أن قام فرد من هذه الأمة اسمه « نياقوداي » ، ولقبه « داي كيم » ، بثورة مسلحة وانتزع العرش من الملوك المنحدرين

= هذا السلطان . ونحن نعرف من رشيد الدين (مخطوطة فارسية رقم ٦٨ / ورقة ٦٤٦) ظهر وجهه) أن قوبيلاي كان قدولى أحد أبنائه ، ويسمى هوقاجى ، حكم إقليم « قرمچنج » ، ولما مات هذا الأخير تولى مكانه ابنه إسنتيمور . كما أن اسم ياتشى aci الذى يطلقه السائح البندقى على عاصمة هذا الإقليم يقابل بالضبط اسم « ياتشى » الذى نجده فى نص رشيد الدين . أما الإقليم الذى يطلق عليه ماركوبولو (Ramusio ، مجلد ٢ ، ورقة ٣٥ وجه) اسم « كارازان Carazan » ، فأعتقد أنه هو نفسه الذى يطلق عليه فى نص المؤرخ الفارسى اسم « تشنك جانگك » . ويرد فى ميرخوند (الجزء الخامس ، ورقة ٤٩) ذكر إقليم يسمى « قراتشانك » ، وتقرأ فى الكتاب المغولى المسمى « بوديمير » أن خويلا خات أخضع ولاية « چانگك » (بلاس Pallas ، Sammlungen ، Historischer Nachrichten ، مجلد ١ ، ص ١٩) .

من « قره خطاي »^(١) . ويعرف هذا الرجل لدى المغول باسم « أ كوده » ، وهو نفسه « ألكان خان » الذي كان على العرش في عهد چنګيزخان ، وقد قضت عليه جيوش « أقطاي » . وتوجد بين « الخطاي » وإقليم قراجنګ عدة أقاليم أخرى يحكم كلا منها ملك . ويلاحظ أن سكان أحد هذه الأقاليم من عاداتهم « أن يغطوا أسنانهم بغطاء من الذهب ، ويخلعونه أثناء الأكل » . هذا هو ما يقصه المؤلف المجهول .

والآن نجد بنا أن نورد الفقرات المقابلة منقولة عن تاريخ رشيد الدين . فيقول هذا المؤلف : « إن بلاد الخطاي تعرف لدى المغول باسم عام ، هو : « جاوقوت »^(٢) .

(١) دأبت على كتابة « ختاي » أو « خطاي » بالفتح مسaire للاستعمال الجاري ، وإن كان من الأكيد أنه بالكسر ، إذ أن هذا الاسم مشتق من اسم الشعوب المسماة بشعوب « الختئين » بكسر الحاء . والواقع أنها تكتب هكذا في الترجمة الجغتائية لتذكرة الأولياء (ورقة ٢٢٩ وجه) . ونجد هذه الكلمة بالكسر أيضا في رحلة الأستاذ « بيرس Burnes » : « رحلة إلى بخارى Travels into Bochara » ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٨ . ويرد في « رسائل من سيبيريا » Sibirische Briefe « للاكسمان Laxmann » (نشر شاوزر Schloszer ، ص ٤٧) ذكر نسيج قطني وارد من الصين ، ولهذا السبب يسمى « كيتيكا Kitaica » ، وانظر أيضا برجات Nomadische Streifereien unter den Kalmuken ، Bergmann ، مجلد ١ ، ص ٧٥ .

(٢) يرد اسم « جاوقوت » عدة مرات في تاريخ رشيد الدين (ورقة ١٠٧ ، ١٢٢ ظهر ، ٢٤١) . ونراه في مكان آخر يطلقه بمعنى أوسع مما هو عليه هنا : فيشمل الختا والتاقوت وبلاد الجورجة والسلفا . فنقرأ في رشيد الدين (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ، ورقة ٢٧٧ ظهر) أن منګو Mangou أرسل أخاه قويلاي لتوسيع حدود الإمبراطورية المغولية نحو الشرق ؛ وجعل من نصيبه ممالك الخطا ، وچين وماچين ، وقره جانګ ، وتنګوت ، والتبت ، وجورجه ، وسولنقا ، وكولى . ويذكر المؤلف نفسه أن هناك ، غير بعيد من سواحل جورج و كولى ، جزيرة عظيمة تسمى =

« چنكو » (يجب أن تقرأ تشينكوه ، أى اليابان) ، ويبلغ محيطها حوالى ٤٠٠ قرسخ (المرجع السابق ، ورقة ٢٥٨ وجه) . وأخيرا نجد في وصف الولايات الاثنتى عشرة التى تكون جملة ما تحت يد قويلاي ، هذه التفاصيل : « تتكون الثالثة من إقليم لولى أو كولى ، وهى مملكة قائمة بذاتها ، وقد تزوج عاهلها الذى يحمل لقب « وانك » بإحدى بنات الإمبراطور (نفس المرجع ، ورقة ٢٥٨ ظهر) . ومن اليسير أن نعرف أن هذا الإقليم هو الذى نطلق عليه الآن اسم « كوريا » ، والذى يطلق عليه الصينيون حتى يومنا هذا اسم (كاولى Kao - li) (وصف الصين ، مجلد ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٣١) . ولذلك لم أتردد في أن أقرأ في الفقرات السابقة « كولى » بدلا من « لولى » الموجودة في النص . ويجدر بي في هذه المناسبة أن ألفت النظر إلى ماورد في فقرة لما ركوبولو (Ramusio ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٠ ظهر) من أنه قد ضمت إلى إمبراطورية قويلاي بعد هزيمة نان Naian أربعة أقاليم ، حيث يذكر النص الإيطالى لفظة « كارلى Carli » ، وهذه لاشك غلطة من الناسخ . وأعتقد أنه يجب قراءتها Cauli كما في الترجمة اللاتينية : De regionebus aruntalibus ص ٦٣ ، وفي رحلات ماركو بولو Voyages de Marc Paul ، ط . برجران Bergeron ص ٦٢) ، إذ لاشك أنه يعنى « كوريا » .

أما الإقليم المسمى « سولنقا » ، أو على الأصح « سولانكفا » ، فإن سكانه قد خضعوا لتنگو طوعاً ، ثم لم يلبسوا أن اتفقوا عليه ؛ ولكن لما جلس « قويلاي » على العرش ، كفوا عن القتال واعترفوا به إمبراطورا عليهم (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨٠ ، ورقة ٢٥٥ ظهر) .

وحينما قسم هذا الإمبراطور ولاياته إلى اثنتى عشرة حكومة ، جعل الثانية منها تشمل إقليمى جورج و سولانكفا . وكانت عاصمة هذا الإقليم الأخير مدينة « مونتشو » التى كانت مقر الإدارة وفيها يقيم علاء الدين بن حسام الدين المالكى وحسن . دوجاق باعتبارها حاكين . (المرجع السابق ، ورقة ٢٥٨ ظهر) . ومن الواضح أن سكان « سولانكفا » هم الذين يطلق عليهم روبروكى Rubruquis اسم « لانج وسالانج Langes et Salanges » ، ويروى عنهم بعض التفاصيل القريبة . (رحلة في بلاد التتار ، ص ٥٨) . فهذا البشر يحمل بلادهم تقع فيما وراء التبت . ويذكر جان دى بلن كاربان Voyage en Tartarie ، (رحلة في بلاد التتار) ، Jean du Plan - Carpin ، ورقة ١٣ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٥٧ ، ٦٨) ، أن بلاد المغول تحد من المرق بخطاى Cathay وسولانج Solanges . فإذا دققنا النظر في تشابه الأسماء ، استطنا أن نرجح أن إقليم سولانكفا هو نفس الإقليم الذى تسكنه الشعوب المسماة الآن « بالسولون Solon » ، والى تقيم في شرق منغوليا بجوار موطن المتشو القديم .

وإقليم الخطاي الذي يعرف في الصينية باسم « خانزي »^(١) يحد من جهة بقطر « ماجين » الذي يسميه الصينيون « مانزي »^(٢) ، والذي يفصل بينه وبين « الخطاي » نهر « قره موران » ، ومن جهة أخرى يتاخم إقليم « الخطاي » قطر^(٣)

(١) أرجح أنه يجب علينا هنا أن نقرأ « جانزي » بدلا من « خانزي » ، وأن يكون هذا الإقليم هو نفس الإقليم الصيني تشان سي Chan si ، كما أشرت من قبل .
(٢) الإقليم الذي يسمى هنا « مانزي » هو نفس الإقليم الذي يسميه ماركوبولو (رحلة في الشرق ، ص ٨٥ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨ وغيرها) ، وأودريك Oderic (تاريخ عجيب لحان التتار الأعظم ، مخطوطة رقم ١٥٢٩ ، ورقة ٦٠ وجه) بإقليم « مانجي Mangi » . ومن العجيب أن العالم مورهايم Morheim قد خلط بينه وبين بلاد المنجوي (Historica ecclesiastica Tartarorum ، ص ١٠٠) .
ويذكر رشيد الدين أن أعظم أنهار هذا الإقليم يسمى « خونجور » (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ ، ورقة ٢٤٢) . وهو نفس النهر الذي يسميه تاريخ الصين (مجلد ٩ ، ص ٢٧٦) « هواي هو » . والواقع أن هناك نهرا بهذا الاسم يصب في « هواي هو » ، ولكن لا بد أن يكون الناسخ قد أخطأ هنا أو أن يكون مؤلفنا قد سهيا ، فأطلق على أحد الأنهار اسما يطلق على نهر آخر . فمن الواضح أن المؤلف لم يرد هنا أن يذكر نهر « هواي هو » ، وهو من أنهار الدرجة الثانية ، بل النهر الكبير الذي يسميه ماركوبولو « كويان فو Quianfu (الرحلات ، ص ٨٩) ، أو « كويان » (نفس المرجع ، ص ١١٣) ، والذي يطلق عليه اليوم اسم « كنانج كيو » . ويوجد اسم جيف وماجين cim e Macim للدلالة على الصين في كتاب « رحلة في بلاد الفرس » لجوزافات بربارو Josaphat Barbaro ، (ورقة ٤٢ ظهر ، ٤٣ ظهر) .

(٣) نجد لدى المؤرخ المذكور أحيانا « خورجة » وأحيانا « جورجه » (ص ٤٧) ، وقد ظن أندريه ملرأن القراءة الأولى هي الصحيحة ، وتبعه في ذلك المرحوم لنجليس Lanjles ، (ألبجدية منشو ، الطبعة الثالثة ، ص ١٧) . أما أنا فأخالفهما في الرأي وأرجح كتابتها « جورجه » أو « جورجه » ، وذلك أولا لأنها توجد على هذا النحو مرارا عديدة في مخطوطة رشيد الدين ، وإن كان ذلك لا يعتبر دليلا قاطعا ، إذ يجوز أن يكون الناسخ قد أخطأ فوضع النقط تحت الحروف بدلا من أن يضعها فوقها ، ولا سيما أن الحرف غير الصحيح (خ) يرد مرتين في النسخة (ورقة ٢٢ و ٦٠) ، كما أننا نعتز عليها في مكان آخر مرسومة « جورج » (ورقة ٧٨ ظهر) . ولكنها تكتب فيما عدا ذلك « جورجه » هكذا بالرسم الصحيح (الورقات ٣٦ ، ٤١ ، ١٢٢ ، ١٥٠ ظهر)

جورجه، وصحارى « قره خطاى » التى تسكنها شعوب بدوية . و « جورجه » هو الاسم المستعمل لدى المغول ، لأن الصينيين يطلقون على سكان هذا القطر اسم « نوجى » . وتعرف شعوب « قره خطاى » بلغة الخطاى نفسها باسم « خيدان »

== ١٨١ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧ ظهر ووجه ، وانظر أيضا حيدر الرازى (مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ظهر) . وهذا لى أن كلمة « جورجه » ترد في المفردات الفارسية الصينية التى بث بها الأب أميو Amyot ، وهى تقابل اسم نيوتشه Niu-tchés ، ولا يدع رسمها بالحروف الصينية أى مجال للشك في الصورة التى يجب أن تنطق بها . ويعضد رأينى أيضا في هذا الصدد ما ذكره ماركوپولو ، إذ أنه يعد إقليم « جورجه » بين الأقاليم الأربعة التى كان يتكون منها نصيب « نيان » (Ap. Ramusio ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٠ وجه) . وفي مكان آخر يذكر أن التتار ، (أى المغول) ، يقطنون شمالي إقليمى « جورجه » و « بركوسى » (نفس المرجع ، ورقة ١٣ وجه) . وأخيرا نجد كلمة « جورجيد » تستعمل في كتاب تاريخ المغول مرارا كثيرة للدلالة على « النيوچه » Niutchés ، Gesch. der öst - Mongolem ص ٤٧ ، ٨٦ ، ٢٠٠) . وفي ترجمة تاريخ أبى الغازى (Histoire des Tartares ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦) يرد ذكر مدينة اسمها دسورد سوت Dsurdsut تقع على حدود الخطا ، وتسمى بالفارسية والهندية « زينو » . ويحار الناشر في تحديد مكان هذه المدينة ، ولكن مما لا شك فيه أن النص في كل هذه الفقرات محرف تحريفا شديدا : أولا ، لأن اسم « دسودسوت » يجب أن يكتب « جورجه » ويبدل به على إقليم « النيوچه » لاعلى مدينة . وثانيا ، لأن كلمة « زينو » يجب أن تصحح إلى تشين بمعنى « الخطا » ، وحينئذ يصبح النص سهل الفهم ويتفق تمام الاتفاق مع ماورد في رشيد الدين . وفي مكان آخر ، (ص ٣٨٢) ، نقرأ أن قويلاي سلك طريق « زينومازين Zinumazin » ؛ ومن الواضح أنه يجب أن يرسم بدل ذلك جين وما جين ، وأن ترجم العبارة : « قويلاي اتجه نحو تشين وما تشين ، أو جين وما جين ، » أى نحو الصين الجنوبية (المرجع السابق) . أما مدينة زينو الزعومة التى حاصرها هذا الأمير فإنها لا وجود لها إلا في هذا النص المحرف ، ومن الواضح أنه يجب علينا أن نضع عاصمة إقليم « جين » بدلا من « زينو » .

(ختان)^(١). وتسمى الصين الجنوبية في لغة الهنود باسم « ماهاجين »^(٢) ،
أى جين الكبرى أو الصين ، ومن هنا جاءت كلمة «ماجين» . والمغوليون
يطلقون على هذا الإقليم اسم «نجياس»^(٣) ، ويفصل بينه وبين إقليم «خطاي»
نهر يسمى نهر « قره مران » الذى ينبع من التبت وكشمير ، وهو نهر لا يمكن
عبوره قط دون سباحة . وعاصمة هذا القطر مدينة جنج ساي (أو خنك ساي)
التي تقع على مسيرة أربعين يوماً من خان باليق^(٤) . والقطر المعروف^(٥) في
لغة المغول باسم « قره چنگ »^(٦) يسمى في لغة « الخطاي » باسم «داي ليو» ،

(١) مخطوطة فارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ورقة ٨٦ ، ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٦١ ، ٨٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ورقة ٨٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ورقة ١٢٢ ، ٢٥٦ .

(٦) ماسبق أن قلته يؤدى بن طبيعة الحال إلى نفس فقرة أبي الغازي التي تترجم بهذه
العبارات (نفس المرجع ص ٤١ - ٤٢) : « فتح أگوس خان امبراطورية الخطاي
ومدينة « دسوردست » ومملكة تنجوت مع قره خطاي . وعاصمة قره خطاي مدينة
كبيرة . وهذا الإقليم يسكنه قوم سود البشرة كالهنود ، ويعيشون بقرب بحيرة موهل
Mohill بين الخطاي والهند متجهين نحو الجنوب » . فهذه السطور القلائل تنطوي على
عدة أخطاء : فكيف استطاع المؤلف أن يقول بأن قره خطاي والهند متجهتين نحو
الجنوب ؟ إن هذا القول يناقض ما ذكره خير الجغرافيين على خط مستقيم . ومن جهة
أخرى ، ماهذه البحيرة المسماة « موهل » والتي لا يرد لها ذكر في أى مكان ؟ فهذه
الأسباب تجعلني أحكم بأن النص فاسد ، وينطوي على أخطاء عديدة ، بعضها يرجع إلى
المؤلف نفسه وبعضها إلى المترجم . ولا شك عندي في أن اسم « قره خطاي » قد كرر خطأ ،
وأنه يجب أن نستعصم عنه باسم « قره چانگ » الذى يدل ، كما سبق أن رأينا ، على
الإقليم واقع بين الصين والهند ، وأن نقول « إقليم كبير » بدلا من « مدينة كبيرة » ، أما
بحيرة « موهل الزعومة » فليست إلا المحيط (دنكيز محيط) ، كما هي في النص الأصلي ،
وأنه يجب ، في نهاية الأمر ، كتابة الفقرة كلها على هذا النحو : « أخضع أگوز خان =

أى المملكة الكبيرة ، وفي لغة الهند وكشمير باسم « قندر » ، وله هذا المعنى أيضا . أما نحن فنطلق عليه اسم « قندهار » . وهذا القطر المترامي الأطراف يحد من

الخطا : وإقليم چورچه ، ومملكة تنگوت وقره خطا ، وقره چانگ . وهذا الأخير لإقليم كبير سكانه سود البشرة ، وهو يتاخم مغواستان ، ويمتد نحو الجنوب بين الخطا والهند . أما بالنسبة للكلمات « قوم سود البشرة كالهنود » فأظن أن هناك سقطا في النص أو في الترجمة . وذلك أنه لما كان أبو الغازي ينقل في هذا الموضع ، وغيره من المواضع ، عن رشيد الدين بالنص ، فلا بد أن يكون قد نص على الاسم الذي يعرّف به الهنود لإقليم « قره چانگ » ؛ وهذا الاسم هو ، كما سبق أن قلت ، « قندر » ، وهذا ما يؤكّد لي أنه يجب أن يكون بعد الكلمات « قوم سود البشرة » هذا الشطر من الجملة : « والهنود يطلقون على هذا الإقليم اسم قندر ... الخ » . هذا ما رجحته ، ولكنني عرفت من فحص النص الأصلي أن الخطأ أو الحذف يرجع إلى أبي الغازي الذي أسرف في اختصار النص الذي أوردته مؤرخنا . وقد بقي على الآن أن أقول كلمة عن الموقع الجغرافي للإقليم المذكور : من الواضح أنه لا يجوز أن نختص بتشابه الاسمين « قندر » و « قندهار » ، كما أنه لا يجوز البحث هنا عن الولاية التي تسمى اليوم قندهار ، والواقع أن الإقليم الذي نبّحث عنه يتطرق كثيرا نحو الشرق : ولكننا سنستطيع الانتهاء إلى مكانه بالاستعانة بملاحظة بسيطة . فقد رأينا أن مملكة « قره چانگ » كانت تسمى عند الصينيين « داي ليو » ، ونحن نقرأ في تاريخ « قوبيلاي » أنه كان ، قبل جلوسه على العرش ، قد شن الحرب في إقليم « تالي » (الأب جوبيل Goubil تاريخ چنگيزخان ، ص ١١٣ ، تاريخ الصين ، مجلد ٩ ص ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠) . ولا شك أن تشابه الاسمين « داي ليو » و « تالي » ، مضافا إلى وحدة الحملات الحربية التي يرويها الفرس والصينيون ، لا يسمح لنا بأن نتردد في القول بأن هذين الاسمين يدلان على إقليم واحد . هذا ونحن نعرف من الأب جوبيل أن اسم « مملكة تالي » يطلق على إقليم « يون - نان Yun-nan » التي كان يخضع في الفترة التي تتكلم عنها أمير خاص ، مستقل عن إمبراطور الصين . ولكن نتيج كيان كنج نو Tong - Kien - Kang - nou يضيّق من مدى دلالة هذه التسمية بعض الشيء ، إذ يقرر مؤلف هذا الكتاب (تاريخ الصين ، مجلد ٩ ، ص ٢٥٧) ، أن إقليم « يون - نان » كان في ذلك الحين مقسما كله تقريبا بين أمراء جعلوا لأنفسهم فيه ممالك مستقلة عن الصين . وكانت « تالي » التي تقع في الجزء الذي من هذا الإقليم عاصمة لإحدى هذه الممالك . وفي تاريخ أسرة تيج للأب جوبيل (مخطوطة ، ص ١٦٤) يرد ذكر جبل يسمى « تيان كنگك Tian kang » ، ويقع بالقرب من تالي نو ، كبرى مدن يون نان . وفي

جهة « بالثبت » و « طنجوت » ، ومن جهة أخرى بجزء من أقاليم الهندستان وجبالها ، ثم بالمغولستان والخطاي وقطر السكان ذوى الأسنان الذهبية . ويحمل ملك « قره چنگ » لقب « ماه آرا » ، أى الأمير الكبير . وعاصمة هذا الإقليم اسمها « ياچى » ، وهى مقر المحكمة العليا . وبعض سكان هذه المملكة من ذوى البشرة السوداء ، وبعضهم من ذوى البشرة البيضاء كشعوب « خطاي » .

== سنة ٨٥٩ (المرجع السابق ، ص ٢٢١) لقب ملك نان تچاو Nan tchao « أيون - نان » نفسه بلقب امبراطور ، وسمى أسرته بأسرة « تالى » . ونقرأ فى موضع آخر (من ٩٧) أن أمير منج چه Mong - Ché فى يون - نان جعل قصره فى مدينة تاي هو تشنج . Tay - ho - tching ، وأن آثار هذا القصر لا تزال باقية بالقرب من تالى فو ، وهى مدينة عظيمة فى يون نان ، وأن نهر سى أول Cy - eul يجرى فى إقليم تالى فو (المرجع السابق ١٠٩) ، وأنه يوجد فى هذا الإقليم نفسه مدينة تسمى تشاو - تشيو Tchao - tcheou (المرجع السابق نفسه) .

أما فيما يتعلق بإقليم كفه كوه الذى يتكلم عنه رشيد الدين ، فأبنى أعتقد أن الاسم محرف بعض الشيء فى المخطوطة ، وأنه يجب قراءته « كنهج كوه » ، أى « بلاد الكنجة » . وقد يظن المرء أن هذه الكلمة ليست إلا رسماً فارسياً للعبارة الصينية « كين چى كوه » ، أى بلاد الأسنان الذهبية ، وأنها بذلك تعنى أيضاً الإقليم الذى يسمى عادة « زردندان » . ولكن هذا التفسير الذى يبدو طبيعياً لا يتفق وما يذكره مؤرخنا ؛ ولذا فإن الأقرب إلى الصواب أن يكون هذا الاسم يدل على المملكة التى يسميها المؤلفون الصينيون « كياوتجى » ، أى إقليمى « تنكين » و « كوشتشين » . (تاريخ الصين ، مجلد ١ ، ص ٦٢٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٤٢٠) . وبعض هذا التفسير اتفاق الموقع الجغرافى ، فضلاً عن التشابه فى الاسم . وذلك أن المؤرخ الفارسى يخبرنا أن هذا الإقليم يقع بين البحر وحدود الهندستان وإقليم قره چانگك : وهذه الصفات كلها تنطبق على إقليم « تنكين » . هذا إلى أن التصحيح الذى أقترحه ، أى تغيير الاسم من « كفه كوه » إلى « كنهج كوه » يجد فى أقوال ماركو بولو ما يبرره . إذ نراه يتكلم عن إقليم اسمه كنجيجو Cangigu (ورقة ٣٩ وجه ، ٤٠ ظهر) ويقع شرق البنغال ، ولا ريب أنه هو نفس الإقليم الذى تتكلم عنه . ولعل مدينة « لوجك » هى نفس مدينة « ليوچيو Liu-Tcheou » . أما المدينة المسماة « حسام » ، فأعتقد أنها جزيرة هينان Haynan -

ويقول رشيد الدين في مكان آخر ^(١): كان ملوك قطر « ننجياس » في غاية القوة ، وكان لهم عرش « خطاي » فيما مضى ، ولكن انتزعه منهم رجل من قطر « جورجه » بقوة السلاح .

وكذلك يذكر مؤلفنا القطر الذي يسكنه أناس يغطون أسنانهم بالذهب ، فيقول : يوجد في غرب دول « قوبيلاي » ^(٢) قطر يسمى « كفجه كوه » تغطيه غابات كثيفة . وهو يتاخم البحر ، ويحكمه ملك مستقل ، وفيه مدينتان ، إحداهما تسمى « لوجك » ، والأخرى تسمى « حسام » . وفي شمال غرب الصين توجد حدود التبت وقطر يسكنه قوم ذوو أسنان من الذهب . ويقول رشيد الدين ^(٣) أيضاً : وفي شمال غرب الصين توجد عدة أقطار يحكم كل منها ملك ، ويسمى باسم خاص . أهالي هذه الأقاليم يشبهون شعوب « خطاي » والهند في السحنة والعادات ، ولكننا نعر فيها على بعض العادات الغربية . فسكان أحد هذه الأقطار مثلاً يغطون كلهم أسنانهم بأوراق من ذهب يرفعونها ساعة الأكل ، ثم يعيدون وضعها من جديد . هذا الإقليم يتاخم التبت من جهة ، وقره چنگ من الجهة الأخرى ^(٤) .

(١) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ١٨١ ، ٢٥٤ .

(٢) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٢٥٩ .

(٣) نفس المخطوطة ، ورقة ١٢٢ ظهر .

(٤) قرأ في رحلة ماركوپولو (Ramusio Delle Navigazioni مجلد ٢ ،

ورقة ٣٦ ظهر) أنه يوجد على مسيرة خمسة أيام غربي إقليم « قره زان » إقليم آخر يسمى قره دندان تحت إمرة الخان الأعظم ، ومن عادة أهله أن يغطوا أسنانهم بصفائح من الذهب . وفي الترجمة اللاتينية لرحلة ماركوپولو = De regionibus orientalibus

ص ٩٩ و ١٠١؛ وفي Voyages ، Bergeron ص ٩٧ ، ٩٨) يكتب اسم هذا الإقليم : Arcladan أو Ardnam . ولكني أعتقد أن في هذه الكلمة تحريفا صارخا ، وأن الصورة التي في النص الإيطالي أقرب كثيرا إلى الأصل ، وأن الأصح أن يقرأ الاسم « زر دندان » الذي معناه في الفارسية « ذوو الأسنان الذهبية » . وهذه الكلمة ، كما رأينا ، هي الاسم الذي يطلقه رشيد الدين على الإقليم الذي نحن بصدده ، وينطبق انطباقا تاما على اسم كن تشي Kin - tchi الذي يستعمله المؤلفون الصينيون ويبدل على نفس المعنى . (وانظر تاريخ الصين ، مجلد ٩ ، ص ٤١٩ ، وهامش ديهوتريه Deshauterayes) . ولكننا نضطلم هنا بإحدى الصعوبات . فقد يتساءل بعض قرائنا قائلين : كيف تأتى لماركوبولو الذي كان يعيش بين الصينيين والمغول أن يكتب اسما لا يرجع إلى إحدى هاتين اللغتين ، بل إلى اللغة الفارسية ؟ وأجيب على ذلك بأن الكثيرين من المسلمين كانوا قد استقروا في حاشية « قويلاي » ؟ ولا ريب في أنهم قد حللوا معهم الكثير من الكلمات الفارسية ، بل والعربية . ويمكننا أن ندلل على ذلك ببعض الامثلة : يقول ماركوبولو (المرجع السابق ، ورقة ٣١ وجه) إنه كان لدى الفلكيين في مدينة كبالو Cambalu (خان باليق) لوحات مربعة يسمونها تكويبي Tacuini ، ويسجلون عليها كل ما سيقم في أثناء العام . ومن الواضح أنه يجب أن نقرأ بدلا من كلمة « تكويبي » كلمة « تكويم Tacuim » ، وهي الكلمة العربية « تكويم » . ونقرأ في موضع آخر (نفس المرجع ، ورقة ٣٢ ظهر) أنه يوجد على مسافة قصيرة من مدينة « كبالو » نهر يسمى پوليسنجان Pulisangan . فإذا صح تقديري ، فإن هذه الكلمة مركبة من الكلمتين الفارسيتين « بول سنكان » أي « جسرسنجان » . وما يعضد استنتاجي أن ماركوبولو يضيف بعد ذلك « أنه يوجد على هذا النهر جس فخم مشيد بالحجر » : وأعتقد ، إذن ، أنه من الممكن أن يكون اسم هذا الجسر قد أطلق على النهر ، أو أن الرحالة البندق هو الذي أطلق على النهر اسما يطلق على المكان الذي يعبر منه فحسب . هذا ونعرف من رشيد الدين (المخطوطة الفارسية رقم ٦٨ / ورقة ٢٧٠ ظهر) ، ووحيد الرازي (مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٦٢٥ ظهر) أنه كان يوجد في قصر « قويلاي » وزير يحمل لقب « السيد الأجل » ، وهما كلمتان عربيتان خالصتان . فهذه الدلائل تبرهن لنا بوضوح على أن قصر المغول بالصين كان يعج بالمسلمين الفارسيين . كما أنه كان هناك أجنبي من بلاد الغرب اسمه « أحمد » يتمتع بحظوة كبيرة لدى « قويلاي » (تاريخ الصين ، مجلد ٩ ص ٣١٥ وما بعدها وص ٤١٢ ، ٤١٣) ؟ وانظر أخبار سنة ١٢٨٩ ، في (Histoire des Mangous ص ٢١٠) وأن هذا العاهل نفسه أنشأ في مدينة تاي تو Tai tou مدرسة امبراطورية لتعليم العلوم والفنون ، وجعل الإشراف عليها لا « هوى هو » Hoey - hou ، أي للمسلمين . =

يرينا فحص هذه الفقرات المختلفة بوضوح أن الكاتب المجهول استقى علمه من مؤلفات رشيد الدين ، وأنه أخذ عنه الأفكار والعبارات على السواء . وإذا كان قد أضاف بعض معلومات لم ترد في رشيد الدين ، فإنه لا ينبغي لنا أن ندهش لذلك ، لأن مؤرخ الصين كان أمامه كتاب « جامع التواريخ » بتمامه ، واستقى وصفه الجغرافي لها بطريقة مباشرة من جزئية الثالث والرابع . فنحن مثلا لا نجد وصف مدينة « خنساى » عاصمة الصين الجنوبية

ويقر الأب جويل (المرجع سابق الذكر ص ٢٣٠) أن المسلمين كانوا دائما على أعظم جانب من القوة في قصر أمراء المغول ، وكان لهم كتائب وقواد من جنسهم ؛ كما كان منهم موظفون كبار في جميع الفروع ، ولا سيما في الرياضيات ، وأساتذة عظام ، بل ووزراء . وفي سنة ١٣٠٩ حكم بالإعدام على أجنبي يسمى أو سلامه كان من كبار الموظفين في مدينة تاتو Tatou ومحبويا من الشعب ومبجلا من الجنود . (نفس المرجع ، ص ٢٧٢) . وبعد ذلك بستين أمر الامبراطور « جن تسنج Gin Tsong » بتوقيع أشد العقاب أو النفي على بعض الوزراء الذين استغلوا سلطتهم في عهد سلفه ، واختاسوا بعض الأموال . وكان بين المنفيين مسلم يسمى عمر ، ويحمل لقب أمير (نفس المرجع ، ص ٢٨٣) . وحوال هذه الحقبة أيضا أصدر الامبراطور « جن تسنج » أمره باتخاذ مايجب لرفع شأن مدرسة الهوى هو (أى المسلمين) التي كانت قد هوت لى الحضيض . (نفس المرجع ص ٢٤٥) . وكان له وزير مسلم اسمه « چاهان » ، من مواليد مدينة بلخ ، وكان من أعلم أهل زمانه . وقد كتب موجزا بالعلوية للحوليات الصينية ، وتاريخا للحرب التي قامت بين أوكتاي والكينيين (نفس المرجع ص ٢٤٩) . وفي سنة ١٣٢١ أمر الامبراطور « لانج تسنج » بهدم المسجد الذى كان للمسلمين في مدينة تشنج تو Chang - tou ، وحرم عليهم أن يشتروا من المغول فتيانا وفتيات لإعطائهم أو يعيهم عبيدا للصينيين (نفس المرجع ، ص ٢٥٣) . وفي عهد فن تسنج كان هناك رجل مسلم اسمه شنس Chens ، أصله من خراسان ، وقد ذاع صيته من أجل معارفة الفذة . وكتب كثيرا من الكتب في مواد مختلفة ، وعلى الخصوص في التاريخ والجغرافية (المرجع السابق ، ص ٢٧٦) . . وفي سنة ١٣٦٣ كان هناك شخص أجنبي اسمه عمر يعتبر من خير القواد الذين قادوا الجيش المغولى ، (المرجع نفسه ، ص ٣٠٧) .

في مخطوطتنا ، ولكننا نجد في « تاريخ وصاف » الذي لم يزد مؤلفه على أن نقل أخبار رشيد الدين ثم كساها أسلوبا طنانا رنانا . فإذا كان الأمر كذلك ، وإذا عرفنا أن رشيد الدين كان هو المؤرخ الفارسي الوحيد الذي أورد معلومات أصيلة عن تاريخ الصين ، اقتنعنا بأن تاريخ « خطاي » الذي نشر تحت اسم البيضاوي مأخوذ بالنص أو بالإيجاز عن الجزء الثاني من كتاب رشيد الدين .

ومن جهة أخرى نرى حيدر الرازي يورد في الجزء من تاريخه الخاص بالصين أن « فوهي » ابتكر آلة موسيقية بها خمسة وثمانون وترًا من الحرير ، ثم يقول بالنص إنه « استقى هذا الخبر من جامع رشيدى »^(١) : وهذا الخبر نجد بنصه وحرفه في كتاب عبد الله بيضاوي المزعوم^(٢) . وليست القطعة التي خصصها حيدر الرازي^(٣) لتاريخ الصين إلا تكرارا موجزا للقطعة المنشورة باسم عبد الله بيضاوي . ويختتم المؤلف كلامه بقوله : « كل ما قرأه القارىء عن تاريخ ملوك خطاي استقيته من تاريخ غازان ، أو بعبارة أخرى ، جامع رشيدى الذي كتبه خوجه رشيد الطيب . فلم أجد في سواه أى خبر مفصل حول هؤلاء الأسماء » . وقد يكون من الممكن أن نرجح أن تاريخ الصين هذا ليس إلا قطعة من جامع رشيد الدين . ولكن هناك بعض الصعوبات التي تمنعنا من الأخذ بهذا الرأي على علته . وأول هذه الصعوبات

(١) مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٥ ظهر .

(٢) Historica Sinensis ، النص الفارسي ، ، ص ١٥ .

(٣) مخطوطة برلين ، ورقة ٥٨٨ ظهر .

أنه من غير الطبيعي أن يكون المؤلف قد تكلم عن نفسه بهذه الصيغة :
« قال الوزير رشيد الدين » . وهو لو كان يعنى نفسه ، لكان من المحتمل أن
يستعمل عبارة تظهر تواضعه بالنسبة إلى عاهله . وتنحصر الصعوبة الثانية في أن
هذه القطعة التاريخية حررت في سنة ٧١٧/١٣١٧ - ١٨ ، كما يتبين من بعض
فقراتها ، أى قبل موت رشيد الدين بسنة واحدة : وفي هذه الفترة كان تاريخ
رشيد الدين قد انتهى منذ من طويل وأودع إحدى المؤسسات العامة ، ونحن
لأنعلم ، من أى مصدر كان ، أن المؤلف قد فكر في تنقيح الأجزاء المختلفة
التي تكون هذا الكتاب .

وأخيرا نجد أن تاريخ الصين يكون الجزء الثامن من المخطوطة التي
استخدمها أندريه ملر ، والتي تعزى إلى البيضاوى ، ويتبعه فيها جزء تاسع
عن تاريخ المغول . ومثل هذا التقسيم لا يمكن أن يوجد في كتاب رشيد
الدين ، إذا أننا نعرف أن تاريخ المغول يشغل منه المجلد الأول بأسره .

إلى من يصح لنا، إذن ، أن نغزو القطعة التاريخية التي نشرت باسم عبد الله
البيضاوى ؟ لعله ليس من المستحيل أن نحسد بمؤلفها الحقيقي . فقد كان في
فارس ، في عهد السلطانين المغوليين ألبايتو وأبى سعيد ، كاتب شهير يسمى
فخر الدين أباسليمان عبد الله ، ويلقب بـ « بالبناكتي » ^(١) ، لأنه ولد في
مدينة بناكت الواقعة في بلاد ما وراء النهر ثم أصبحت فيما بعد تسمى

(١) خوند ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٦٠ وجه ٤ ؛ دولت شاه ، المخطوطة الفارسية
رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٦ ظهر .

بالشاهرخيه^(١). وقد ألف هذا الكاتب موجزا جم الفائدة في التاريخ العام سماه « روضة أولى الألباب » ، ولكنه يعرف على وجه الخصوص باسم « تاريخ بناكتي ». وقد حاز هذا الكتاب شهرة واسعة لدى الفرس ، ودأب المؤرخون في العهود التالية على الرجوع إليه دائما واتخاذ دليل لهم في أبحاثهم . وينص دولت شاه^(٢) على أن البناكتي كتب تاريخه في عهد أبي سعيد ، وأنه عرض في هذا الكتاب - بكل تطويل - أنساب ملوك « خطاي » وأمراء أقاليم الهند القصية وتاريخ اليهود وأباطرة الرومان . . . الخ . ويضيف إلى ذلك أنه لم يتأت لكاتب أن يعالج هذه المسائل المختلفة بمثل تلك الموهبة السامية . ويمكننا أن نعتقد بأن البناكتي قد وجد أمامه تاريخ رشيد الدين ، ولم يجد وسيلة لتكميل نتایج البحوث التي قام بها هذا الكاتب المجد أو تعديلها ، فرأى أن خير ما في وسعه أن يفعله هو أن يتبع عرضه اتباعا تاما ؛ واقتصر على أن ينقل إلى تاريخه تلك القطعة التي كتبها الوزير العالم كما هي ، أو عمل على اختصارها مع الاحتفاظ بأفكار صاحبها وعباراته . وفي هذه الحالة يحق لي أن أذهب إلى أن تاريخ عبد الله البيضاوي المزعوم ليس إلا جزءا من تاريخ البناكتي .

هذا ويمكن التحقق من هذه المسألة دون كبير عناء ، لأن نسخة كتاب البناكتي من بين مجموعة المخطوطات الشرقية التي جمعها المغفور له المستر رتش ،

(١) ظافرا نامه ، ورقة ٣٧١ وجه ؛ وفيات بابر ، مخطوطة الأستاذ لروا الفارسية رقم ٤ ، ورقة ٢٨ وجه .

(٢) مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ، ورقة ٨٦ ظهر .

واشترتها منه الحكومة البريطانية^(١) ، ولكن هناك منذ الآن أمر لافت النظر يعضد حدسنا . ففي المخطوطة التي تكلمت عنها يكون تاريخ الصين القسم الثامن من الكتاب ، كما يكون تاريخ المغول القسم التاسع منه . وهذا التقسيم بالذات هو التقسيم الذى نعر عليه في مخطوطة عبد الله البيضاوى لمزعومة .

وما تجدر ملاحظته أن هذه القطعة التي تنطبق تماماً على حوليات الصين يجب اعتبارها في غاية القيمة ، وهى وحدها تكفى لإعطائنا فكرة عن دقة المؤلف وصدقه .

طبق صيت « تاريخ المغول » بلاد الشرق في كل العصور ، وقد وجدت اسمه في مذكرة فارسية نشرها السيد سلفستردى ساسى ، على أنه كتاب من أقوم الكتب التي يجب على كل من يريد الوصول إلى معرفة عميقة بالتاريخ أن يرجع إليها^(٢) . وقد قلت في مكان آخر إن « ابن مسعود » يحيل على هذا الكتاب بصدد التفاصيل المتعلقة بفروع أسرة جنكيزخان المختلفة . كما أن ميرخوند وخوندمير يستغلانه إلى أقصى حد ، ولا يفتأ هذا الأخير يذكره مصحوباً بأجل آيات الثناء . بل لقد رأيتنى ميالاً إلى أن أضيف إلى مؤلفنا

(١) Fund gruben des orientis مجلد ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٢) تعليقات على المخطوطات ومختارات منها ، مجلد ٤ ، ص ٣٩٧ .

فقرة طويلة لم يفكر أحد من قبل في إضافتها إليه . فقد نشر الأستاذ لنجائس Langlés في بحثه عن الأوراق النقدية لدى الشرقيين ^(١) قطعة مقتبسة من « حبيب السير » لخوندمير تبدأ هكذا : « در جامع التواريخ جلالى مسطورست » ولما كان خوندمير لايفتأ يذكر « جامع التواريخ » لرشيد الدين ، وكانت أخبار الحادثة التي هو بصدها مستقاة من هذا الكتاب حقيقة ، فقد ظننت في وقت من الأوقات أن كلمة « جلالى » ضرب من التصحيف وأنه يجب تعديلها إلى « چنان » وبالتالي ترجمة الجملة على هذا النحو : « يقرأ المرء هكذا في جامع التواريخ » . ولكن الحدس في هذه النقطة لا يمكن قبوله بأية حال ، إذ أن الكلمات التي نحن بصدها معناها « جامع التواريخ » الذي ألفه جلال الدين . وهذا الكتاب الذي يجهل وجوده حاجى خليفة يذكر أكثر من مرة في « حبيب السير » وفي موجز تاريخ فارس الذي كتبه على شير بلهجة « چغتای التركية » ^(٢) . وأعتقد أن المؤلف هو جلال الدين هذا الذي يتكلم عنه خوندمير ويذكره باسم جلال الدين العربى ليميزه ، فيما أعتقد ، عن جلال الدين الرومى الشاعر المشهور ^(٣) .

(١) ص ١٧ - ٢٣ .

(٢) كلمات نوانى ، مجلد ٢ ، ورقة ٨١٩ ظهر و ٨٢٣ وجه . وتاريخ الفرس هو نفس التاريخ الذى ترجم إلى التركية الغربية ، وطبع في فينا .

(٣) ققرأ في فقرة من حبيب السير لخوندمير (مجلد ٣ ، ورقة ٣ ظهر) اسم : جلال الدين عرب . ولست أعرف ما إذا كان هو نفسه الذى يسمى في غير هذا المكان باسم جلال الدين عرب ، وأى الاسمين هو الصحيح في هذه الحالة ، أو ماذا كان مؤلفا آخر يحمل نفس اللقب ، وهو ما أرجحه .

(٩ - جامع التواريخ)

أعتقد أن أى إنسان منصف يزن المعلومات التى ذكرتها حول الظروف التى أحاطت بتأليف تاريخ رشيد الدين حق وزنها ، لابد أن يقتنع بأن هذا الكتاب هو خير مرشد يستطيع أن يلجأ إليه كل من أراد التعمق فى معرفة تاريخ المغول القديم . والواقع أن تاريخ رشيد الدين قد اعتمد فى تأليفه على فحص الوثائق الوطنية الصحيحة المحفوظة فى سجلات الامبراطورية ، والمذكرات التى فى حوزة الأسر الكبيرة ؛ وقام بتأليفه رجل صادق حى الضمير ، وبذلك يكون قد توفرت له كل مقومات الصدق . ولا نعتقد أن هناك كتابا آخر من بين جميع الكتاب الذين أرادوا دراسة هذه الفترة من التاريخ قد توفر له ما توفر لمؤلّفنا من الوسائل الضرورية لتحديد حوادث هذه الفترة ولكى يقدم إلى قرائه سردا صادقا عنها .

وأغاب الظن أنه لو كانت لدينا المذكرات الأصلية التى اعتمد عليها رشيد الدين لاستطعنا تصحيح بعض النقط التى أوردها أو تعديلها ، ولكن هذه الوثائق القيمة قد اختفت ، ولعل اختفاءها قد حدث فى أثناء الحروب الداخلية الطويلة التى مزقت الإمبراطورية المغولية ، وجرت إليها الخراب التام . فقد كانت هذه المذكرات مكتوبة بلغة ثقل معرفة الناس بها شيئا فشيئا ، ولذا لم تلبث أن أهملت ، وربما كانت قد أسلمت للنار . وفى القرن التاسع الهجرى أراد كاتبان شهيران ، وهما على يزدى وألغ بيگك ، أن يعرضا الحوادث على

بساط البحث من جديد ، الأول في مقدمة « ظفر نامه »^(١) والثاني في كتابه المسمى « أوسى أربعة »^(٢) ، أى كتاب الأوطان الأربعة الذى أراد أن يلم فيه بتاريخ الفروع الأربعة للإمبراطورية المغولية . ولم يرغب هذان المؤلفان أن يستنيرا برشيد الدين ، فضلا اتباع روايات أخرى غير الروايات التى قدم نتائجها فى كتابه ، فاعتمدا فى الكلام على بدء عهد چنگيزخان ومفاخره على قصص بعيدة عن الحقيقة . وقد أدى هذا بالمؤرخين من أمثال ميرخوند وخوندمير ، الذين خدعوا فى مكانة سابقهم الشهيرين ، ولا سيما على يزدى ، إلى أن يشيعوا أخطاء صارخة يجب تطهير التاريخ منها . وهناك مؤلف فارسى آخر نبه شأنه فى القرن التاسع الهجرى ، وهو حافظ أبرو^(٣) الذى يذكره

- (١) خوندمير ، حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ٤ ظهر ووجه ، ٦ ظهر ووجه ، ٦٧ ظهر ، وغيرها ؛ حيدر الرازى ، ورقة ٥٨٩ ظهر ، ٥٩١ وجه ، ٥٩٧ ظهر .
(٢) حبيب السير ، مجلد ٣ ، ورقة ١٦ ظهر ، ٢٤ وجه ، ٢٥ ظهر .
(٣) نور الدين لطف الله المعروف بحافظ أبرو ولد فى مدينة « هرات » ، ولكنه قضى طفولته وشبابه فى مدينة « همدان » وفيها تعلم . وكان يحتل أرقى مكانة بين المؤلفين وعظماء الرجال ، وتال إكبار الأمير « تيمور گوركان » (تيمور لنگك) الذى أغدق عليه آيات إعظامه ، وأذن له فى حضور مجالسه الخاصة ، ولم يدع فرصة أو مناسبة إلا حاول فيها أن يظهر له رضاه . وبعد وفاة هذا الفاتح أنقل حافظ أبرو إلى قصر السلطان شاه رخ ، وتلقى من الأمير الشاب « ميرزا باسنقر » ما يدل على شديد إعباره له . وهذه هى الفترة التى كتب فيها كتابا ضخما سماه (زبدة التواريخ باسنقرى) ؛ وهو يحتوى على تاريخ كامل مفصل للعالم كله ، وعرض لنظم الشعوب المختلفة وعقائدها حتى سنة ٨٢٩ - ١٤٢٥ - ٢٦ . ومات حافظ أبرو فى مدينة زنجان فى شهر شوال من سنة ٨٣٤ - ١٤٣٠ - ٣١ (خوندمير ، حبيب السير ، ج ٣ ، ورقة ٢٠٧ وجه) . وكثيرا ما يذكر تاريخه باسم : تاريخ حافظ أبرو . وانظر حيدر الرازى ، مخطوطة المكتبة الملكية ببرلين ، ورقة ٥٩٤ ظهر ، ٥٩٧ ظهر وغيرها .
(ولحافظ أبرو « ذيل جامع التواريخ رشيدى » ، بالفارسية نشره الدكتور بيانى فى طهران ، وكان قد ترجمه للفرنسية سنة ١٩٣٦) . الحشاب .

معاصروه ومن أتوا بعده بإجلال وتقدير منقطعي النظر، وقد ألف كتاباً ضخماً ضمنه تاريخاً مفصلاً لجميع شعوب العالم، ولكن لم يسعدنا الحظ بالوقوف عليه - ويبدو أنه سار على نهج رشيد الدين فيما يتعلق بتاريخ المغول، أو هذا على الأقل ما يمكن استنتاجه من فقرة للمؤرخ حيدر الرازي،^(١) إذ يرى هذا المؤرخ يلخص من تاريخ ميرخوند الحوادث المتعلقة بالسنيين الأولى لحكم چنگيزخان وعلاقاته بأُنج خان، ثم يعقب قائلاً: « هذا هو نص ماورد في مقدمة « ظفر نامه » ولكن تاريخ حافظ أبرو ينص على أن أنج خان هو الذي لجأ إلى چنگيزخان، وليس چنگيزخان هو الذي لجأ إليه ». فهذا القول يدل على أن حافظ أبرو كان يفضل الاعتماد على رشيد الدين في هذا الجزء من تاريخه. ويتفق سرد رشيد الدين المتجانس الأجزاء مع سرد المؤرخين الصينيين كل الاتفاق، ويشهد هذا الاتفاق للمحفوظ في الحوادث التي يرويها مؤلفون جد متباعدين ويكتبون بلغات مختلفة على إحاطة هؤلاء المؤلفين وصدقهم.

ويبدو أن المغول المعاصرين لا يحتفظون من تاريخهم الوطني بأية روايات لها نصيب من القدم، وأن كل ما يتداولونه بينهم ينحصر في بعض أخبار الأنساب وبعض الأساطير. ولا شك أن الكتاب الذي ألفه سنج سترن في القرن السابع عشر، ونشره الأستاذ شميدت بالألمانية والمغولية، يحتوي على

(١) المخطوطة الفارسية بمكتبة برلين الملكية، ورقة ٥٩١ وجه.

أخبار مفيدة في معرفة انتشار البوذية بين المغول ، وحول تاريخهم منذ إخراجهم من الصين ؛ أما فيما يتعلق بعهد چنګيزخان وخلفائه فإن الأخبار الغامضة الناقصة التي يقدمها لنا هذا المؤرخ المغولي لا قيمة لها ولا يمكن مقارنتها بأية حال بالأخبار المتأسكة المليئة بالحقائق والأحداث التي يقدمها لنا رشيد الدين والمؤرخون الصينيون . وأنا أعرف جيدا أن ذلك الناشر العالم الذي قام بنشر كتاب المؤرخ المغولي ينظر إلى مؤرخنا بعين الريبة ، ويتهم كتاب العرب والفرس جميعا بأنهم أرخوا للعصور الأولى من حياة الامبراطورية المغولية دون معرفة تامة بالحقائق والأحداث ، منساقين وراء أفكار إسلامية سابقة ، وبأن جهلهم باللغة المغولية جعلهم ينسبون إلى هذه اللغة كثيرا من الكلمات ذات الأصل التركي . وقد سبق أن أجبنا على الشطر الأول من هذا الاعتراض بما فيه الكفاية ، وبينت مقدار الظروف المواتية التي توفرت لرشيد الدين والاحتياطات التي اتخذها ليضمن صدق الأحداث التي يرويها . هذا إلى أن الفترة التي عاش فيها رشيد الدين لم تكن جد متباعدة عن فترة الفتوحات الهائلة التي ميزت عصر چنګيزخان وخلفائه الأولين . فقد كان في وسعه ، إذن ، أن يرى بعيني رأسه أبناء أو أحفاد أولئك الذين لعبوا دورا مرموقا في تلك ، الكوارث الحثيفة ، والأشخاص الذين كانوا ضحاياها . وإذا كان قد عاش على هذا النحو مع أشخاص تغلى نفوسهم بدوافع مختلفة ، فإنه لم يعد من يتلقف من أفواههم أقوم المعلومات ويقارنها بالتفاصيل المحفوظة في سجلات الدولة ومذكرات الأسر الكبيرة . ومع ذلك فإنني لا أزعج أن بكل التفاصيل

التي احتواها كتاب رشيد الدين تتساوى في درجة الصدق التاريخي . فأغلب الظن أن الكثير من بين الحوادث التي ترجع إلى الأزمنة القديمة يمكن اعتبارها محلاللريب ، بل زائفة على وجه التأكيد . ولكن لما لم يكن لدى المؤلف أية وسيلة للتحقيق بالنسبة لهذا الموضوع ، فقد قصره على تسجيل الحوادث كما وجدها في الروايات المغولية .

أما بالنسبة للاعتبارات الدينية ، فإنه من العسير على أي كاتب إسلامي أن يتجرد من القيود التي يفرضها عليه الإسلام ، ولا سيما حين يتعرض لكتابة تاريخ أم وثنية ، ولكن الاعتبارات الوطنية بدورها قد تعرض المؤرخ للزلل أيضا . هذا إلى أن الوضع الذي وجد فيه رشيد الدين نفسه ، كان وضعاً خاصاً . إلى أبعد حد . وذلك أنه كان في حكم المواطن المغولي ، وموضع ثقة السلطان ووزيراً لمملكته ؛ ولذلك لم يكن من الممكن أن ينحاز إلى ذلك التطرف في الحساس الذي قد ينحاز إليه مسلم صميم .

وإذا كان يبدو في كل كتابه مسلماً صادقاً للإسلام ، فإننا نراه من جهة أخرى يتجنب الإطار غير المجدي ، ويتمسك دائماً بنزاهة في الرأي تستحق كل إجلال ، ولا سيما إذا كانت من مؤرخ . كان رشيد الدين شديد الإعجاب بالمغول ، ولذا فهو يطرى أعمال البطولة الهائلة التي تمت على أيديهم ، ويذكر دون مواربة ، ولكن دون مبالغة أيضاً ، ضروب القسوة الشنيعة التي ارتكبتها هذا الشعب ، وتخريب أعظم المدن وأكثرها ازدهاراً ، وتذبيح

السكان العديدين دون قلق أو ندم ، كما يصور بهدوء وتحفظ ضروب التجديف التي قاموا بها في مساجد بخارى وغيرها من المدن ، حيث مزقوا المصاحف وألقوا بها أرضا ، وصنعوا من أغلفتها الثمينة مذاود نحيلهم .

أما مأخذ الجهل باللغة المغولية ، فإنه لا ينطبق على رشيد الدين ، كما سبق أن أشرنا ؛ فإنه هو نفسه ، كما قلنا ، يؤكّد أنه كتب بهذه اللغة ، ومن ثم فهو يعرفها معرفة عميقة . ولو لم يذكر هو هذه الحقيقة ، لكان لزاما علينا أن نفترضها ، وإلا فكيف يمكن لرجل يحتل المنصب الأول في الامبراطورية المغولية أن يجهل لغة المغول التي تستعمل في جميع أنحاء الامبراطورية ، ولا يعرف غيرها عدد لا يحصى من الأشخاص الذين يتحدثون فيها أرفع الأماكن ؟ كيف يستطيع ، دون ذلك ، أن يحل المسائل المعقدة التي تصادفه يوميا ، ويحكم في القضايا العسيرة التي تعرض عليه ، ويبت فيما يقابله من مهام لا حصر لأنواعها ، ويقوم بالتراسل المتواصل مع شتى الأمراء من سلالة چنغيزخان ؟ وإذا أخذ عليه أنه كان يخالط بين الكلمات التركية والمغولية في بعض الأحيان ، فإن ذلك لم يكن يحدث له إلا نادرا ، لأننا نرام على وجه العموم ينص على ما إذا كان المصطلح الذي هو بصدده من اللغة التركية أم من المغولية . هذا ، ولا يصح أن يغيب عن بالنا أن اللهجة التي كانت تتكلم في فارس لم تكن هي نفسها اللهجة التي تتكلم على ضفاف نهري « سلتجاه » و « أنون » ؛ إذ أنه لما وصل المغول في حروبهم وفتوحهم

حتى أقاليم آسيا الغربية ، أخذوا يحرون في ركبهم جحافل من القرغيز والاوويجور النيمان وغيرهم ؛ وكل هؤلاء كانوا يتكلمون التركية . فجيوش چنگيزخان وخلفائه كانت تتداول لغتين ، لالغة واحدة ، ولا بد أن تكون كل من اللغتين قد أثرت في الأخرى عن طريق الاستعارة المتبادلة من جراء الاحتكاك اليومي ، وقد حدث ذلك منذ عصر چنگيزخان نفسه ، إذ أننا نعرف أنه كان له ولد يلقب « ألوج نويان » أى الأمير الكبير (أمير بزرك) . وهذا الاسم خليط من اللغتين . ولا بد أيضا أن تكون الزيجات التي كانت تقع يوميا بين رجال من أصل مغولى ونساء من أصل تركى ، قد ساعدت على إدخال كثير من العبارات غير المغولية فى اللغة المغولية ، ولا سيما أنه لم يمض قرن ونصف قرن من الزمان حتى تلاشت المغولية أمام اللغة التركية فى الأقاليم نفسها التي كان يحتلها بعض الأمراء المغول . فى عهد تيمور كان السكان المغول الذين يحتلون بلاد ماوراء النهر لا يتكلمون غير التركية . وبهذه اللغة كتبت الإجازة العالمية التي حررت فى كاپتاشك بأمر السلطان قتلغ تيمور سنة ٨٠٠ ، ١٣٩٧ - ١٣٩٨ ، ونشرها الأستاذ دى هامر de Hammer (١) . وقبل هذه الفترة ، أى فى سنة ١٣٨٣ من التاريخ الميلادى ، عقدت معاهدة بين الجنوبيين المستوطنين كفا Caffa وبين أحد أمراء كاپتاشك وحررت باللغة الأويغورية ،

(١) Fundgruben des Orients ، ج ٦ ، ص ٣٥٩ وما يليها .

أى بالتركية (١) . ووصف بادوتشى بيجولوتى Pegolotti Baducci (٢) الطريق الذى يتبعه التجار للوصول إلى « خطاى » فقال : « ويجب على المرء أن يصحب معه مترجمين يعرفون اللغة (الكومانسكية) جيدا » ، مما يدل على أن هذه اللغة ، أى اللغة التركية ، كانت منتشرة فى شمال آسيا . ولما وصل الراهب الفرنسيسكانى ، بسكاليس Paschalis ، إلى سراى عاصمة كابتشاك فى سنة ١٣٣٨م أراد أن يتعلم اللغة الشامانية قبل أن يوغل فى المسير ، لأنها هى اللغة المتداولة فى بلاد التتار والفرس وفى الخطاى وغيرها (٣) . ونجد فى اللغة المغولية التى كان يتكلمها مغول فارس بعض العبارات التركية التى لعلها لم تكن تستعمل إلا فى اللغة العامية . فنقرأ ، مثلا ، فى إحدى فقرات رشيد الدين (٤) هذه الكلمات : « هولاجوير ليفيدن وكيشوسوز يدين » (بأمر هولاجو ، تبعا لكلام كيشو Keischou) . وكان القائد العام للجيوش المغولية فارس يحمل لقب « بيكر بگى » (Beilyerbeghi) (٥) ؛ وهذه الكلمة تنتمى إلى اللغة التركية بمادتها وبصيغتها على السواء . وكان الأمير « نوروز »

(١) أودريكو Lettere Iigustiche, Oderico ، دوريات المجمع ،
قسم التاريخ والآداب القديمة ، مجلد ٣ تاريخ ، ص ١١٤ .
(٢) La Pratica della mercatura ، ص ٢ .
(٣) Mosheim ، Historica Tartarorum ecclesiastica ،
محلّق ، ص ١٩٤ .
(٤) المخطوطة الفارسية رقم ١٦٨ ، ورقة ٣٤١ ظهر .
(٥) مسالك الأبصار ، مخطوطة عربية ٥٨٣ ، ورقة ٨١ ظهر ؛ تاريخ و صاف ، ورقة
٢٢٣ ظهر و ٣٦٨ وجه .

قد وعد بيدوخان أن يبعث إليه بالأمرغازان مكبلا بالأغلال . ولما وصل إلى سيدة الشاب لم يفكر في خيانتة ، بل ، على العكس من ذلك ، حثه على الثورة ، وأطلعه على ما رآه وعلم به خلال إقامته في قصر العاهل المغولي . ولما أراد أن يتحلل من وعده لهذا العاهل ، بعث إليه بمرجل^(١) مربوط ربطاً محكماً . والواقع أن هذا التلاعب الساخر الغريب بالألفاظ يمكن تفسيره باللغة التركية التي تدل كلمة قران فيها على المرجل . وفترة السيطرة المغولية في فارس هي الفترة التي دخل فيها الكثير من أسماء الحدث المنتهية بـ « ميشى » في لغة تلك البلاد . وهذه الصيغة غريبة كل الغرابة على اللغة المغولية ؛ وإذا صح تقديري ، فإن أصلها يرجع إلى أسماء الفاعلين التركية المنتهية بـ « ميش » ، ثم أضيفت إليها الباء لتكوين اسم الحدث ، تبعاً لما هو معتاد في اللغة الفارسية .

أما عن العبارات المغولية التي رسمت خطأ في تاريخ مؤلفنا ، فأغلب الظن أن معظم هذه الضروب من التحريف يرجع إلى النسخ الذين كتبوا تلك الكلمات اتفاقاً دون العناية بتحديد هجائها الحقيقي . ونحن نعرف أن الناشرين والشرح الأوربيين ، وهم أجنب على لغة المغول ، إذا وجدوا أمامهم عدداً من الخلافات وتحتم عليهم الاختيار بينها ، لم يعرفوا أن يختاروا خيرها

(١) رشيد الدين ، ورقة ٣٥٥ ظهر ٤ ميرخند ، ج ٤ ، ورقة ٩٨ ظهر ٤ خوندنمير حبيب السير ، ج ٣ ، ورقة ٤٦ وجه .

إلا عن طريق المصادفة: ولهذا كثرت لديهم الأخطاء التي من هذا القبيل .
ولكن مثل هذا النقص لا يمكن أن يعاب على رشيد الدين .

يوجد بين مختلف القطع التي يتألف منها تاريخ المغول لرشيد الدين
قطعتان يبدو لي أنهما تهمان القراء بوجه خاص ، وهما : حياة چنگيزخان ، وحياة
غازان خان . والأولى تنطبق تمام الانطباق ، كما سبق أن قلت ، على الأخبار
التي نقلها إلينا الكتاب الصينيون . ولذلك ، ولما كان في عزمي أن أعرف
القراء بمجهود مؤلفنا عن طريق الإكثار من المتبسات ، فقد رأيت أن أقدم
لهم حياة چنگيزخان بأسرها مقتبسة من رشيد الدين مع مقارنتها بالروايات
الأخرى التي لدينا عن هذا الأمير . أما تاريخ غازان خان الذي تتلوه قطعة
يتكلم فيها المؤلف عن أعمال هذا الأمير ومنشأته الخالدة ، فإنه يكون
فصلا هاما ومفصلا ، وقد كنت أود أن أقدم لقرائي صورة صادقة عنه . وقد قام
الأستاذ كرك باتريك Kirc Patrick بترجمة الجزء الثاني منه إلى الإنجليزية ،
ونشره في كتابنا تحت عنوان « منشآت غازان خان » ضمن مجموعة من القطع
المختارة من الأدب الشرقي ، ولكن هذه النشرة لم تكن لتجعل عملنا غير
مجد (١) . وذلك ، أولا ، لأن المجموعة التي تتكلم عنها لاتكاد توجد في
فرنسا ، وثانيا لأنه لم يكن في متناول كرك باتريك منه إلا موجز مأخوذ

(١) New asiatic Miscellany مجلد ٢ ، ص ١٤٩ وما يليها .

من « حبيب السير ». أما أنا فكنت سأعتمد على الفصل بأكمله كما هو في الأصل الذى يأسف المترجم العالم أشد الأسف من عدم حصوله عليه .

هذه هي الخطة التي كنت قد وضعتها لنفسى ، ولكن ظروفًا مختلفة حالت دون تحقيقها . فهد هذه الفترة تغيرت وجهة نظرى بصورة محسوسة .

فقد أصدر الأستاذ مورادجا دوسون Mouradgaa d'Ohsson تاريخًا للمغول اتبع فيه تاريخ رشيد الدين بكل دقة . وترتب على نشر هذا الكتاب القيم أن أصبحت ترجمة حياة جنكيزخان أقل ضرورة من ذى قبل ، مادامت الأخبار غير الصحيحة التي تضمنها تاريخ بتي لاكروا Pétis la Croix وغيره من الجامعين قد انزوت ، وحلت محلها أخبار أتقى منها وأصدق . ولكن لما صح العزم على طبع مجموعة المؤلفات الشرقية في المطبعة الملكية ، تقرر أن يصحب كل مؤلف منها بترجمة فرنسية وتعليقات . وكنت في أول الأمر قد تعهدت بإصدار مجلد رشيد الدين دون أن أحذف منه كلمة واحدة . ولكن لما تفحصت ضخامة العمل الذي فرضته على نفسى ، وفكرت في قصر الحياة والبطء الذى تسير به الطباعة بطبيعة الحال ، أيقنت أن هذا العمل يفوق طاقتى وأنتى لن أستطيع بأية حال أن أمل الوصول به إلى نهايته . فاقترعت على نشر جزء الكتاب الذى يعالج تاريخ المغول في فارس . وإذا وجدت في الوقت مسحة ، أتبعته بالملاحق الذى يحتوى ، كما قلت ، على الحياة التفصيلية للسلطانين خدابنده ، أو الجايتو ، وأبى سعيد .

كانت المكتبة الملكية، في الوقت الذي كتبت فيه هذه المقدمة، هي المكتبة الوحيدة في أوربا التي تضم كتاب رشيد الدين بين ذخايرها. وهي تستحوذ على نسختين منه، وكلاهما من القطع الكامل. والأولى منهما التي لم تقيد بعد في الفهرس والتي أشير إليها بالرقم ١٦٨ هي أكل النسختين وتحتوي، زيادة عن الأخرى، على الملحق الذي يعالج حياة ألبايتو وأبي سعيد، كما سبق أن ذكرت. وقد قام بنسخ هذه المخطوطة التي تتكون من أربع وثلاثين وخمسة ورقة مسعود بن عبد الله، وانتهى من كتابتها في اليوم الرابع من شهر رجب سنة ١٤٣٧/١٤٣٣ - ١٤٣٤. ويحتل كتاب رشيد الدين الأوراق السبع والأربعين والأربعمائة الأولى. أما بقية المجلد، من الورقة ٤٤٨ إلى الورقة ٥٣٤، فتحوي على تكملة كتبها مؤلف مجهول الاسم. بأمر شاه رخ ابن تيمور لنگك.

والمخطوطة مكتوبة بخط جميل، ولكنها مملآء بالأخطاء التي ترجع إلى الناسخ، كما أنها كثيرا ما تهمل وضع نقط الإجماع، مما يجعل قراءتها عسيرة. ومما يزيد في شناعة هذا النقص أن الكتاب يحتوي على عدد كبير من أسماء الأعلام وأسماء المدن والكلمات التي ترجع إلى اللغة المغولية أو الصينية أو غيرها. وقد كلفني ضبط الهجاء وتحديد النطق الصحيح لجزء من هذه الكلمات مشقة لاحد لها؛ أما الكلمات الباقية فقد اضطررت اضطرارا إلى العدول عن استخدامها.

والنسخة الثانية من كتاب رشيد الدين على جانب كبير من النقص . وهي تتكون من مائة وخمسين ورقة من أكبر قطع ، وتحتوى ، إلى جانب وصف القبائل التركية والمغولية ، على نسب چنگيزخان والجزء الأكبر من حياة هذا الأمير . وخط هذه المخطوطة لا بأس به ، ولكنها تحتوى ، فضلا عن الأخطاء التي تشترك فيها مع النسخة الأولى ، على عيب خاص يجعل الاستفادة منها عسيرة جدا ، بل شبه مستحيلة . وذلك أن جميع العناوين والكلمات التي كان على الناسخ أن يكتبها بالمداد الأحمر قد ترك مكانها أبيض . وقد قام بيتى دى لا كروا الابن Pétis de la Croix بترجمة هذا الجزء من تاريخ رشيد الدين إلى الفرنسية ، واعتمد والده اعتمادا كبيرا على هذه الترجمة في دراسته لحياة چنگيزخان^(١) . ولا شك أن بيتى دى لا كروا كان من ذوى المواهب النادرة ، ولكن لما لم يكن لديه إلا نص ناقص مليء بالتحريف ، فإن فقدان كتابه لا يثير في نفوسنا أى أسف .

واليوم توجد نسخ من هذا الكتاب في جهات عديدة . ففي المكتبة الإمبراطورية في سانت بطرسبرج ، إذا صح تقديري ، نسختان منه ، إحداها كانت بين المجموعة الجميلة التي كان المرحوم الأستاذ روسو^(٢) قد كونها ، ثم نقلت إلى روسيا . وهناك نسخة أخرى في مكتبة فينا ، وأخرى اشترتها

(١) تاريخ چنگيزخان Histoire de Genghizcan ، ص ٥٣٩ - ٥٤١
(٢) Recueil de catalogues divers, manuscrits orientaux

الحكومة الإنجليزية من ورثة الأستاذ رتش ، وهى اليوم فى مكتبة المتحف البريطانى . ويبدو أن هذا السيد الكريم لم يحصل على ذلك الكتاب إلا قبل موته بزمان وجيز ؛ لأنى لم أجد أى ذكر لهذا المجلد فى الفهرس الذى نشر فى مجموعة « كنوز الشرق Mines d'Orient » .

* * *

وقد ألف رشيد الدين ، إلى جانب المجموعة التاريخية التى تكلمنا عنها، عدة كتب أخرى . وأول ما سنتكلم عنه من هذه الكتب هو « كتاب الأحياء أو الآثار » الذى يبحث فى الاقتصاد الزراعى وينقسم ، إلى أربعة وعشرين فصلاً^(١) . وهذا بالتقريب ما يقول المؤلف فى هذا الصدد :

« يتكلم الفصل الأول عن السنة والفصول المختلفة والبرد والحار والعلامات الدالة على الرياح والمطر . ويبحث الثانى فى الماء والأرض والطقوس الحارة والباردة . ويشير الثالث إلى نوع الأرض التى تناسب كل نوع من أنواع النبات ، والفترات التى تصلح لكل منها والوسائل التى يجب اتباعها ، وفوائد أخرى من هذا القبيل . ويدور الرابع حول كل ما يتعلق بالقنوات ورى الأرض . والخامس . . . والسادس يعالج الحبوب والجذور ، وطريقة تمييز جيدها من رديئها . ويتكلم السابع عن النباتات التى يجب بذورها والتى يجب غرسها .

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ .

والثامن عن شتى الأشجار ذات الفاكهة وغير ذات الفاكهة ، المنزرعة أو البرية ، سواء أكانت مما ينبت في بلادنا أم خاصة بأجواء أخرى . و يبحث التاسع في تطعيم الأشجار وفوائده . والعاشر في استخدام السماد ، وفي أنواعه المختلفة، وفوائده وشتى خواصه . والحادى عشر في أنواع الشام والخصر والأعشاب الغذائية . والثانى عشر يذ كر بعض التفاصيل عن زراعة القمح والشعير ، وعن شتى أنواع الحيوان ، والفائدة التى نجتنيها من كل منها . والثالث عشر فى زراعة السكر والقطن والسمسم والكتان والنيلة والقنب ونباتات أخرى من هذا القبيل . والرابع عشر فى وسائل استبعاد الجراد والفيران والنمل والأفاعى والعقارب وغيرها من الحيوانات الضارة . والخامس عشر فى كل ما يتعلق بالحمام والدجاج وسائر الطيور الأليفة ، والطريقة التى يتكاثر بها كل نوع منها . والسادس عشر فى مختلف أنواع الخيل والبقر والحمير ، وفى سائر الحيوانات المستأنسة والبرية . والسابع عشر فى شتى أنواع النحل ، ومختلف أنواع السكر التى ندين بها للحيوانات أو نستنبطها من النباتات مع طريقة حفظها . والثامن عشر فى العوارض التى تعرض للأشجار والقواكه والنباتات ووسائل منعها أو علاجها . والتاسع عشر فى وسائل حفظ القمح وشتى الحبوب وأنواع السكر والنبيد والزبيب وغير ذلك . والعشرون فى القواعد التى يجب اتباعها فى بناء المنازل والعائر المخصصة لأعمال البر والحصون وسائر الأبنية . والحادى والعشرون فى تشييد السفن والسدود والجسور والمقابر . والثانى والعشرون فى الصفات الخاصة بكل نوع

من أنواع الحيوان ، والمزايما التي يمكن استفادتها منه . والثالث والعشرون في فن استخراج المعادن وغيرها من المواد من المناجم ، مع طريقة استخدامها . والرابع والعشرون في طبيعة المعادن والأحجار ، وخصائص كل نوع منها ، وضروب الفوائد التي يمكن الاستفادة بها منها » .

ولم يصل إلينا هذا الكتاب

ولست هذه الكتب المختلفة ، مهما بلغ حجمها ، إلا جزءا من إنتاج رشيد الدين ، إذ أنه كان أكثر اشتغالا بالميتافيزيقا وعلوم اللاهوت منه بتلك المسائل . وقد ذكرنا فيما سبق أن مؤلفنا كان يشعر منذ شبابه الأول بميل خاص نحو التأمل في العقائد الدينية ، والمعنى الصوفي للقرآن ؛ ولكن تواضعه الجرم وحياءه الطبيعي قد منعه من نشر ثمرات تفكيره إلا في وقت جد متأخر . وتنحصر أول رسالة كتبها عن المسائل الدينية في رسالة طويلة بعض الشيء ، أراد أن يبرهن فيها على أن أمية محمد أمر مقصود من العناية الإلهية ، ودليل حاسم على صدق رسالته . ويقول رشيد الدين إن النبي أراد أن يجازيه على حسن اجتهاده ، فأثار بصيرته ، ووهبه ملكة التفكير في أعوص المسائل الدينية بسهولة فائقة . ومنذ هذا الحين ، أعنى منذ سنة ٧٠٥ ، ١٣٠٥ - ٦ ، ازدادت ثقة مؤلفنا في نفسه ، ولم يعد يخشى نشر الأفكار العديدة التي يوحى بها إليه خياله الخصب ومثابرته الطويلة .

وفي هذه الأثناء رغب السلطان ألبايتو^(١) إلى رشيد الدين في أن يفسر بعض آيات القرآن ، فسارع بالقبول وزود تفسيراته بكل ضروب البسط التي يمكن أن تحملها . وكان قد كتب عدة رسائل في مسائل مختلفة ، فجمعها كلها في مجلد واحد سماه « التوضيحات » . ويتكون هذا المؤلف الذي بين أيدينا من مقدمة وتسع عشرة رسالة . ويتكلم في المقدمة عن البواعث التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب . وتدور الرسالة الأولى حول تفسير اسم الله ، والثانية عن تقسيم الموجودات ، والثالثة تحتوي على تفاصيل أوسع حول الموضوع نفسه ، والرابعة في تفسير الآية القرآنية : « ... قَالُوا آمَنَّا ... »^(٢) ، والخامسة في تفسير الآية : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ »^(٣) ، والسادسة في تفسير الكلمات القرآنية : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ » ، والسابعة في تفسير سورة : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^(٤) . وتشتمل الثامنة على ذيل للتفسير السابق ، والتاسعة في الرد على المطاعن التي وجهها أعداء المؤلف إليه ، وفي العاشرة مناقشة عميقة لمسألة المعراج ، والحادية عشرة في تفسير الحديث : « الأرواح جنود مجندة ... » ، وتتكلم الثانية عشرة عن نسب النبي ، وعن تفسير قوله تعالى : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ ... »^(٥) ، وتقدم الثالثة عشرة عرضا واضحا لمسألة أمية النبي محمد ،

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقه ٥٥ ظهر ، وورقة ٦٩١ وجه .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٨٦ .

(٤) سورة الكافرون ، آية ١ .

(٥) سورة الكوثر ، آية ١ .

وفي الرابعة عشرة رد على منتقدي الإمام الغزالي ، والخامسة عشرة تبحث في سمو العقل والعلم ، والسادسة عشرة . . . والسابعة عشرة تتكلم في رؤيا رآها المؤلف ، والثامنة عشرة تبحث في الإحسان ، وأخيرا تشمل التاسعة عشرة على مدح للعلماء . وكان في عزم رشيد الدين أن يكتب تفسيراً شاملاً للقرآن ، يبسط فيه كل آية بأوسع تفصيل ، فيقول في هذا الصدد : « كان هذا عزمي ، ولكنني لم ألبث أن أدرك أن تفسير هذا الكتاب المقدس بحر لا شاطئ له ، وأني إذا انعمت في عبابه ، فقد وجب علي أن أبذل كل جهد لعبوره في أقرب مدة ، والوصول إلى شاطئه في أسرع وقت ، ولذلك رأيت أنه يجدر بي اتباع طريق أقصر حتى أستطيع الوصول إلى هدفني في أوجز فترة . وفي الحقيقة إذا كان للإنسان أن يفخر بتمام شيء ما ، فإنه لا يجوز أن يستغرق منه هذا الشيء أكثر من بضع سنين . فكيف يصح لنا أن نأخذ على عاتقنا عملاً يستغرق حياة طويلة ، ونحن لانستطيع أن نقدر لأنفسنا في الوجود إلا أقصر مدى ؟ هذا ، وإذا مد الله في عمري ، استطعت أن أجني ثمار ما أنجزته في زمن وجيز . أما إذا شرعت في تأليف كتاب ضخم ، ولم يهيني الله من طول الحياة ما يكفي لإتمامه ، فإن عملي يظل ناقصاً فيعتبره الإهمال ويخيم عليه النسيان . وذلك فضلا عن أنه من الأكيد أن الإنسان دائماً على أبواب الموت ، ولا يجوز له أن يعول على غير اللحظة التي هو فيها .

ولذلك فإني لو أردت القيام بتفسير كامل للقرآن ، لوجدت لزاماً علي أن

أقوم بتأليف كتاب كبير، في حين أنى قد لا أستطيع أن أفى لنفسى بتوفير الفراغ الذى يلزم له . نعم يمكن الإنسان أن يقول نفس هذا القول فيما يتعلق بتفسير آية واحدة ؛ ولكن مما لا شك فيه أنه يكون أقرب إلى الصواب حين يأمل فى إتمام عمل يستغرق وقتا قصيرا مما لو زج بنفسه فى عمل يستغرق السنين الطوال . وقد حدث بى هذه الأفكار وأمثالها إلى أن أختصر طريقى جهد الطاقة . ولما أنعمت النظر فى كتب المؤلفين والمفسرين للتبحرين فى العلم والمشهود لهم بالسبق ، وجدت أن الأواخر لم يقوموا ، فى غالب الأحيان ، إلا بتكرار تفاسير الأوائل مع صوغها فى عبارات جديدة . فلما تيقنت من ذلك ، قلت لنفسى : إني إذا خطوت خطوهم ، أنفقت فى عملى وقتاً طويلاً دون أن تكون له فائدة تذكر . وإلا فأى فائدة يجنيها المرء من قراءة كتابى ، إذا قصرت جهدى على تكرار الآراء السديدة التى تطويها كتب القدامى فى بطونها ؟

وبعد ، فهذه هى الطريقة التى رأيت اتباعها : إذا طرأت فى ذهنى فكرة تتماشى مع الفعل السليم وتتفق والسنن الصحيحة ، طرحت بها فوراً على الورق ، مع تجنب الانسياق فى مناقشات طويلة ؛ ولكنى ، من جهة أخرى ، رأيت أنى لو أهملت آراء المفسرين الذين سبقونى إهالاً تاماً ، لجاء كتابى ناقصاً ، وقصرت عن بلوغ الهدف الذى رسمته لنفسى . والحقيقة أن ملاحظات هؤلاء العلماء مختلفة النواحي ، فبعضها يهتم بمعنى الجملة ، وبعضها يعنى باشتقاق

الكلمات ، وبعضها بصيغها وترتيبها في الجمل المختلفة ، وبعضها بالشاكل النحوية ، والبعض الآخر يقصر همه على الدلالات الحقيقية والمجازية . وكل منها جيد في بابه ، مفيد لقارئه ، بل وبعضها ضرورى لا بد منه لحسن فهم النص . وقد استقر رأيي ، بعد كل هذا التفكير ، على أن أبدأ في تفسير الآية بجمع آراء العلماء السابقين وترتيبها تبعا للنظام الذى ساروا عليه ، ثم أتبعها بأفكارى الخاصة .

هذا هو المسلك الذى سلكه رشيد الدين فى شتى مؤلفاته الدينية والميتافيزيقية . فلم يكاد ينتهى من الكتاب الذى تكلمنا عنه حتى بدأ عدة كتب أخرى أنهاها بسرعة لا يكاد يصدقها العقل . وأول ما سار فيه من تلك الكتب هو « مفتاح التفاسير » . وهو ينقسم إلى قسمين ، أولها يشتمل على رسالتين : يبرهن فى أولها على كمال بلاغة القرآن ، وعلى أن تفسير هذا الكتاب المنزل يفتح الطريق إلى آراء وأفكار لا حصر لها . وتبحث الثانية فى المفسرين ، وطبقاتهم ، والقواعد التى يجب عليهم اتباعها .

ويتكون الجزء الثانى من ست رسائل : الأولى تعالج مسألة الخير والشر ؛ والثانية فى الجزاء على الأعمال الصالحة ، والعقاب على الأعمال الطالحة ، وأنواع الصبر المختلفة ؛ وينحصر موضوع الثالثة فى الكلام على طول الحياة البشرية وقصرها ، والإسراع أو البطء فى نهاية أعمارنا ؛ وتهدف الرابعة إلى

حل مسألة القضاء والقدر؛ والخامسة تحتوى على تنفيذ التناسخ، والبرهان التام على بعث الأجسام؛ والسادسة فيها مناقشة للكلمات: الرعاية الإلهية، والفلاح، والسعادة، والحظ، والطالع، ثم للكلمات التي تدل على المعاني المضادة لتلك.

وقد بدأ الكتاب المسمى « بالسلطانية » في يوم الثلاثاء التاسع من شهر رمضان سنة ٧٠٦، ١٣٠٦ - ٧، عقب اجتماع عقد لدى السلطان ألبايتو^(١). وهو لا ينقسم إلى رسائل، بل يتكون من متن وذيل. وقد سبق المتن بمدمة في مدح السلطان ألبايتو وعرض للأعمال الجليلة التي قام بها. ثم يتلو ذلك بحث عميق حول كلمات: الوحي، والإلهام، والمعجزة، والرسالة الإلهية، والنبوة، وحول الأسباب التي جعلت بعض الأنبياء يلقبون بـ « أولى العزم »، وسميزات خاتم النبيين، والفروق التي توجد تلك الدرجات المختلفة. ويتلو هذه القطعة بحث آخر في أن الصالحين سيخلدون في الجنة، وأن بعض أهل النار لن يمكثوا فيها أكثر من أيام في حين أن الآخرين سيتلظون بحميمها أبد الآبدين. أما الذيل فينقسم إلى قسمين، ويحتوى على تفاصيل مسهبة حول الفوارق التي توجد بين الأنبياء والصدّيقين والخلفاء، ومع ذلك أنساب كل طائفة من هؤلاء وأولئك.

ويتكون كتاب « لطائف الحقائق » من أربع عشرة رسالة. في الأولى منها يتكلم المؤلف عن رؤيا رآها في الليلة السادسة والعشرين من شهر

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦، ورقة ٢١٤ وجه.

رمضان سنة ٧٠٥، ١٣٠٥، ورأى فيها أنه قدّم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ والثانية تعالج الأحاديث الغامضة وتبرهن على أن الرجل الملمهم يستطيع، في بعض الظروف، أن يكتب بسهولة وسرعة تبلغ حد الإعجاز، والثالثة تتكلم في تفسير الآية القرآنية: «قل لو كان البحر مدادا...»؛ والرابعة تبحث فيما إذا كانت الأرض مسطحة أم كروية؛ وتعالج الخامسة مسألة البعث وتفسير السبب الذي من أجله يبعث الناس اثنين اثنين معا؛ والسادسة تتكلم عن غفران الله ومسائل أخرى متعلقة به؛ وتحتوي السابعة على الإجابة على ثلاثة أسئلة متعلقة بوحداية الله... الخ؛ والثامنة عن معجزات النبي؛ والتاسعة التي يدور موضوعها الأساسي حول غفران الله تعرض وجوها جديدة لما قيل في السادسة؛ والعاشره تتكلم في درجات الكمال المختلفة التي يمكن للنفس أن تصل إليها، وتنتهي ببيان فضل درجة خاتم النبيين وآخرهم؛ وفي الحادية عشرة حل لبعض المسائل؛ وفي الثانية عشرة استعراض المزايا التي نستطيع جنبها من مختلف الظروف، والحسنات التي نالها؛ وفي الثالثة عشرة جواب على سؤال اقترحه السلطان حول ماورد في الحديث من أنه: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»؛ والرابعة عشرة تبحث في تفسير الأعداد.

تكون الكتب الثلاثة التي تكلمنا عنها، مضافا إليها كتاب «التوضيحات»، مايسمى «بالمجموعة الرشيدية». وتوجد بالمكتبة الملكية مجموعة رائعة منها باللغة العربية. وهو مجلد من القطع الكامل ذو حجم هائل،

وخط جميل ، وقد شكل تشكيلا تاما . ويحتوى على ثلاثمائة وسبعين وست صفحات ، وقام بنسخه ، فى سنة ٧١٠ ، محمد بن محمد المعروف بـ «زود نويس» ، أى سريع الكتابة « وتقرأ على رأس المجموعة شهادات لسبعين من علماء المسلمين يقررون فيها أن ما احتواه هذا المجلد يطابق أنقى مبادئ الاسلام ، ويوجهون أسى آيات المديح إلى مؤلفه . ونجد هذه الشهادات بأسرها مكتوبة بالعربية فى مخطوطة فارسية تحتوى على قطعة من ترجمة المذكرات التى كان السلطان بابر^(١) قد كتبها بالتركية . أما كتاب « لطائف الحقائق » الذى يكون جزءا من المجموعة آنفة الذكر ، فإنه يوجد باللغة الفارسية بين المخطوطات التى أحضرها من الهند المرحوم السيد « أنكيتل دى پرون . Anquetil de Perron . وقد أخطأ هذا العالم ، حين أعلن أن هذا الكتاب من تأليف سيد على الهمداني^(٢) . وقد عثرت بين مخطوطات مجموعة المرحوم الأستاذ ريو التى توجد الآن فى مكتبة سان بطرسبورج الامبراطورية على مجموعة من الخطابات التى كتبها رشيد الدين وبعث بها إلى أصدقائه وأبنائه ، وعددها خمسة وعشرون خطابا^(٣) .

-
- (١) مخطوطة فارسية رقم ١٠٧ ، ورقة ١ - ٧٠ .
(٢) زند اوستا الجزء الأول من المجلد الأول ، ص ٥٣٣ .
(٣) فهرس المخطوطات العربية ، ص ١١ .

وهكذا كان رشيد الدين يشتغل بتفسير القرآن ، ويعالج المسائل التجريدية .
البحثة في الأخلاق والميتافيزيقا . وفي الوقت الذي كان يجب أن توفر له هذه
المؤلفات نفسها تقدير المسلمين العاملين جميعا وعرفانهم ، تراها تجر عليه عاصفة
من الهجوم تسبب له أبلغ ضروب الحزن والألم . ولندع رشيد الدين نفسه يعبر
عن حنقه في الرسالة التي خصصها لسرد هذه الحادثة ^(١) : « مؤلف هذا
الكتاب ، العبد الحقير فضل الله رشيد الدين ، يعرض على إناصاف أعظم علماء
الإسلام تلك المفتريات الظالمة التي رماه شخص جاهل حقود ، أراد بزيفه أن
يبهر العامة ويشق طريقه نحو الجاه والمال . وقد بلغت به الجرأة أن شمل
بمفترياته طائفة من جلة العلماء ذوى الشهرة الراسخة الذين يعتبرون اليوم من
عمد الدين ، فنسب إليهم نوايا لم يعرفوها ، ورماهم بالمروق من الدين . وأراد
بذلك أن يحط من قدرهم في نظر المسلمين ، وأن يجعلهم موضعاً لأقذع حديث
وأمر نبذ ، بينما يحظى هو بطيب الأحذوثه وذبوع الصيت ، إذ يومه الملاء بوثوقه
من قوته إلى حد أنه استطاع أن يصدر آراء تناقض ما قال به فطاحل العلماء .
وسنورد هنا الاتهامات ، ونفندها بأدلة مقنعة تتفق مع العقل السليم وصحيح
الأثر . ونرجو من ذوى العلم في جميع الأمصار أن يتأملوا هذا الأمر بعناية
فائقة ، وأن ينتقموا لنا وللعلماء الذين أشرنا إليهم من مفتريات هذا الجاهل .
ولنا أن نأمل في أن كل من يقرأ هذه الرسالة منهم يسارع بالرد على المسائل

(١) مخطوطة عربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١١٩ ظهر ووجه ، ١٢٠ ظهر ووجه ،
١٢١ ظهر .

التي تنطوى عليها ، متبعا للصدق وقواعد الإنصاف وساعيا جهده في التمييز بين الحق والباطل .

وبعد أن عرض رشيد الدين أسلوب حياته حتى تلك اللحظة وميله دائما إلى التفكير في عقائد الإسلام والمهام العديدة التي كانت تستغرق كل وقته ، واصل كلامه على هذا النحو قائلا : ظلت منذ أن اعتلى السلطان ألبايتو العرش ، لأجد أية فرصة لتسجيل فكرة من الأفكار التي طرأت في ذهني عن المسائل المتعلقة بالدين . وكنت في هذه الفترة قد بدأت بعرض نتائج تفكيري ، أحيانا ، في اجتماعات أعقدها مع رجال من ذوى الكفاءة النادرة . وذات يوم ذهبت في زيارة « لتاج الدين مؤمنى » الذى شغل منصب الوزارة مدة طويلة بجدارة مقطوعة النظر ، ثم هجر الجاه والمجد والثروة ، ليلجأ إلى تلك العزلة التي يقيم فيها منذ أربعة وعشرين عاما ، لا يشغله فيها غير التفكير والانكباب على العبادة . واتفق أن جرننا الحديث إلى الكلام عن أمية محمد ، فطرأت في ذهني فكرة عرضتها على تاج الدين ، وهذه هي فحواها : لقد أطال العلماء القول حول هذا الموضوع ، ومما لا ريب فيه أن آراءهم فائقة . غير أنه يبدو لى أن تعليقاتهم غير كافية ، حينما يتعلق الأمر ، بصفة خاصة ، بكأن سام كالنبي . وأدت بى هذه الملاحظة إلى النظر فى الأمر بإمعان ، فألمنى الله طائفة كبيرة من الفكر ، كلها تلتقى لدى هدف واحد ، وهو إظهار ميزة هذه الأمية . وعضدت رأئى بأدلة مفحمة ، كقيلة ياقناع أعصى العقول وأشدّها

إنكارا . فأضفت أفكارى إلى أفكار العلماء الذين سبقونى ، وجمعتها كلها فى مجلد واحد ؛ وأطلعت تاج الدين على عملى فرضى عنه كل الرضاء ، ثم قال لى : لقد جئت بفكرة جديدة لم يسبقك إليها أحد ، وينت حقيقة ذات أهمية عظمى . فشجعتنى هذه الشهادة ، وأقبلت من فورى على تحرير رسالتى عن أمية النبى . وفى هذا الحين كان يوجد فى تبريز عدد كبير من العلماء ، بعضهم من أهل هذه المدينة والبعض الآخر ممن وفدوا عليها من أقطار بعيدة كعصر والشام ، وكان من بينهم قاضى قضاة ذائع الصيت بعث به ملكه فى رسالة خاصة . فلم يكده هؤلاء الأفاضل يسمعون برسالتى ، حتى طلبوا منى الإذن بنسخها وحملها إلى بلادهم ، ليقدموها هدية لعلماء الإسلام .

ولما كان من شأنى أن أكون دائما مقتصدا فى كلامى ، حريصا على ألا أحاكى الكافرين الذين يتواصون بالكذب ، لم أدع مطلقا أنى تلقيت وحيا فى المنام أو فى اليقظة ؛ ولكن ما أستطيع أن أوكد عنه خبرة ومعرفة ، أنى منذ اللحظة التى بدأت فيها بتحرير هذه الرسالة ، شعرت بنور منبعث من النبى يضىء جوانب ذهنى ويهينى القدرة على التفكير فى حقائق الدين والوصول إلى أطيب الثمار . واستطعت ، بفضل هذه الهبة الثمينة التى كانت فى تزايد مستمر ، أن أفضد إلى غور بعض الأسرار الربانية وأن أكتشف ، حول تفوق محمد ، عدة اكتشافات جديدة لم يفتن إليها أحد من سبقونى . وهذا الذى أقرره هنا حقيقة لا ريب فيها ، ويستطيع من شاء أن يحكم على صدقه بالمؤلفات الضخمة

الثلاثة التي أنجزتها، والتي تضم بين دفتها جحفا من الأفكار البكر والمناقشات العميقة حول أهم نقط الدين .

« ومن اليسير ، إذن ، أن يدرك المرء أن الأنوار التي تطلبها تأليف هذه الكتب كانت هبة من الله ، وأثرا من آثار رعاية رسوله . وهذا ما أقر به العلماء الذين تكلمت عنهم ، وقرروا بالإجماع أنه لا يمارى في هذا الامر إلا جاهل حسود أحمق .

« وبالرغم من أن هذه المؤلفات قد كتبت في فترة جد وجيزة ، فقد حازت إعجاب عدد كبير من العلماء الذين أجمعوا على الشهادة بأن كثيرا من الكتاب البارعين لم يستطيعوا أن يصلوا بعد البحث الطويل والتفكير العميق إلى ما وصلت إليه أنافي ذلك الزمن القصير .

« ولكننا نعرف بالتجربة أن كثيرا من الناس الذين جاءوا إلينا في فترات مختلفة يلتمسون مطالب غير عادلة أولا أساس لها ، ولم تحقق لهم رغباتهم لاستحالة تحقيقها ، امتلأت نفوسهم بالحقد علينا ، وحصروا همهم في الانتقاص من قدرنا ، فراحوا يشيعون عنا المفتريات ويكيلون لنا زائف التهم . ولما كان سلوكنا ، والله الحمد ، لا يتيح لهم أى مطعن في طهارته ، فقد راحوا يتهموننا بأننا ندين باليهودية ، بالرغم من أنه لم يبد علينا نحو هذا الدين إلا النفور والبعد الشديد . وكنا حين نعلم بهذه المفتريات المغرضة نألوعلى أنفسنا ألا نرد عليها ، تاركين مجازاة أصحابها إلى الله ورسوله . ومع ذلك فإنه يحسن

بيننا هنا أن نوجه النظر إلى ظاهرة في غاية الغرابة : وهي أنهم كانوا ينظرون إلى ، قبل أن أكتب شيئاً عن تفوق النبي وأبحث بعض المسائل الدينية الهامة ، على أنى مسلم صادق الإسلام ، ولم يطعن أحد في نقاء ديني . أما اليوم ، وقد بينا بالحجج الدامغة مقام النبي محمد وسموه على جميع الأنبياء ، وفندنا بالحجج القاطعة مزاعم اليهود والنصارى ، وبرهنا لهم أن دينيهما قد نسخا ، وأن الإسلام هو الدين الحق الوحيد ؛ أما الآن وقد حظيت مؤلفاتنا بالرضاء الشامل واستحقت ثناء أجل العلماء في عصرنا ، فقد قام بعض الجهلة بالتهجم علينا واتهامنا بمفتريات من الأولى أن توجه إليهم هم أنفسهم . وكان من أيسر الأمور علينا أن نعاقبهم ، ولوعاقبتنا لما كان في سلوكنا شيئاً لا تعضده مبادئ القرآن الكريم والحديث لصحيح وفتاوى الفقهاء ؛ ولكننا رأينا أن خير انتقام لنا هو فشل هؤلاء المتعنتين فيما قصدوا إليه ، وأنهم لم ينجحوا من سوء قصدهم إلا العار الأبدي والتردى في وهدة الكفر واستحقاق جهنم التي تنتظرهم يوم القيامة .

« أما الرجل الذي تكلمت عنه في بداية هذه الرسالة والذي لأرغب في ذكر اسمه ، فإنه لم يقم بمهاجتي إلا مدفوعاً بهذه البواعث : وذلك أننا لما أخذنا في تنفيذ وصية الغفور له السلطان غازان خان ، عينا عددا من العلماء وجعلنا لهم الحق في نصيب سنوي من ثمرة الأوقاف الخيرية لهذا الأمير . ولما كانت هذه الأنصبة أضخم من جميع الأنصبة الأخرى التي من هذا القبيل ، فقد حرص الجاهل الذي تكلم عنه على أن يفوز منها بنصيب ، ووسط إلى عددا

من الأشخاص ليكلموني في هذا الصدد. فأجبتهم بأن الاختيار قد تم وانتهى، وأنه لوجاءني قبل ذلك لاستطعت أن أجيبه إلى طلبه ، ولكن القائمة الآن قد تمت وأغلقت . وقلت إن جميع الأشخاص الذين شملتهم ، كلهم من العلماء الممتازين ، ولذا لا يصح لى أن أعمل على حرمان أحد منهم من شيء يستحقه بكل جدارة . ثم أضفت قائلاً : هذا فضلاً عن أنى أعلم علم اليقين أن الشخص الذى ترجونى من أجله ، وإن كان من سلالة أسرة جليلة ويظهر الكثير من الورع والتقوى ، فإنه يقرض ماله بالربا ويرتكب أفعالاً يجرمها دين الإسلام . ورجل هذا سلوكه ، لا يصح له أن يتطلع إلى إحسان خصص لأعمال البر وحدها ، ولا سيما إذا لم يكن فى حاجة إليها ، وكانت المدينة ملاءمى بالفقراء . ويزيد على ذلك أن أخاه الأكبر قد جاءنى هنا مرارا عديدة يشكو إلى منه مر الشكوى ، ويقص على أفعاله التى يندى لها الجبين . فبعد كل هذا ، كيف يتأفى لرجال أفاضل أن يهتموا هذا الاهتمام بشخص لازمة له ولأدين ؟ أنا أعتقد أنه من الأولى أن ندعوه إلى الإقلاع عن هذه الحياة التى انغمس فيها حتى الآن . فإذا ارعوى عن غيه وساز فى طريق الفضيلة ، ثم ترك أحد الذين تضمهم القائمة مكانه شاغرا ، استطعت أن أمنحه إياه عن طيب خاطر . ولما نقل هذا الحديث إلى أسماعه ، امتلأت نفسه غلا على ، وعلى أولئك الذين أوصوا بمن أدرجنا أسماءهم فى قائمتنا وتوسطوا لهم فى الحصول على هذا التكريم . ولما عجز عن إيجاد وسيلة للانتقام ، هداه وهمه السقيم إلى أن يشيع ضدنا ريبا مختلفة لأصل لها .

« وكان السلطان ألبايتو ، ذلك الأمير المستنير ، يكرر لى دائماً ، فى أثناء الأحاديث التى كانت تجرى بينه وبينى ، أن العالم هدف دائم لهجوم الجاهلين والحاسدين ، وأنى لأبد أن أكون عرضة لذلك ، ما دمت أحتل منصبا هاما وأملك ثروة ضخمة ، ويقول : لذلك يجب أن تراعى فى مؤلفاتك وأحاديثك أقصى الحذر ، حتى لا تفتح لعدوك أية ثغرة للظعن فىك . وأجبت بأن الكاتب لا يمكن أن يعدم الحاسدين والطاعنين ، وأن الأنبياء أنفسهم وأجلة الأئمة المسلمين لم يتنجوا من أخط الاتهامات ، وأن الغزالي والإمام فخر الدين الرازى ، وهما من أعلم أهل الأرض ومن انتشرت كتاباتهم الرائعة فى كل مكان ، لم يساما من كيد الحاسدين ودس الجاهلين الذين نجحوا فى العمل على إحراق جزء من مؤلفاتهما ؛ ولكن ذلك لم يمنع ذوى العقول المنيرة أن يعنلوا منذ هذه الفترة على تلقى نتائج قرائح هذين العالمين الكبيرين بهجة لاتعاد لها بهجة ، حتى أن الكتاب الواحد من كتبهما يبع فى بعض الأحيان بمخمسة مائة وألف دينار ذهبى . وأضفت أن هذا الشئ نفسه قد وقع لعدد كبير من العلماء ، وأن السوء الذى ينبجم عن المكائد والأعمال الخبيثة لأبد أن يرتد إلى مرتكبه . هذا ولما كانت مدينة تبريز مقر الملك وملتقى لبحافل المشاهير والرجال الممتازين بالعلم والنورانية وفطاحل القضاة ، فإنى أضع تحت أيديهم مؤلفاتى ، لكى يقرؤوها ويفحصوها بكل عناية . والحقيقة التى لا مراء فيها أنه لا يمكن لرجال كرسوا السنين الطوال من حياتهم لتحصيل العلوم وسبر أغوارها إلا أن يكونوا

قضاة عدولا مستنيرين ، ولا يسع عاقلا أن يظن فيهم السكوت على فكرة أو عبارة تصيب حقائق الدين الأساسية بأقل غبار . ولست أشك في أنهم إذا وجدوا في مؤلفاتي خطأ أو إهمالا ، فلن يتوانوا عن تصحيحه ، وأن مؤلفاتي ستصبح بعد فحص هؤلاء الرقباء الأجلاء لها جديرة بدخول مكتبة السلطان . ولما وافق ألبايتو على اقتراحي ، أرسلت من فوري إلى تبريز كتاب «التوضيحات» الذي يحتوي على تفسير بعض آيات القرآن ، ومعه عدة رسائل تتدور حول المسائل الميتافيزيقية . وكتبت إلى كبار علماء هذه المدينة أرجوهم أن يقرأوا كتابي ويصححوا كل ما يجدون فيه من خطأ أو ضلال . ولما أتوا قراءته ، كتب كل منهم إلى شهادة مفصلة مفعمة بالمديح عبر فيها عن رضائه عن طريقتي ، وشهد بحقيقة آرائي ، وحتى على تكريس أوقات فراغي لتأليف مثل هذا الكتاب . وكان من بين علماء تبريز الذين وجهت إليهم رسائلي هذا الطاعن نفسه الذي قرأ كتابي وأقره كما فعل الآخرون . ولما رد إلى الكتاب مصحوبا بشهادات هؤلاء الأعلام ، عرضته على ذوى العلم والقضاة الذين كانوا في البلاط السلطاني ، فرضوا عنه جميعا دون استثناء ، ووجهوا إلى عملي أسمی آيات التكریم ، واستهلوا شهاداتهم بعبارات تجمع بين روعة البلاغة ورقة المديح . هذا إلى أنهم قد أكدوا ، في حضرة السلطان ، كل ما كتبوه عنى بهذا الصدد ، وقدموا له تقريرا مشرفا عن جودة كتابي وامتياز الآراء التي احتواها . ولما عقد الرجل الذي تكلمت عنه عزمه على مهاجتي ، سعى لدى

كثير من العلماء ليحملهم على معاونته في جهوده . ولكنه لما لم يجد أحدا يتابعه في عدوانه ، ذهب ذات يوم إلى مجلس وعظ للإمام جلال الدين البخارى ، وإن لم يكن من عادته قبل هذه الفترة أن يذهب إلى مثل تلك الجماع . وكان قد حمل معه بضع حمل صنعها بنفسه وزعم أنها صادرة عنى ، فناولها إلى أحد الحاضرين ورجاه أن يسأل الواعظ رأيه فيها . ولما لم يكن في وسع البخارى أن يجيب إلا على السؤال الذى وجه إليه ، فقد أعلن استنكاره للأراء التى عبر عنها . ولكن أحد العقلاء استوقفه لدى نزوله من فوق المنبر وقال له : ياسيدى ، أسمعت قط مثل هذه الأفكار تصدر عن رشيد الدين ، وهل قرأت شيئا من هذا القبيل فى الكتاب الذى أصدره حديثا ؟ فأجابه البخارى بالنفى . ورد عليه ذلك الرجل قائلا : إذن كيف جاز لك أن تصدق أقوال نمام ، وتقول ماقلت فى جمع عديد ؟ وفى نفس الوقت أحضر له كتابى ، فقرأه البخارى حتى آخره ، وسر به إلى أقصى حد . وقال : معاذ الله أن يتعرض مؤلف مثل هذا الكتاب للهجوم والنميمة والنقد الجائر ! أما من جهتى ، فإنى لم أكن سىء النية فى كل ما قلت ، ولم أفعل إلا أن أجبت على سؤال وجه إلى . ولم يكتف بذلك ، بل صعد المنبر مرة أخرى وسحب الكلام الذى أعلنه فى الجلسة السابقة معتذرا بأن الذى وجه السؤال والذى أملاه عليه قد غررا به ؛ لأنهما مسخا معنى الفقرة مسخا تاما ؛ وفى نفس الوقت أشاد بكتابى أيما إشادة . ولما رأى خصمى أن محاولته قد فشلت ، صعد هو المنبر وألقى على الجمهور حديثا مفعما بالمفتريات الشيعة (١١ - جامع التواريخ)

يرمى فيها بالكفر، أنا وجميع العلماء الذين حبذوا عملي وسجلت شهاداتهم في رأس كتابي . وكان يأمل ، حين تستر وراء أدلته الخداعة الغامضة وعرض الأمر على مستمعيه بصورة مضللة ، أن يخدعهم ويثيرهم على هؤلاء العلماء وعلى ويقدمنا طعمة سائغة لأخشب الأقوال ، وأن يحصل في نفس الوقت على حسن الأحدثوة وذوبوع الصيت لنفسه . ورأى بعض ذوى العقول الراجحة أنه لا يمكن أن يكون هذا العمل إلا نتيجة الغل والحسد ، فاستدعوا هذا المعتبر المثلوث أمام عدد من ذوى الشخصيات البارزة ، وأرغموه على توضيح مقاله وعلى بيان البواعث التي دفعته إلى القيام بهذا العمل والإدلاء بما لديه من أدلة تثبت صدق مادعى . فأنكر ما سبق له أن قاله ، وأجاب بحديث مصنوع مليء بالزيف والزخرف ، ولما لم يكن هناك عالم أو شخص آخر يستطيع الكلام باسمي ويزعمه على إيضاح موقفه بصورة قاطعة ، فقد انتهى الاجتماع دون الوصول إلى نتيجة .

ولما أخبرت بمفتريات خصمي ، أدركت على الفور أن حقه على منتهى عن رفضي لطلبه . ومن حيث إنى أعلم أن فطاحل العلماء في كل عصر لم يسلموا من مفتريات الحقد والنميمة ، رأيت أن أحتقر كلام هذا الخصم ومساغيه ، وألا أظهر أى أكثرات بها ؛ ولكن كبار الرجال المعروفين بالمعيتهم وعظاء الفقهاء أجمعوا على أن السكوت في هذا الظرف الذى أريد فيه الخط من قدر العلم وذويه يعتبر جريرة لا تغتفر ويخالف مبادئ الدين ؛ فاجتمعوا

وحرروا مذكرة عرضوا فيها الأمر على حقيقته ، وسجلوا فيها كلماتي بنصها
وكلام خصي وفندوه بنداً بنداً . وختموا كلامهم بالقول بأن الرجل الذي
يجرؤ على إصدار هذه المفتريات يجب أن ينظر إليه على أنه نجس وكافر .
وأحضروا إلى هذه المذكرة مذيلة بتوقيعاتهم . وطلبوا إلى أن أضعها في ذيل
رسالتي ، وأن أترك مكاناً أبيض لكي أتيح الفرصة لذوى العلم في جميع المدن
وفي كل العصور ليسجلوا فيه آراءهم ، ثم قالو : وذلك لأننا مقتنعون بأنهم
جميعاً ، دون استثناء ، سيشاركوننا رأينا ، وسيجيبون نفس جوابنا على الأسئلة
المعرضة عليهم .

وقد ألف رشيد الدين ، فضلاً عن الكتب التي تكلمنا عنها ، مؤلفاً
لم يصل إلينا ، وعنوانه « بيان الحقائق » . وهو يتكون من سبع عشرة رسالة
يفصل لنا المؤلف مضمونها على النحو التالي :

الرسالة الأولى في سؤال للسلطان أجايتو ؛ الرسالة الثانية في نصيحة
السلطان ؛ الرسالة الثالثة في سوءات العلماء ؛ الرسالة الرابعة في تفسير آية :
« وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا ... » ؛ والخامسة في تفسير الآية : « وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » ؛ والسادسة في تفسير سورة : « .إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » ؛ والسابعة
في بيان حقيقة الألوان ، تفسير آية : « اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ؛

الرسالة الثامنة . . . ؛ الرسالة التاسعة في بيان فوائد زيارة المشاهد^(١) ومقابر
الأكابر ؛ العاشرة في نصيحة الإخوان ؛ الرسالة الحادية عشرة في تحقيق
سبب الجدرى، والاعتراضات على ما قاله الأطباء ؛ الثانية عشرة في بيان حقيقة
الحرارة وأنواعها ؛ الثالثة عشرة ذيل نفائس الأفكار في بيان دوام الخلود في
الجنة والنار ؛ الرسالة الرابعة عشرة في بيان حقيقة الخرقه^(٢)، ومناسبة نسبتها

(١) كلمة مشهد تقابل الكلمة الإغريقية الكنسية المرادفة للكلمة اللاتينية : Martyrium
(انظر دى جانج De Gange Glossar mediæ et infinæ graecitatis ، مجلد ١ ، مجموعة ٨٨٣ ، ٨٨٤ ؛
Suiceri Thesaurus ecclesiasticus ، مجلد ٢ مجموعة ٣١٩ ، ٣٢٠ ؛ ورشيد ، Rasweyde ، Onomasticon ad vitas ،
Patrum . Clossar. ad scriptores mediæ ، ص ١٠٨٣ ؛ دى جانج Glossar. ad scriptores mediæ
Godex Theodosiamus et infinæ latininitatis ، مجلد ٣ ، مجموعة ٤٧١ ؛ كتاب ٩ ، قسم ٧ ،
مجلد ٣ ص ١٥٢ ؛ ثم ملاحظات جد فروا Godefroy ، (على هامش ص ١٥٣ من هذا الكتاب) .
وهو يدك على المكان الذى دُفن فيه رجل مات وهو يحارب في سبيل الدفاع عن الدين الإسلامى .
ويطلق الشيعة هذا الاسم بوجه خاص على الأضرحة المقامة تكريماً لذكرى أئمتهم .

(٢) في المخطوطة « الخرقه » ، ولكنى رأيت أن أقرأها (الخرقة) ، وتدل كلمة الخرقه
على رداء من النسيج الخشن يتميز الصوفيون بلبسه وينتقل بينهم من الشيخ إلى مراده .
وكثيراً ما تذكر الكلمة بهذا المعنى في الكلكستان لسعدى وفي غيره، وتقرأ في الكامل لابن
الأثير (المخطوطة ، جزء ٦ ، ص ١٣٠) « لبس خرقه التصوف » ؛ وفي تاريخ قضاة مصر
للسخاوى (مخطوطة عربية رقم ٦٩٠ ، ورقة ٥ وجه وظهر) : « لبس الخرقه
الصوفية » ؛ وفي (ورقة ٩٩ وجه) : « لبس الخرقه » ؛ وفي ورقة (١٠٩ ظهر)
« لبس منه الخرقه الصوفية » . ويمكننا أن نرى تفاصيل واسعة عن هذا النوع
من اللباس في الكتاب العربى المسمى « عوارف المعارف » (مخطوطة عربية رقم ٢٧٥
ورقة ٣٧ وجه وما يليها) . ويميز المؤلف نوعين من الخرقه . الأولى تسمى « خرقه
الإرادة » ، ويلبسها المتبتدون . والثانية تسمى « خرقه التبرك » ويلبسها الأشخاص الذين
يحاولونهم في ممارسة رياضات الحياة التأملية . (المرجع السابق ورقة ٣٩ ظهر) . ويعتقد
بعض المتصوفين أن الخليفة على كان أول من لبس الخرقه وأنه خلعه على الحسن البصرى . —

إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ الرسالة الخامسة عشرة في شرح حديث :
« أنا مدينة العلم وعليّ بابها » ؛ الرسالة السادسة عشرة في شرح العقول
والمقول ؛ الرسالة السابعة عشرة في النسخ والنسوخ .

يجدر بنا ، بعد أن تكلمنا عن مؤلفات رشيد الدين ، أن نبين الاحتياطات
التي اتخذها لمنع ثمره عمله ويحتمه من أن تندثر إلى غير رجعة ، ويحل بها نفس
المصير الذي حل بالكثير من الكتب الممتازة التي يأسف لضياها كل من
يعلقون شيئاً من الأهمية على الثقافة والأدب . فلكي يتجنب رشيد الدين مثل
هذه الكارثة ، لم يهمل اتخاذ أى إجراء توحى به الحيلة . ولدينا الدليل على
ذلك في وصية له نجدها على رأس مجموعة كتبه الدينية ، وهذه خلاصتها :
هذا ما يقوله ^(١) . . . فضل الله رشيد الدين بن أبي الخير . . . وأنه قد
صنف غير هذا كتباً أخر في كل فن ، وقد كتب من كل منها نسخاً كثيرة
مقردة ؛ وكثير من الفضلاء قد طالعوها واستكتبوها لأنفسهم . وأيضا قد

= انظر مال كولم Malcolm ، تاريخ فارس History of persia ، ص ٣٩٤-٣٩٦ ؛
والسيد البارون - سافستردى ساس « بند نامه » أى كتاب النصائح ، ص ٦٣ ؛ ملاحظات
على المخطوطات ومقتطفات منها Notices et extraits des manuscrits ،
مجلد ١٢ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ . ولما كان التصوف يعتبرون علياً أعظم متبع لمذهبهم ،
فإنهم يلقبونه بـ « شاه ولايت » ، أى ملك الأولياء . انظر دولتشاه (تذكرة الشعراء ،
مخطوطة فارسية رقم ٢٥٠ ورقة ١١٠ وجه) ؛ وخوندمير (حبيب السير) وغيرها .
(١) المخطوطة العربية رقم ٣٥٦ ، ورقة ١ وما يليها .

أمرنا بنسخ توضع في المسجد الذي أقنناه في تبريز ، والذي هو جزء من الربع الرشيدى ، لينسخ منها من أراد . وأيضا ، جعلنا بعضها في جلد واحد مجموعة ، وبعضها مفردا ، كما يحىء تفصيلها . وأيضا ، لما أردنا أن نضع صور الأقاليم على قاعدة الحكاء ، على وجه أقرب إلى الفهم وأبين ، وأن نضبط المواضع التي لم يضبطها أحد كما ينبغي ، وأن نبحت عن الولايات على وجه يستند إلى مشاهدة الثقات وأرباب الخبرة والعيان . وكما هو الواقع ، بحيث يقع المطالع المتأمل فيها على أحوال المسالك والممالك أكثرها ، وكان من الضروري أن تكون أوراقها أكبر ليحصل الغرض المذكور أسهل وأيسر ، فلا جرم جعلنا أوراقها بحيث كل منها مقداره ستة أطباق من القطع البغدادى المعهود ^(١) . ولما تسر مثل ذلك القطع الكبير ،

(١) كلمة قطع تستعمل لدى كتاب العرب في غالب الأحيان بمعنى صحيفة من الورق نفسه ، فقرأ في السلوك للمقرئى (مخطوطة عربية رقم ٦٧٢ ، مجلد ١ ، ص ٥٦٢ : « الكتاب هو من قطع نصف البغدادى » وفي كتاب خليل الدهرى (مخطوطة عربية رقم ٦٩٥ ورقة ٤ ظهر) : « الكتاب مشتمل على ستين كراسة من قطع الكامل » . وفي كتاب الإيضاء (مخطوطة عربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ١٢٠ ظهر) : « أكبر ما يكون من قطع الورق » . وأيضا : « ما وضع في النوبة من القطع الكامل » . وفي تاريخ مصر لأبى الحامس (مخطوطة عربية رقم ٦٦٣ ، ورقة ٤٩) : « الكتاب مکتوب بخط غليظ في نصف قطع البغدادى » . وأخيرا نجد عبارة « قطع البغدادى » في تاريخ مصر الذى يملك السيد مارسيل مخطوطة منه ، وتفضل بإعارة لهاها . (انظر ورقة ١٠٦) . ويذكر السخاوى في تاريخه عن قضاة مصر (مخطوطة عربية رقم ٦٩٠ ورقة ٨ ظهر) كتابا يتكلم في أمور مختلفة ، ويتكون من أربعين مجلدا . وكانت هذه المجلدات مکتوبة على لوحات مربعة من ورق بلاد القرينجة ومصر . وكانت خمسة من هذه المجلدات مکتوبة على أكبر ما يكون من =

== القطع ، وتتكون من نصف قطع الشام ، وكانت ثلاثة منها أو أقل مكتوبة على قطع الكامل .

ويقول ابن خلدون في المقدمة « » وكانت السجلات ، أولا ، لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك مع ذلك ؛ فاقصر على الكتابة في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا إلى الصحة والإتقان . ثم طمأ ببحر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ؛ وضاق الرق عن ذلك ، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد . وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه . واتخذ الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية . وبلغت الإجابة في صناعته ماشاءت « . ونجد في كتاب « الإنشاء » التي أشرت إليه من قبل تفاصيل واسعة عن هذا الموضوع ، نلخصها فيما يلي (انظر المخطوطة العربية رقم ١٥٧٣ ، ورقة ١٧٦ وجه وما يليها) . : « كلمة ورق اسم الواحدة منها ورقة وتجمع على ورقات ، ثم جاء جمع آخر هو أوراق ؛ ومن الكلمة اشتق لفظ « ورق » . والقرآن يستخدم للدلالة على الورقة كلمة « قرطاس » (في الآية) : « ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس » . (سورة ٦ آية ٨) ؛ والجوهري يكتبها « قرطس » دون ألف . ويستعمل أيضا كلمة صحيفة للدلالة على نفس المعنى في قوله : « إن هذا لفي الصحف الأولى » (سورة ٨٧) . وتجمع صحيفة على صحائف . وسمى الكتاب مصحفا ، لأنه يجمع صحائف عديدة . ويسمى الورق أيضا « كاغدا » و « طرسا » و « مهرقا » . ويؤكد الجوهري أن هذه الكلمة الأخيرة من أصل فارسي واتخذت الطابع العربي . ويسمى أيضا سجلا ، كما في الآية القرآنية : « يوم نظوى السماء كطى السجل للكتب » (سورة ٢١ ، آية ١٠٤) ، كما أت القرآن أيضا يسمى الجلد بالرق في قوله « في رق منشور » (سورة ٥٢ ، آية ٣) .

« ويجدر بنا أن نعرف أن الشعوب القديمة كانت تستعمل مواد مختلفة للكتابة : فالصينيون كانوا يستعملون ورقا مصنوعا من الخيش والكلأ ؛ وعندهم تعلم العالم صنع الورق . وكان الهنود يكتبون على نسيج من الحرير الأبيض والجلود المدبوغة والأحجار البيضاء الرقيقة المعروفة باللائخاف ، وعلى عسيب النخل وعظام كتاف الجمال والنم . (أعتقد أن هذا الكلام لا بد أن يكون قد داخله خلط أو سقط ، وأن هذا الذي ينسب إلى الهنود يراد به الفرس) . ولما كان العرب يجاورون هذا الشعب ، فإتهم اتبعوا طريقته وظلوا يتبعونها حتى عهد النبي . فإن رسول الله كان يستخدم الجلود دائما تقريبا للكتابة رسائله . وقد أجمع الصحابة على كتابة القرآن على الرق ، لما لأنه أكثر من غيره مقاومة للبلل ، ولما لوجوده لديهم بكثر . ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة ، اقتصر على استخدام الرق في ديوانه ، لكي يحير المكتوبات الصادرة منه عن غيرها . وقد بقي الحال على هذا النوال حتى عهد الرشيد . ==

وفي هذه الفترة كان الورق قد شاع، فأمر الرشيد بالاقصار على استخدامه ، لأنه يمكن نحو الكتابة التي على الرق والمواد الأخرى التي من قبيله وإحلال غيرها محلها ، في حين أنه لا يمكن نحو ما كتب على الورق دون أن يترك ذلك آثاراً ظاهرة . ومنذ ذلك الحين انتشر استعمال الورق في جميع الأقطار . وكان يصنع الورق من نبات القنب الذي تبلغ أقصر سيقانه طول عود القصب الفارسي . وهو يسمى أيضاً الخندريس كما تسمى بذوره بالشدايق . وهذا النبات ينمو أيضاً في بلاد الفرنجة كما ينمو في بلاد الشرق . وقد تكسراً أعواد القنب وتبرى حتى تنقى ، ثم تصنع منها حبال تستخدم في توجيه السفن . وحينما تفقد قوتها تباع لمصانع الورق لتصنع منها هذه المادة . وتتوقف جودة الورق على رطوبة الأرض التي يصنع عليها ، والفصل من السنة الذي يصنع فيه ، وكذلك على درجة قفقه في ماء الجير والعناية بغسله وقاء الماء الذي يستعمل في ذلك ونضج النبات المستعمل ومقدار صقل الورق نفسه بحكمة من الجهتين بالزجاج . وأجوده ماضع في فصل الربيع . وهناك عدة أنواع من الورق . والذي يستخدم منه في الدواوين على ثلاثة أنواع : النوع الأول الورق البغدادى الذي يرد من مدينة بغداد ، وهو أندر الورق . ولا يستخدم إلا في الإقطاعات والصكوك والولايات والرسائل السلطانية . فقد كان الأمراء فيها مضى لا يكتبون رسائلهم إلا عليه ، ولكن تدرته المتزايدة وجهت الأذهان إلى إنشاء مصنع في دمشق كان لإنتاجه يكاد يضاهى ورق بغداد . والنوع الثانى هو ورق الشام الذي يصنع في دمشق ، والموجود منه ثلاثة أصناف : أولها الورق المحوى الذي احتفظ بهذه التسمية ، لأنه كان في بادئ الأمر يصنع في مدينة حماه ، ولكن مصنعته نقل بعد ذلك إلى دمشق . وهو لا يستعمل في الدواوين إلا قليلاً . والثانى ورق الشام المشهور في هذا القطر ، والورقة منه تسمى «الفرخة» ، والدست يسمى « الكفة » ؛ وهو يستخدم في دواوين الشام والأقطار الشرقية واليمن وبلاد الروم (اسيا الصغرى) والحجاز . ولا يستخدم هذا الورق في الديوان السامى إلا في نسخ التذاكر وما هو من قبيلها . وقد يستعمل في ديوان الرسائل ، ولكن من أجل السجلات فحسب ، ومع ذلك فقد كانت تستعمل أحياناً في الرسائل والأوامر السلطانية بالتولية : غير أن ذلك لم يكن يحدث إلا في أثناء الرحلات التي يقوم بها رجال الديوان في حجة السلطان وعند انعدام الورق المصرى ، بل وفي هذه الحالة كان على كاتب السر أن يطلب الإذن من السلطان ، وأن يصدر السلطان إليه أمره الصريح بذلك ؛ إذ أنه كان للورق المصرى مكانة خاصة في كل الأقطار وفي قصور الملوك جميعاً . وكان كافل السلطنة وحاً كم كركهما وحدهما اللذان لها الحق في استخدام الورق الأحمر في خطاباتهم إلى القصر . الصنف الثالث ورق الطير الذي يسمى أيضاً ورق البطائق . وهو ضيق الهامش إلى أقصى حد ، ولا يستخدم إلا في كتابة البطائق التي ترسل تحت أجنحة الحمام . أما النوع الثالث =

== من الورق فهو الورق المصرى ، ويعرف منه ثلاثة أصناف : الصنف الأول هو الورق المنصوري الذى يعتبر أوفى الأوراق وأرحبها حجماً ، ويستخدم فى كتابة دروج الولايات وفى المراسلات الرئيسية لديوان الرسائل . والورقة منه تسمى فرخة . وكل خمس وعشرين ورقة منها تكون دستا ، فإذا اجتمعت خمسة دستوت كونت رزمة . وفيما مضى كانت الورقة الواحدة تسمى طومار - والجمع طوامير ، وهى كلمة مشتقة من « طمر » بمعنى أخفى ، وذلك لأن الخطاب المسمى « درجا » كان يطوى حتى لا يمكن قراءة محتواه . أما من جهة الحجم ، فإن هذا الورق يشتمل على صنفين . أولهما ما كان يستخدم فى بغداد لهدد الخلفاء ، وينقسم إلى خمسة أقسام . فيذكر محمد بن عمر اللدائنى فى « كتاب القلم » أنه كانت تستخدم ثلثا الورقة للكتابة إلى الخلفاء ونصفها للكتابة إلى الأمراء ، وثلثها للكتابة للرؤساء والكتّاب ، وربما إلى التجار ومن فى درجتهم ، وسدسها بالنسبة إلى العنّادين والمساحين . ويقول المؤلف إن هذا هو أصل الأحجام التى لا تزال تستعمل فى عصره ، وثانيهما ما كان يستخدم فى دواوين الرسائل حتى عهد المؤلف ، وينقسم من حيث الحجم إلى تسعة أقسام ، الأول الطومار الكامل الذى كان الدرّج منه ذراعاً ونصف ذراع من ذلك الذى يستخدم فى قياس النسيج ، وكان أول صنعه فى عهد الملك المؤيد شيخ ٨١٥ ، ١٤١٢ - ١٣ على نهج الورق البغدادي ، وهذا هو الورق الذى تلقى عليه شيخ أمر ولايته من قبل الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباسى ، وذلك أن هذا الأخير ، حينما كان خليفة وسلطاناً فى آن واحد ، كان قد منح « شيخاً » جميع الحقوق فيما عدا حق الخلافة ، وذلك قبل أن يخلع على شيخ لقب السلطان رسمياً . ومنذ ذلك الحين أصبحت جميع الوثائق التى من هذا القبيل تكتب على الطومار الكامل . القسم الثانى هو الورق الذى فى حجم البغدادي ، أى الذى عرضه ذراع واحد مما يستعمل فى قياس النسيج . وهذا هو الورق الذى كان أمراء مصر ، منذ بداية العصر التركى ، يكتبون عليه العهود ، كما كان خانات إيران وتوران يكتبون عليه رسائلهم . أما الرسالة التى كتبت فى سنة ٨٣٢ ، ١٤٢٨ - ٢٩ لمحمد خان عاهل خوارزم ودشت قاپتشاق فقد كانت على الورق المنصوري الذى يقل أصبعين عن حجم الكامل ، وذلك لعدم وجود الورق البغدادي . القسم الثالث الورق البغدادي الناقص الذى ينقص أربع أصابع عن قطع البغدادي الكامل . وهو الورق الذى كان يستخدم فى مصر لدى سلاطين دولة المماليك الثانية . وعليه كتب أمر ولاية الناصر فرج حينما جلس على العرش لتعذر الحصول على البغدادي فى هذا الأوان . ومنذ ذلك الحين أخذ سلاطين مصر لمراسلاتهم . القسم الرابع الورق المسمى بالثاني ، أى الذى يبلغ ثلثي القطع المنصوري الكامل ، وعرضه ثلثاً ذراع . وهو الذى يكتب عليه تقليد النائب الكافل بالشام وكبار الحكام ومناشيرهم وتقليد صاحب ديوان الإنشاء والوزير والأستادار والكتّخدا والمعارض وقضاة القضاة ==

== الأربعة وحاكم الإسكندرية . والقسم الخامس يشمل الورق الذى قطعه نصف القطع المنصوري الكامل ، وعرضه نصف ذراع . ويستعمل لكتابة بعض رسائل التقليد والتفاوض ومعظم المراسم وأوامر السلطان لأمرأ الطليخانة ومقدمى الألف العيين بالشام والرسائل الموجهة للطبقة الثانية من الملوك وأصحاب المناصب الدينية والإدارية وشيخ المشايخ وكبار رجال الدين والإدارة بمملكة الشام ومدينتي دمشق وحلب . والقسم السادس يبلغ قطعه ثلث قطع المنصوري : فعرضه ثلث ذراع . ويستخدم فى كتابة الجزء الأكبر من الحواشى والمساميح والبراءات الصغيرة الموجهة إلى حكام المحصوت وأمرأ الطبقة الثالثة ومن فى درجتهم مثل أمرأ الفرس الذين كانوا فى خدمة ملك الفرس ، وكذلك يستعمل فى كتابة تفاويض الأمرأ العشراوات ورجال الدين والإدارة من الطبقة الثالثة . وورق الديوان هو الذى يحتفظ بهذا الورق ويجمعه . ولا يخرج ورقة واحدة من الحزمة إلا إذا عرف أنها ستوجه حقيقة إلى الشخص المرسله إليه ، ولا يفعل ذلك إلا بأمر رئيس الديوان . وحجم الورقة يتناسب مع سمو المكان ، لا مع الشخص الذى يشغله . والقسم السابع ينحصر فى الورق العادى أو قطع العادة ، كما يسميه المؤلف ، ويبلغ اتساع الورقة منه ربع ذراع وقيراطا . وهو يستخدم فى كتابة التواقيع والرسائل الصغيرة والبراءات الخاصة بقواد جنود الحلفة وبراءات الأمرأ الصغار بأقاليم الشام والتركمان الذين يرسلون لمحاربة الكفرة وبعض الساميح وأوامر العفو وصيغ الخطب المنبرية وأوراق الحلف والطريق باستثناء ما كان يوجه منها إلى الملوك . ويعتبر استخدام هذا النوع من الورق أكثر شيوعا فى فروع الديوان المختلفة . القسم الثامن ورق اللطافات ويستعمل لهذا الغرض فى معظم الأحيان ورق الطير (الورق الخفيف) ، ولكن اتساعه غير محدد بصورة ثابتة ، بل يترك ذلك لتقدير رئيس الديوان الخاص الذى يراعى فيه توفير الحذر والحفاظة على السر . والقسم التاسع ورق البطائق التى ترسل تحت أجنحة الحمام ، ويبلغ عرضه ثلاث أصابع متلاصقة متوازية ، وحجمه ثابت لا يتغير ، سواء كان الملك هو الذى يكتب عليه بيده أم غيره ، وهو من ورق الطير الذى يحفظ فى دواوين البطائق . ورئيس الديوان الخاص هو الذى يدفع ثمنه من حاصل مصبغة الحزير الموجودة بالقاهرة . وهناك ورق ، مهنته أن يكتب فى ديوانه على كل نوع من أنواع الورق ، ويعمل معه أشخاص بعدد أنواع الورق من كل صنف ، ورئيس هذا الديوان يسمى « الدواتدار » .

وكان يصنع فى بعض بلاد الامبراطورية الإسلامية ورق آخر غير ورق بغداد . فكثيرا ما يرد على لسان الكتاب مثلا ذكر ورق « سمرقند » .

ويقول مؤلف كتاب الفهرست : « فأما الورق الجراسانى ، فيعمل من الكتان . ويقال إنه حدث فى أيام بنى أمية ، وقيل فى الدولة العباسية . وقيل إنه قديم العمل ، وقيل لأنه ==

أردنا أن تكتب جميع مصنفاتنا في جلد واحد ليبقى تذكرة منا لمن بعدنا. ولكي
يعم نفعه العرب والعجم ، جعلنا كل ماهو بلغة الفرس معربا ، وكتبنا منها نسخا
عربية مفردة ومجموعة ، وضممنا منه نسخة في المجلد الكبير . وفي هذا المجلد
الكبير أيضا ، جعلنا كل ماهو بلغة الفرس معربا ليعم نفعه . وسمينا المجموع
« بجامع التصانيف الرشيدى » .

== حديث. وقيل إن صنعا من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصينى . فأما أنواعه :
فالسلياني والطلحي والنوحى والقرعوى والجعفرى والطاهرى .
أقام الناس ببغداد سنين لا يكتبون إلا فى الطروس ، لأن الدواوين نهبت فى أيام محمد بن زبيدة
(الأمين) . وكانت فى جلود ، فكانت تسمى ويكتب فيها ، قال : وكانت الكتب فى جلود دباغ
النورة ، وهى شديدة الجفاف ؛ ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين (*) .
ويذكر ابن أبى أصيبعة (مخطوطة عربية رقم ٧٥٧ ورقة ١٢٠ ظهر) بعض التفاصيل
عن الورق الذى استخدم فى كتابة مؤلفات خنيز بن إسحاق .
أما كلمة وراق التى قالها أكثر من مرة فى النصوص السابقة ، فإن عبد اللطيف
البغدادي يستعملها بمعنى صانع الورق ، (Historæ Aegpti Compendium
ص ١٤٦) . وهناك كتاب غيره ينسبون إليها معنى مختلفا بعض الشيء . فيذكر ابن خلدون
فى المقدمة أن الوراق هو الشخص الذى يعمل فى نسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها .
ويقول القرزبى فى كتاب السلوك : « . . . كانوا أولا فى دمشق وراقين يورقون
المكاتب » . ويرد على لسان ابن خلكان (مخطوطة عربية رقم ٧٣٠ ، ورقة ٤١١
وجه) ذكر الحنابلة والنسائين والقراء والمؤرخين والوراقين المشهورين ، والكتاب المجلين .
ويقول فى موضع آخر (ورقة ٤٢١ ظهر) : « كان يعلى ، والوراقون يكتبون » .
وكثيرا ما ترد هذه الكلمة فى كتاب الأغاني . ومن هنا جاءت كلمة « الوراق » للدلالة
على فن الوراق ومهنته . فنقرأ مثلا فى المنهل الصافي لأبى المحاسن (ج ٤ ، مخطوطة عربية
رقم ٧٥٠ ، ورقة ١٤ وجه) : « برع فى معرفة الوراق » . ويقول ابن خلدون :
« الكتابة وما يتبعها من الوراق » ، كما يقدم لنا عن هذه المهنة بعض التفاصيل المنبهة .
ويقول القرزبى : « . . . إذا فرغوا من الوراق . . . » والفعل منه « ورق » ، ويستعمل
منه المزيد بالهمزة أى اشتمل بنسخ الكتب وتجليدها . يقول القرزبى : « يورقون المكاتب » .
ويقول الأغاني : « كان يورق لإسحاق » .

(*) النص عن طبعة التجارية ، ص ٣٢ ، القاهرة .

وبعد أن قدم لنا رشيد الدين فهرستا عاما مفصلا لجميع مؤلفاته ، أخذ يواصل كلامه ، فقال : « وقد رأينا أن نضيف إلى مجموعتنا كتباً مفردة غير مشتملة على مجلدات ، ولم تكن لها نسخ موجودة في هذه الممالك إلى الآن . وقد سعينا فيها سعياً كثيراً حتى حصل نسخها ، ونقلت من لسان أهل « الخطأ » إلى لغة الفرس ثم إلى لغة العرب :

الكتاب الأول : طب أهل الخطأ من العمليات والعمليات .

الكتاب الثاني : الأدوية المفردة الخطائية مما هي مستعملة عندنا ومما ليس يستعمل .

الكتاب الثالث : الأدوية المفردة من القسمين المذكورين .

الكتاب الرابع : في السياسات وتدبير الملك وصلاحه على ما جرت به عاداتهم .

وهكذا بعد أن استكتب المؤلف عدة نسخ من كتبه ، مفردة ومجمعة ، بالفارسية وبالعربية ، وبعد أن استكتب ذلك المجلد الضخم الذي كان يضم كل مؤلفاته بالفارسية والعربية ، وضع هذه النسخ جميعها في البناية الرحبة التي أعدها لتكون مدفناً له بين العائز العديدة التي أمر بتشيدتها جميعها خارج مدينة تبريز ، وعرفت باسم الربيع الرشيدى . وجعل لكل إنسان الحق في أن ينسخ منها ما شاء ، وفضلاً عن ذلك أمر بأن يؤخذ من حاصل أوقافه ما يكفي لكتابة نسخة في كل عام من مجموعة مؤلفاته كلها على قطع بغدادى كامل

لترسل إلى إحدى المدن الإسلامية الرئيسية. وسندكر هنا بالنص وبغير تعديل،
عقد الوقف الذى أصدره رشيد الدين :

« ومن جملة الشرائط التى اشترطها المصنف ، عز نصره ، فى وقفية أبواب
بره الموسومة بالربيع الرشيدى .. هى أن المتولى لتلك الأوقاف يستكتب كل
سنة نسخة مكملة من مصنفاتى - من صورتين : واحدة بالعربية وواحدة بالفارسية.
(أما) كتاب جامع التواريخ ، (فإن) عدد مجلداته موكول إلى رأى المتولى
وعلى حسب المصلحة بحيث لا يندرس سريعاً . .

فستكتب بموجب ما شرحناه كل سنة نسخة مكملة على قرطاس فى غاية
الجودة واللطافة بقطع كبير بغدادى بخط مليح صحيح ، ثم يقابل بنسخة الأصل
الموضوعة فى الربيع الرشيدى على وجه لا يبقى فيه غلط (أ) وتصحيح . وينبغى
أن تكون هذه النسخ بأسرها متكلفة على منوال النسخ الأصول ، وأن
تكون جلودها من أديم أو ما شاكله . وأجرة الكتابة ووجه المصالح تجعل
من نصف حاصل موقوفات المسجد المتعلقة بأبواب يرنا هذه . ويجب أن
يختار المتولى الناسخين السريعى الكتابة ، الجيدى الخط ، الفضلاء الأدباء ،
بجيث تم جميع النسخ التى يجب كتابتها فى السنة بتمام تلك السنة مجلدة
مذهبة مهذبة ، لئلا يقع التأخير والإهمال . ومواقع أولئك الناسخين
ومسالكهم ، إما يعينها المتولى من جملة أبواب البر التى لم تتعين لطائفة معينة أو
لأمر معين . وإذا تمت تلك النسخ ، أحضر جميعها فى صفة الروضة ، ويوضع كل
منها على مرفع بين المنبر والحراب . ويدعى للمصنف بهذا الدعاء : اللهم ياملهم

الأسرار ويألم الأخبار والآثار ، كما علمت عبدك المفتقر إلى رحمتك الواسعة ،
رشيد الطيب ، لتصنيف هذه الكتب المشتملة على التحقيقات المقوية
لقواعد الإسلام ، والتوقيعات الممهدة لبيان الحكم والأحكام ، المفيدة
للتأملين في بدائع المصنوعات ، النافعة للمتفكرين في غرائب المخلوقات ،
ووقفته أيضاً لأن وقف بعض أملاكه ، شارطاً أن يتخذ من مالها نسخ من
هذه الكتب ، لينتفع بها المسلمون من أهل البلدان في كل حين وأوان : فتقبل ،
اللهم ، كله منه قبولاً حسناً ، واجعل سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً واغفر
للساعين في إتمام هذا الخير ، والمستفيدين بهذه الكتب ، والناظرين فيها ،
والعاملين بما في مطاوعها ، وآتته الحسنة في الدنيا والآخرة ، إنك أهل التقوى
وأهل المغفرة .

وأيضاً يكتب في آخر كل نسخة من تلك النسخ هذا الدعاء المذكور ،
ثم يكتب بعد ذلك ، هذا التحميد وهذه الكلمات :

أما بعد حمد الله الملك العلام ، الدائم نعمه بلا انقطاع وانصرام ، والصلاة
والسلام على نبيه المبعوث إلى كافة الأنام ، محمد وصحبه الكرام : فإنه يقول
العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى ، فضل الله بن أبي الخير بن عال
الهمداني ، المشهور بالرشيد الطيب ، جزاه الله خيراً : إني ، بتوفيق الله وحسن
تيسيره ، صنفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر ، وتذكيرة لمن أراد أن يذكر .
واستكتبت هذه النسخة من حاصل ما وقفته من أملاك ، وشرطت أن

يتخذ كل سنة من حاصلها نسخة من هذا الكتاب وسائر الكتب التي هي من مؤلفاتي ، ليكون وقفا على المسلمين من بلدة كذا . والمأمول من كمال أفضال العلماء المحققين ، أن يشرحوا ويبينوا للمبتدئين ما يتعسر منه عليهم ، بحيث يقفون على جميع ذلك وقوفا تاما ، ولا يبقى لهم فيها شك وارتياب . وإن وجدوا فيها سهوا أو غلطا أصلحوه ، تفضلا وتكرما . ثم يكتب المتولى على ظهر ورق كتب عليه هذه الكلمات : إن هذا الكتاب الفلاني إنما كتب لا هل البلدة الفلانية في أيام دولة فلان ، ليكون وقفا عليهم ، ثم على صوم المسلمين الذين يسكنون هناك .

ويجب على كل متول أن يكتب نسبته أبا عن جد إلى الواقف ، لئلا ينسى الناس الواقف في الدعاء . ثم تعرض تلك النسخ على قضاة تبريز ، ليثبتوا صورة الحال على مكتوب ، ويشرفوه بتوقيعهم ويساموه إلى المتولى . وينبغي أن يكون عند كل قاض من قضاة تبريز مكتوب مشتمل على هذه المعاني . ويجب أن يكون خط المتولى والمشرف والناظر الذي هو شبيهه نائب للمتولى ، أو خط نواب هؤلاء على ذلك المكتوب ، ليكون هذا الأمر مضبوطا كل سنة ، لا يتطرق إليه وهن ولا خلل .

الشرط الآخر أن هذه النسخ ، بعد تمامها ، إنما بيعها المتولى لتلك الأوقاف إلى بلدة من معظمات بلاد الإسلام : العربية إلى بلاد العرب ، والفارسية إلى بلاد العجم . ويبتدىء من البلاد بمعظمها ثم بما هو دونها على

وفق رأيه ، ليكون وقفا على أهل تلك البلدة بالموجب المذكور . وإذا حملت تلك النسخ إلى تلك البلدة ، يجب أن توضع في مدرسة لها مدرس مشار إليه بفنون العلوم باختيار قضاة تلك البلدة وأئمتها وعلمائها ليقرأ المتعلمون الراغبون فيه على ذلك المدرس . وإن شاء أحد منهم أن يستنسخها ، دفعها إليه ذلك المدرس بعد أن يأخذ الرهن ، وكذا إن أراد استعارتها لأجل المطالعة ، أخذ الرهن أيضا .

وكما فرغ المتولى من بعث جميع النسخ إلى جميع معظمات البلاد ، استأنف العمل . وبيعت مرة أخرى على الترتيب الأول . وعند كل بعث ، توضع النسخ في الصفة الكبيرة التي هناك في الروضة ، بين المنبر والحراب على مرفع ، ويقرأ الدعاء المذكور على القاعدة المذكورة . ويجب أن يكتب على ظهر كل نسخة يراد بعثها إلى بلدة هذه الشروط التي ذكرناها . ومصالح هذه النسخ وما يحتاج إليها وأجرة كتبتها ، إنما يعينها المتولى في كل زمان على ما يرى فيه المصلحة .

وأيا قد شرطنا أن يستنسخ المتولى من جملة هذه الكتب ، دون الأصل الموضوع في قبة الربيع الرشيدى ، من الكتاب الموسوم بالجموعة الرشيدية وكتاب بيان الحقائق وكتاب الآثار والأحياء ، من كل منها نسخة فارسية ونسخة عربية ، غير ما اشترط استنساخها للبعث إلى البلدان . وهذه النسخ تكون دائما عند المدرس الساكن في روضة الربيع الرشيدى ،

وهذه النسخ تكون دائماً عند المدرس الساكن في روضة الربيع الرشيدى ، ويدرس كل يوم منها شيئاً . وكل فقيه يكون في تلك البقعة يجب أن يكتب من تلك الكتب نسخة بقطع كبير بغدادى ، إن شاء بالعربية ، وإن شاء بالفارسية . ويجب أن يكتبها ذلك الفقيه في مدة شرط إقامة الفقهاء فيها ؛ فإن أمها قبل الميعاد المذكور ، أو يكتب أكثر من واحدة ، كان سعيه أجمل . وكل فقيه يقصر في كتابتها ، وجب على المتولى أن يخرجها من تلك البقعة ، وينصب مكانه قفياً آخر غير مقصر . وإذا تمت تلك النسخ ، كانت ملكاً لذلك الفقيه ، ولا منازعة لأحد في ذلك ؛ إن شاء وهبها ، وإن شاء باعها ، وإن شاء حفظها لنفسه . وكما أنا أجزنا ورخصنا في الاستنساخ من نسخة الأصل الموضوعة في القبة بشرط ألا يخرج من الربيع الرشيدى ، فكذلك أجزنا أن يستنسخ الراغبون من هذه النسخة التي عند المدرس ، لكن بالشرط المذكور ، وهو ألا يخرج من الربيع . والفقهاء والساكنون في البقعة مقدمون على غيرهم إذا أرادوا الاستنساخ .

فهذه الشروط كانت قد سقطت من القلم ، وقد كتبنا على سبيل الإلحاق . « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

وحكم هذه الشروط المذكورة هو حكم سائر الشروط التي سبق ذكرها من أنها يجب على المتولى تقديمها على سائر التصاريف . وكل متول لا يسعى في (١٢) - جامع التواريخ)

ذلك بموجب تلك الشرائط ، كان ذلك مخلا بتوليته ؛ فمن أبطلها أوسعى في إبطالها أو إبطال شيء منها ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فليطلب الراغبون في مطالعة هذه الكتب نسخها من أبواب برنا الموسومة بالربع الرشيدى ، ولينتفعوا بها إن شاء الله تعالى . وليعلم أن الخدم المصنف ، عز الله أنصاره ، لما صنف هذه الكتب وأشار إلى كتابة نسخ كثيرة منها ، فالناسخون قد اتفق لهم في بعض المواضع تصحيقات وأغلاط ، ولم يمكن للمصنف ، زيدت أقداره ، أن يفرغ لها اشتغالا بمهام المالك وتدير الأقاليم . وهذا للملازميه المشتغلين بخدمته ، فمن حصل له الوقوف على دقائق تلك المصنفات ، فصدرت الإشارة العليا بأن الناسخين يقابلون تلك النسخ ؛ ولا يخفى أن أكثرهم قاصرون عن درجة العرفان ، فتصرفوا في بعض المواضع بالحاقات من تلقاء أنفسهم ، وعلى شهوة منهم ؛ ولذلك وقع في بعض المواضع تحريفات وتصحيقات . ونحن إنما كتبنا هذا المعنى ، لئلا ينسب المطالعون لهذه الكتب تلك التحريفات إلى المصنف زيدت أقداره . والدليل على براءة ساحة المصنف وزاهة جنابه ، ضاعف الله جلاله ، عن ذلك ، أنه لا يخفى على من له أدنى تمييز ومعرفة أن المؤيد من عند الله بأمثال تلك الحقائق ، والخصوص من فضل الله بأشكال هاتيك الدقائق ، لا يصدر من جنابه شيء غير مفهوم أو كلام غير منظوم . نعم ، لو وجد في كليات هذه المباحث وأصولها نكت أو شبه ، فالجواب عنها إنما يلزم المصنف ، دام ظلالة . وكل ماسوى

ذلك ، فهو من غلط الناسخ وتحريفه وسهوه وتصحيفه . والدليل على ذلك أنا وجدنا في بعض النسخ تحريفا يخالف تحريف نسخة أخرى ، ومن البين أن ذلك إنما يكون من اختلاف الناسخين . وقد أصلحنا منها ما يمكن إصلاحه؛ فإن كان شيء من ذلك باقيا ، فليصلح أو يعذر « والله المستعان » .

تركت رشيد الدين يتكلم بنفسه وحرصت على الاحتفاظ بنص عباراته ، لكي أبين للقارئ مقدار الاحتياطات التي أخذها مؤلفنا لمنع مؤلفاته من الضياع . فإنه لم يهمل شيئا مما يمكن أن يساعد على تجنب مثل هذه الكارثة ؛ وكان يبدو أن تلك الضروب من العناية الفائقة لا يمكن أن تخطيء مرماها ، وأن مؤلفات رشيد الدين ، وقد قدر لها أن توضع في كل المكاتب العامة بالعالم الإسلامي ، وأن يدرسها جميع المتعلمين في هذا العالم ، لا بد أن تصل إلى أيدي الخلف . ولكن هذه النوايا الحسنة كلها لم تحقق بالدقة الواجبة .

فقد فقدنا الجزء الأكبر من مؤلفات هذا المؤرخ العالم . ولم تنل كل تلك الاجراءات التي اتخذها من النجاح أكثر مما نالت الاحتياطات التي اتخذها الإمبراطور تاسيت Tacite لضمان الاحتفاظ بمؤلفات قريبه العظيم . فإن عوادي الزمن ووحشية البشر ، هذين الوبائين اللذين حالوا بين الكثير من ذخائر الغصور القديمة وبين الوصول إلينا ، قد امتد أثرهما التخريبي أيضا إلى مؤلفات رشيد الدين .

مقدمة
رشيد الدين فضل الله
لكتاب
جامع التواريخ

جَامِعُ التَّوَارِيخِ

مُفَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرست كتاب السير والتواريخ ، وفذلك حساب البيانات يجب أن يفتتح بالحمد والثناء لله تعالى خالق العالم . وكذلك عنوان كتاب الروايات ، وطرز لباس الحكايات ينبغي أن يبدأ أيضا بالصلوات والتحيات على الروضة المطهرة ، خاتم النبيين ، وعلى خلفائه الراشدين ، وعموم آله وأصحابه والتابعين . « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (١) .

ص ٦ أما بعد ، فالغرض من ترتيب هذه المقدمة ، وتحرير هذه الديباجة ، أن مسودة هذا الكتاب المبارك المشتمل على ذكر تواريخ ملك العالم چنگيزخان وآبائه وأجداده العظام وأولاده وأسرته المشهورين كما سيأتي شرح ذلك في ص ٨ مقدمة الكتاب ، قد ألفت ورتبت بأمر السلطان السعيد غازان خان - أنار الله برهانه - من الأوراق والطوامير المبتورة المتفرقة ، والجرائد والديساتير المختلفة

(١) قرآن كريم ، سورة الصفات ، الآيات ١٨٠ - ١٨٢

المتنوعة . وكذلك في عهد دولته التي كانت تعبطها وتحسدها أديوار وعهود « دارا »^(١) و « أردوان »^(٢) و « أفريدون »^(٣) و « أنوشروان »^(٤) ، كان قد شرع في تبييض بعض الأجزاء من هذا الكتاب . ولكن قبل أن تتم الكتابة ، وقبل الفراغ من التحرير ، وفي تاريخ ١١ من شوال سنة ٧٠٣ في حدود قزوين التي هي باب الجنة صعدت الروح المطهرة لذلك الملك العادل مليية نداء ربها : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ »^(٥) . واستقرت في غرفات جنة الخلد ، وشرفات أعلى عليين : « فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ »^(٦) .

(١) المقصود دارا الأول ، وهو أعظم ملوك الدولة الأكينية أو الهخامنشية . وربما كان أعظم ملوك إيران قبل الإسلام . كون إمبراطورية فيسحة كانت تمتد من نهر السند حتى البحر الإيبي ، ومن المحيط الهندي حتى بحر قزوين ، ونظم ملكه على أساس متين اعتبر مثلاً أعلى في العهود التي تلت دولته . (المترجم)

(٢) يقصد أردوان الخامس وهو أحد الملوك الإشكانيين أو البارثيين الذين كانوا يحكمون إيران قبل قيام الدولة الساسانية ، وذلك عندما كانت إيران مقسمة بين ملوك الطوائف : وكان أردوان أقوى هؤلاء الملوك إلى أن تغلب عليه أردشير بابكان في سنة ٢٢٤ أو ٢٢٦ م وأسس الدولة الساسانية . (المترجم)

(٣) عمثل سيرته في الأساطير الفارسية غلبة الخير على الشر ، وذلك بعد أن قتل الضحاك ، وخلص الإيرانيين من شروره ومفاسده . وتروى المصادر أنه تغلب على الضحاك في أول شهر « مهر » فاتخذه الناس عيداً لهم وسموه « مهرگان » . (المترجم)

(٤) المقصود كسرى أنوشروان أعظم ملوك الدولة الساسانية (٥٣١ - ٥٧٨) م ، والذي اجتمعت فيه صفات القائد المحنك وخصائص الإداري الحازم ؛ إذ كون إمبراطورية واسعة وقام بإصلاحات عديدة . وبالإضافة إلى ذلك كان مثلاً أعلى للملك العادل فلاغرو أن اشتهر في التاريخ باسم « كسرى العادل » . (انظر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة الأستاذ الدكتور يحيى الحشاش ، ص ٣٤٨ وما بعدها ، القاهرة ١٩٥٧) . (المترجم) .

(٥) قرآن كريم ، سورة الفجر ، آية ٢٧ ، ٢٨

(٦) « « « « القمر ، آية ٥٥

شعر :

« - لما كان قدره أعلى من قدر الدنيا ،
فقد صار مكانه حيث جناب القدس الأعلى .
- وفي كل لحظة تهب الريح ،
تحمل من الله مئات الآلاف من التحية على روحه » .

١٠. وقبل وفاته بعدة أيام ، وبمقتضى الوصية التي كانت تمتاز ببراعة الفصاحة ،
وبلاغة الآثار الممزوجة بالحكمة والنتيرة للمحبة ، جدد هذا السلطان وأكد العهد
الذي كان قد قطعه على نفسه منذ خمس سنوات أو ست فيما يخص اختيار ولي
عهده . وبحضور جمهور الأميرات والأمراء ، وجميع أركان الدولة وأعيان
الحضرة ، وبإجماع فكره الثاقب ورأيه الصائب ، أملى رغبته بلسان فصيح
وبيان ملبح ، وبالغ في حض الجميع على رعاية تلك الدقائق لأن الحق محض
الحقائق ؛ فأصر على أن يكون ولي عهده أخاه الأكبر السلطان الأعظم ،
١٢. الخاقان الأكرم ، شاهنشاه الإسلام ، مالك رقاب الأنام ، الإيخان العدل ،
صاحب الدنيا الأكمل ، والى الأقاليم المظفر ، جامع تفاصيل السعادة ، والفارس
الشجاع في ميادين رعاية الدين ، السلطان الباسط العدل في الممالك ، المهمد
لقواعد الحكم ، المشيد لمباني الفتح والظفر ، مركز دائرة الاستيلاء على العالم ،
مدار نقطة صاحب القران ، زبدة فوائد التكوين ، وإبداع خلاصة تسامح
الأجناس والأنواع ، باسط بساط الأمن والأمان ، موطن أساس الإسلام

والمسلمين ، مظهر شعار الشريعة النبوية ، محيي مراسم الملة المصطفوية ، منبع ص ١٤
زلال لطف الله الأزلي ، مطلع هلال فيض ذى الجلال ، منظور نظر التوفيق
الرباني ، المخصوص بعناية الله وتأيدته ، السلطان الحامى للدين ، ظل لطف
الله ، السلطان محمد خدا بنده خان لا زال مقرون العهد بالدوام ، مظفر الأولوية
والأعلام ، ممدود الظل على كافة الأنام؛ فإنه مقصود ظهور دولة چنگيزخان ، ص ١٦
وموعد دفع فتور أمة الإسلام ، وإن حياته لتفويض بالكرم والجود .

شعر :

« - ذلك الذى له قدرة القضاء وتديير القدر ،

ذلك الذى له هممة الفلك وبصر الملك .

- ذلك الذى من ماء وتراب دولته ،

تكون النجوم شعاعا والسماء غبارا » .

ذلك الملك السعيد الحظ المسعود الطالع ، الذى بينى زحل بيت سلطانه
فى ميزان الإتيقان ، وثبت المشتري سجل السيطرة على ممالك الربع المسكون
باسمه المبارك دون تزييف ؛ ويستل المريخ من غمد الانتقام خنجره الشبيه
بالصمصام فى هيكله لمهاجمة جيش العدو اللئيم ومتابعته ، والشمس التى تنير
الدنيا ، تجمل وجهها الوضاء بأشعة أنوار رأيه الذى هو زينة للعالم ، وتعرف
الزهرة الزهراء على البربط لحن النوى لإطراب محفله الممتع ، ويقوم عطارده ص ١٨
بتديير حسابات الديوان وتنميتها دون تساهل أو تقصير ، والقمر قد أحيط
بالهالة ليرسل رسالة الصيت الدائع لمحاسن أخلاقه إلى أطراف الآفاق عن

طريق نولى العهد ، وارث عرش السلطنة ووالى التاج وخاتم الدنيا .

شعر :

« به صار الملك مضيئاً ، كما صار الدين قوياً ،

وبه أيضاً صار العرش مشرقاً والحظ فتياً » .

وبعد وصول الرسل بالأخبار ، نهض الشاهنشاه الميمون بعون التأيد الإلهي ، من ناحية ممالك خراسان التي كانت معسكرا العساكره المنصورين ، ومقاما لجنوده العديدين ، قاصدا العراق وأذربيجان حيث مقر عرش السلطنة ومستقررايات الحكم .

شعر :

« الإقبال من الأمام والنصر من الخلف ،

والعصمة في القلب والنصرة في الجناح » .

وبسبب كمال شفقتة الملكية، ووفور عاطفته السلطانية كان يرسل في كل لحظة ، أثناء السير في الطريق ، الرسل متعاقبين ومتواترين بقصد الترفيه عن الخدم والحشم، ولينشروا الناس برحلته المباركة ووصوله الميمون . وكان السلطان يضع بلسم رحمته على القلوب الجريحة ، كما كان يدخل السرور على الجميع ، ويزيد في شد أزهم ومعاوتهم ؛ فكانوا يقومون فوجا فوجا بمراسم استقباله ؛ وهم فارغو البال ميسرو الحال ، ويسعدون بشرف تقبيل الأرض بين يديه ، والمثول أمامه في مقره الذي هو ملجأ السلطنة . وفي يوم الاثنين الثاني من

شهر ذى الحجة- من السنة المذكورة ، وصل السلطان إلى معسكره
الكبير بجانب مدينة الإسلام « أوجان » .

شعر :

« جاء إلى فلك الدولة موقفاً وناجحاً ،
ذلك الذى هو ملجأ السلطنة وشمس الملوك » .

كما لحق بتلك الحضرة الشريفة العليا ، مجموع الخواتين والنبلاء ، فغنى
هاتف الإقبال من وراء حجاب الغيب :

شعر :

- « أيها الزمن أبشر ، لأنه من سماء الملك ،
عادت شمس الشريعة إلى أفق الكبرياء .
حيثما ظهر أبطال الظلم وحساد الإسلام ،
يصل برهان عدل الملك الفاتح .
أجل ! لقد وجدت الدنيا عوناً ، والدين ملاذاً ،
والدولة راعياً ، كما واجه الظلم زوالاً والفتنة فناً .
كانت زهرة الإقبال قد ذبلت ثم نضرت ،
حين بلغها ماء عدله لسقيهاها » .

وفى خلال عدة أيام نظر السلطان فى مختلف الشئون العامة ،

وتتقد مصالح الممالك ، وقدم شرائط الثبوت والتدبر ، وأقام وظائف اليقظة والأمن .

وبعد ذلك عُقد مجلس الشورى الكبير في أسعد الأوقات وأهنا الساعات ، في صباح يوم الاثنين الموافق منتصف ذى الحجة سنة ١٣٠٣/٧٠٣ .
شعر :

« بفأل مبارك وكوكب سعيـد ،
وبحظ وافر وسعد مزيد .
جلس على العرش كجمشيد^(١) ،
وأمامه الإنس والجن وقد حزموا أو ساطهم .
واصطف الجمع في حضرته ، بين جالس وواقف ،
وهم من الأمراء المجر بين والملوك الظافرين .
لقد جعل الفلك دورانه حسب أمره ،
وسارت الدنيا حسب توقيعه » .

والحق يقال أنه منذ بدء العالم ، وأول ظهور ذرية آدم ، لم يشرف عرش السلطنة في أي قرن من القرون بمثل هذا السلطان العظيم ؛ لأنه سخر أكثر

(١) جمشيد في الأساطير الفارسية هو أحد ملوك الپيشداديين ، وحاله يشبه حال سليمان من حيث القوة وبسطة العيش ، وسعة النفوذ ، وتسخير الإنس والجن لمشيئته . ولكنه في نهاية عمره طغى وتكبر وادعى الألوهية ففضى عليه الضحاك ، واستولى على ملكه وحكم إيران فعمها شره وطفانيته .

ممالك العالم بضربة سيفه المنق الدم والقاتح القلاع . وإذا كان بعض هذه الأقاليم قد آل إلى أصحابه عن طريق الإرث ، فإنه لا يستقر في أيديهم دون منازع أو محاصم . هذا ما لوحظ بوجه خاص في العصر المغولي ؛ فقد ثبت بالتجربة والمشاهدة للجميع ؛ مدى ما كان يحدث في كل انقلاب من اضطرابات وثورات ، وكم أراق السيف البراق من دماء على الأرض بسبب التهاب نار الفتنة ، ومبلغ ما أطاح به من الرؤوس التي كانت تطير في الهواء . وبينما راجت سوق الغارات كسدت الأجناس والأنواع من كل متاع ، وبواسطة القتل والنهب هلكت نفوس وضاعت ممتلكات لكثير من سادة العصر وأعيانه . وقد استمرت الحال على هذا المنوال إلى أن جلس السلطان على العرش . فقد ظلت قواعد ذلك الأمر متزلزلة لمدة طويلة ، وفي كل يوم كانت تحدث حادثة موجبة للتشويش والتفرقة ، ولم تكن توجد حالة استقرار وهدوء . فلما وصل دور السلطنة إلى عهده المبارك وأيام دولته المديدة ، وجدت رقعة الممالك العريضة الواسعة الأمن من جميع المخاوف والمهالك ، وأصبحت في قبضة نواب حضرة السلطان مضبوطة ومرتبطة وفق قانون مكمل ومهذب ؛ فأثبت لسان القلم الناثر الدرر على الرغم من السيف اللامع البراق - هذين البيتين على صفحة حال الزمان :

ص
٢٦

شعر :

« أيها العدل ، أنت الذي في أيام عدلك ،

لم يخرج السيف رأسه من غمده .
والدنيا بفضل دولتك صارت بحيث أنه ، حتى يوم الحشر ،
لا يعمل السيف إلا إذا كان مرادفاً لمـدحك » .

ومن قبيل هذه الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة علم على وجه اليقين ،
أن ملك الملوك يتمتع بمنزلة خاصة ، وأنه قد اختص بعين العناية الإلهية بشكل
واضح بين ، وأن أساس تلك الخصوصية محكم ومتمين .

ولقد تأمل أحد الأكابر الأفاضل في هذا العصر - وكان يعد بسبب
كمال فصاحته سبحانه عصره ، وبسبب مداخلة السلطان كان يعتبر « حسان » (١)
زمانه - فحوى الاسم المبارك للسلطان بمقتضى هذا القول : « الألقاب تنزل من
السماء » فنظم هذه المعاني شعراً وقال :

« - ليلة أمس كنت أفكر ،
في اسم الملك « خر بنده » (٢)
- ما عسى أن يكون معنى هذا الاسم ،
الذي قد يغفل عن إدراكه القارىء .

(١) يقصد حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٢) لقب السلطان أو لجايغو (٧٠٣ - ٧١٦) بهذا اللقب وهو لفظ مركب من كلمة
« خر » بمعنى حمار ، و « بنده » بمعنى تابع ، والمراد (المكاري) . كما أنه لقب أيضا
بلقب خندا بنده ، وهو لفظ مركب من « خندا » بمعنى الله ، و « بنده » بمعنى عبد ، أى
« عبد الله » .

- وبينما أنا في هذه الحيرة إذ وصل إلى سمعي ،
هذه العبارة: « يأمؤيد الملك السعيد » .
- إن المعنى موجود في حروف هذا اللفظ
وهو ملاممٌ جداً لهذا الملك
- فاحسب عن طريق « حساب الجمل » ^(١) ،
القيمة العددية لكل حرف من حروف كلمتي « شاه خربنده » .
حتى تعرف معناها فإنها تعطى نفس المعنى ،
لهذه الكلمات : (سايه خاص آفريننده) ^(٢) .
- تسعة حروف تلك وخمسة عشر حرفاً هذه ،
ولكنهما في الحساب متشابهان ومتساويان .
- ويمكن أن تقول إن ذلك الاسم يتكون من تسع أصداغ ،
قد ملئت بخمس عشرة جوهرة .
- أو أن هذا الاسم المبارك طاسم ،
علق على باب كثر الله .
- فلما عرفتُ سِرَّ ذلك الاسم ،
تجمع خاطري المشتت

(١) لمعرفة طريقة هذا الحساب انظر الراوندى : كتاب راحة الصدور ، ص ٤٤٩ -

٤٥٠ ، ليدن ١٩٢١ .

(٢) « الظل الخاص للخالق » ، وقد أيقينا على الكلمات الفارسية دون ترجمتها لأن قيمتها
العددية محسوبة وفقاً لحروف هذه الكلمات (انظر حافظ آبرو : ذيل جامع التواريخ ، نشر
الدكتور بياني ، ص ٤٠ ، طهران ، ١٣١٧ هـ . ش) .

- فأدرکت المعنى وقالت :
« ليدم الملك » خربنیه « :
- ولتظل شمس جلاله وملکه ،
مضيئة من الفلك الدائم » .

وبالجملة فإنه بعد إقامة مراسم الابتهاج ، وبسط بساط الجبور ، تفحص
السلطان مليا القانون والتقاليد^(١) ، والعادات والرسوم التي كانت على عهد
أخيه السلطان السعيد غازان خان أنار الله برهانه ، كما أطلع على كيفية إصدار
الأحكام والقيام على تنفيذها . ونظرا لما كان يكتنه السلطان لأخيه الراحل
من غاية الإخلاص والروءة ، والاعتراف بأفضاله الكثيرة عليه ، فقد رأى من
من الصواب أن يظل أمراء الدولة وأركانها متمتعين بكامل النفوذ والاحترام
كما كانت الحال في القرار السابق والرسم السالف في عهد أخيه ، وأن يشغل
كل منهم المنصب الذي كان يشغله من قبل ، ويحاول نفس العمل الذي كان
له ، وأن تسير شئون المملكة ومصالح الولاية على نفس الطريقة السابقة ؛
بحيث تكون بعيدة عن شوائب التغيير والتبديل والزيادة والتقصان وقد
أيقن الجميع أنه يمين هذا التدبير استقرت الأمور ووصلت إلى حد
الكمال .

(١) ترجمة الكلمتين الغوليتين يساق بمعنى القانون ويوسون بمعنى التقاليد .

(١٣ - جامع التواريخ)

شعر :

ص
٣٦

« إن شئون المماسكة تجري بمثل هذا الترتيب الدقيق من الآن فصاعدا ،
بحيث لا يضطرب أحد بغير طرر الحسان شيهات القمر » .
ثم إنه عند ما حظيت أجزاء هذا التاريخ بمطالعة السلطان العظيم ، أمره
بإصلاحها إصلاحا تاما وضبطها ضبطا دقيقا ؛ وذلك لما رزقه من كمال العقل
والكياسة ووفور العلم والفراسة .

وحيث إن هذا التاريخ بأكمله قد تم تبليغه في عهد هذا السلطان المبارك ،
الذي يزيد إقباله على مر الأيام فقد بدأ أول الأمر أن يقدم باسمه المبارك ،
وأن يرصع بذكر ألقابه السلطانية . ولكن أخلاقه الحميدة ومروءته الأصيلة ،
جعلته يحجم عن الموافقة على هذا الاقتراح ، إذ أمر بأن يقدم الكتاب باسم
السلطان السعيد غازان خان - أثار الله برهانه - وأن تظل مقدمته موشحة بذكر
ألقابه . فلم أتردد في تحرير الكتاب على هذا المنوال وفق أمر سيد الدنيا المطاع .

ولما كان ملك الإسلام - خلد الله سلطانه - متصفا بعلو الهمة ، فإنه كان
يميل دائما إلى البحث والاطلاع على أنواع العلوم والتفحص والاستقصاء لفنون
الحكايات والتواريخ ، ولما كان يمضى أكثر وقته اليمون في اكتساب
صنوف الفضائل والكمال ، فإنه بعد أن قرأ هذا التاريخ وراجع ، قال لي :
« إنه حتى هذا الوقت لم يؤلف في أى عهد من العهود كتاب يشتمل على
التاريخ العام لجميع سكان العالم وشرح أحوالهم ، ومعرفة طبقات الناس

ص
٣٨

وأجاسهم ، كما أنه لا يوجد في هذه الديار كتاب قط يحتوي على أخبار سائر البلاد والأمصار ، ولم يبد ملك من الملوك السابقين اهتماما بهذا العمل ومباشرته . أما الآن فيحمد الله ومنه دخلت أقاليم الربع المسكون تحت سيطرتنا وسيطرة أبناء چنگيزخان . « وقد اجتمع في حضرة السلطان السامية الحكماء والمنجمون والعلماء ومؤرخو الأديان والشعوب من أهالي الخطا والماجين والهند وكشمير والتبت والأوغيور^(١) ؛ وأقوام الأتراك الآخرين والأعراب والإفرنج . وكان مع كل واحد منهم كتب تشتمل على تواريخ وحكايات ومعتقدات أمته ، وهو لاشك واقف على بعضها ومطلع عليه .

وهكذا اقتضى رأى الساطان الذى هو زينة للدنيا ، أن يكتب من مفصل تلك التواريخ والحكايات مجمل واف يحمل الاسم المبارك للمليكانا ، وأن تدون بعد هذا صور الأقاليم ومسالك الممالك فى مجلدين يكونان ذبلا للتاريخ المذكور . ولكى يكون مجموع ذلك الكتاب الفريد جامعا لجميع أنواع التواريخ يجب أن تقتنم الفرصة لإنشاء مثل هذا المؤلف الذى لم يتيسر الحصول عليه فى أى عهد من عهود الملوك السابقين ، وإتمامه دون إهمال وإمهال ليكون وسيلة لتخليد اسم مؤلفه ودوام شهرته .

(١) قوم من الأتراك كانوا يدينون بالمسيحية والبوذية والمانوية . وهم بصفة عامة أكثر أقوام الأتراك والفول تمدنا . كانوا يقطنون شمال شرقى تركستان وشمال نهر تارىم . وأهم مدنها تورفان وبيش باليغ وبر قول وقبره شهر وآباليغ . وكان لهم خط خاص بهم هو الخط الأوغوزى . وعند ما اختلط بهم الفول أخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتاباتهم . (الترجم) .

ولتنفيذ هذا الأمر شرعت في الاتصال بجملة الفضلاء والبارزين من الطوائف المذكورة ، واستطلعت آراءهم ، واقتبست من مضمون كتب المتقدمين . ومن هذه المادة كتبت مجلدا آخر يتعلق بالتاريخ العام لأهل الأقاليم ، ومجلدا ثالثا في بيان صور الأقاليم ومسالك الممالك وجعلت هذين المجلدين ذيلًا لهذا التاريخ المبارك ، وأطلقت على مجموع الكتاب اسم « جامع للتواريخ » .

وقد أثبت في الفهرس الذي يلي هذا الفصل تفاصيل الحكايات والتواريخ والطريقة التي سرت عليها في تدوينها .

وإنه لمن المحقق أن المؤرخ لا يشهد بعينه القضايا والحكايات التي يكتبها ويقررها في مؤلفه ، كما أنه لا يستقى معلوماته عن طريق الشافهة من أفراد تلك الطائفة الذين هم أصحاب القضايا والحوادث ، وكان التاريخ سجلا لسرد أخبارهم ولكنه يكتب ما ينقله الرواة وما يدعيونه .

وإذن فالنقل نوعان :

النوع الأول هو النقل المتواتر ويؤدي إلى العلم وليست فيه شبهة . فمثلا قد وصل إلينا بطريق التواتر وجود الرسل والملوك وعطاء الرجال الذين عاشوا في القرون الغابرة ، وكذلك وجود المدن البعيدة مثل مكة ومصر وغيرها من البلاد المشهورة النائية . ورغم أننا لم نشهد هؤلاء الأشخاص ، ولم نر تلك البقاغ ؛ فإننا نؤمن بما ورد إلينا من أخبار في هذا الشأن بطريقة لم يبق معها

أى شك أو تردد . وإن بناء جميع الشرائع والأديان ليقوم على هذا النقل المتواتر ، ولهذا النقل اعتباره في بعض القضايا عند عامة الخلق ، وعند طائفة مخصوصة في بعضها الآخر .

وأما النوع الثاني فهو النقل غير المتواتر ، ويسمونه الأحاد ، وهو يحتمل الصدق والكذب . وأغلب الحكايات والأحوال التي يعلمها الناس تكون بهذه الطريقة غير المتواترة ؛ بحيث إن القضية التي وقعت أمس إذا رواها صاحبها اليوم فإنها قطعاً لا ترد إلى خاطره كما حدثت ، بل إنه عندما يعيدها في كل مجلس يقع تغيير في العبارة والألفاظ . ولهذا السبب نلاحظ أنه رغم توخي الدقة والاحتياط التام في الشرعيات قد وقع فيها اختلاف كثير لدرجة أن بعض الأحاديث النبوية أيضاً يشك فيها وذلك لاختلاف حال الرواة . وقد قرأ الأئمة السابقون تلك الأحاديث ودرسوها دراسة مستفيضة فاطمأنوا إلى بعضها واختاروها ، وأسموها الصحاح ، ووقفوا إزاء الباقي موقف التحير والتردد . وأكثر اختلاف الأئمة في المسائل الشرعية يتوقف على هذا المعنى . ومع هذا لا يجوز إنكار المسائل التي اختلف فيها كلية لأنه قد يتطرق الخلل إلى دين من ينكرها .

وعلى هذا فمن المؤكد أن تاريخ عدد من الأقوام المختلفين في اليهود المتطاولة لا يمكن أن يعرف مطلقاً عن طريق القطع واليقين ، وأن الروايات التي رويت وتروى في هذا الشأن ليست بدرجة متساوية من الصحة ولا متفقاً

عليها؛ ففي كل لحظة يروى كل شخص ما وصل إليه بطريق التواتر أو ماسمعه على سبيل الإخبار، وكثيرا ما يزيد الراوى وينقص حسب هواه. وإذا لم يقل أيضاً الكذب المحض فإنه يبالغ إلى حد ما في العبارة التي تتضمن وقوع الاختلاف.

ولما كانت السنة الإلهية تجرى على هذا النحو الذى سبق ذكره، وقد جبلت الطبيعة البشرية على هذا الأسلوب؛ فكل مخلوق يريد أن يقرر خلاف هذه المعاني يكون تفكيره ضربا من الخيال، كما يكون قوله زائفاً.

وهكذا إذا فكر المؤرخ فى أن ما يكتبه لا بد وأن يكون محققا ومقطوعا بصحته، فإنه لن يستطيع أن يكتب أى تاريخ، لأن كل ما يورده من أخبار إنما يزويه عن جماعة من العطاء قد شاهدوها أو نقلوها عن الآخرين، أو طالعوها فى كتب المتقدمين. وعلى كل حال فكما سبق أن ذكرت يكون ذلك محلا للاختلاف. ولو فرض أن المؤرخين استنادا على هذا السبب تركوا الكتابة والرواية ظانين أن الناس ربما يعترضون عليها ولا يستسيغونها، فإن جميع القصص والأخبار وتواريخ العالم تبقى فى كل فترة متروكة ومهملة، ويحرم جميع الناس فوائدها ومزاياها.

فوظيفة المؤرخ إذن أن ينقل ويكتب حكايات وأخبار كل قوم وكل طائفة على نحو ماوردت فى كتبهم، وبالطريقة التى رويت بها من الكتب المشهورة المتداولة بين هؤلاء القوم، ومن أقوال مشاهيرهم والبارزين فيهم،

والعمدة على الراوى . وكما سبق أن شرحنا فإن كل صنف من الناس وكل طائفة من الخلق ، ينقلون الأخبار والروايات على حسب معتقداتهم . وفى كل وقت يرجحونها على معتقدات الآخرين ، ويبالغون جدا فى إبراز حقيقتها .

وإذن فلا يمكن أن يتفق جميع الناس فى كل القضايا . وهذا المعنى واضح وظاهر لدى الجميع . وعلى هذا فعندما ينقل المؤرخ عن الأقوام المختلفين فلا بد وأن يبدو اختلاف فى أقواله ، وقد يختلف بعض الناس فى بعض المواضيع والحكايات ؛ ولكن الخير والشر والعيب والمدح ومثل هذه الأمور لا ترجع إلى المؤرخ ، لأنه كما سبق أن ذكر إنما يقرر تاريخهم وأخبارهم . وهو بالتأكيـد يستطيع القيام بتحقيق حقيقى دقيق فيما يقول ويقرر وذلك كما سبق أن قلنا .

ولاشك أن النقل المتواتر معتبر ومقبول باتفاق الجمهور . وإذا كان التواتر عند المسلمين أكثر اعتباراً منه عند جميع الأمم ؛ فإن بناء تاريخ الأقوام المختلفين لا يمكن أن يقوم على هذا الأساس .

٤٦ ومن المسلم به أن كل ما ينقل بالتواتر يجب أن يكون معتبراً لدى كل طائفة ، فقد قلنا إن المتواتر إما أن يكون له اعتبار لدى عموم الخلق أو عند طائفة مخصوصة . أما ما ينقل عن طريق غير المتواتر ، ويكون محتملاً الصديق والكذب ، فإن واجب المؤرخ كما ذكر — أن ينقل ويكتب بقدر ما يستطيع من أقوال الثقات ومن الكتب الصحيحة المتداولة . فإذا تصرف فيما ينقله وفق تصويره فإن عمله بلاشك يكون عبثاً وخطأ .

والغرض من هذه الكلمات أنه حينما أمر هذا الضعيف بتأليف كتاب جامع التواريخ هذا ، وضع تحت بصره وسمعه كل ما جاء في الكتب المشهورة لدى كل طائفة ، وكل ما اشتهر لدى كل قوم عن طريق النقل المتواتر ، وكل ما قرره العلماء والحكماء البارزون في كل طائفة حسب معتقداتهم ، ثم كتب على هذا المنوال دون تصرف أو تغيير . ومن المحتمل أنه بسبب قصور فهم الراوى وإهماله أن تنسى بعض هذه الأمور ، ومع هذا فإنه يود أن يجتهد بقدر ما في وسعه في تقييح معلوماته حتى تجيء بقدر المستطاع في صورة تامة ، ولكن لم يتيسر له زيادة السعى والاجتهاد في هذا الباب ؛ إذ لا يخفى أن مثل هذه الأعمال يجب أن يتوفر فيها الاستعداد التام والمهارة في جميع العلوم . وفي الحقيقة لم ير المؤلف هذه الشروط متوفرة فيه . ثم إن إخراج هذا العمل إلى حيز التنفيذ كان في حاجة إلى فترة طويلة من مرحلة الشباب ، كما كان يلزم له الفراغ الكافي بقدر المستطاع . وقد اتفق للمؤلف أن يقوم بهذا العمل في آخر سن الكهولة في الوقت الذي أريد لهذا الضعيف أن ينخرط في سلك نواب الحضرة ، وأن يكلف بمباشرة عظام الأمور . ومع أنه لم يرزق الاستعداد للقيام بهذا العمل الكبير ، ولم تكن قوة العقل والفكر كافية للهبوض به ، فإنه وجد من اللازم أن يمثل لهذا فينهض لمباشرة هذه المهمة ، وعرف كذلك أن الواجب يحتم عليه أن يبذل قصارى ما في جهده في هذا السبيل . ولكن إذا كانت قوة الذهن لا تبقى بشئون الديوان فكيف تبقى أيضاً بجمع التواريخ التي هي من عظام الأمور ؟ !

ص ٤٨ وبناء على هذه الأسباب والأغذار التي أبديتها ، فإنني آمل بفضل اللطف
العميم لعظماء الرجال الذين يطالعون هذا الكتاب ، أن يتجاوزوا ويفهموا
أعينهم عما يكون موضعا للخطأ والخلل ، وموقعا للسهو والزلل ، وأن يتفضلوا
بإصلاح وإضافة كل ما يروونه لائقا ومناسبا ، وأن يعذروا هذا المؤلف الضعيف
الذي ينفذ ما أمر به .

وإذا كانت تواريخ بعض الأقوام من الكفار وعبداء الأصنام مشحونة
بأباطيل خيالاتهم وأضاليل حكاياتهم غير المعقولة ؛ فإن الغرض من إيرادها
أن تكون عبرة لأولى الأبصار ، وأن يقف أهل الإسلام والإيمان بمطالعتها
على المعتقدات الفاسدة لأرباب الضلالة ؛ فيجتنبوا تلك الخرافات ، ويقوموا
بأداء وظائف الشكر على نعمة الهداية ونور الإيمان اللذين هما خير ما في
الألطف الربانية والكرامات : « والله تعالى هو المستعان وعليه الإعانة
والتكлян » .

بعد أن قدمت أنا عهد الدولة هذه المقدمات التي تعبر عن قسورى
والتمهيد لعذرى وعذر غيرى من المؤرخين ، وذكرتها فى مقدمة كتاب
« جامع التواريخ » عرضت الكتاب على الحضرة ، فلما شرف الكتاب
بمطالعة السلطان شملنى هذا بعطفه وإنعامه وصرح قائلا : « كل ما كتب
المؤرخون قبل هذا الكتاب يمكن أن يكون فيه زيادة ونقصان فى هذا
الموضوع . وماذكرته أنت كان مبررا لعذرهم ، كما أنك تكون معذورا فى كل
وقت . وإن ما كتبتة عن أهم الوقائع منذ عهد چنګيزخان حتى الآن ،

وماذكرته عن شرح شعب القبائل كان غاية الجميع ، وقد أفادنا فائدة كبيرة ،
وكله صحيح وصادق ، ولا يستطيع أحد الاعتراض عليه ، ولم يقدر مؤرخ آخر
على أن يكتب تاريخاً مثله . وإن الأشخاص الذين وقفوا بأنفسهم على هذه
الحكايات ، وعلى كل جزء من أجزاء هذا الكتاب قد اتفقوا على هذه الحقيقة
ولم يستطيعوا إنكارها. كما أنه لم يكتب شخص قط أصح ولا أضبط ولا أوضح
من هذا التاريخ .

وحيث أن الكتاب قد حاز القبول والمدح على هذا النحو في حضرة
سلطان الإسلام - خلد الله سلطانه - فقد شكرت الحق تعالى .

وإذا كنت قد اعترفت بتقصيري وعجزى في جميع أبواب الكتاب ،
ومع هذا نال الإعجاب في حضرة السلطان ، وشمله بعين القبول والرضا، فكيف
أستطيع أن أشكر الله على هذه النعمة . أعاد الله تعالى نفعه على جميع
المستفيدين والناظرين فيه بمنه وكرمه ، وأدام بظل رحمته هذا السلطان
الرؤوف بعبده.

فهرست هذا الكتاب المسمى جامع التواريخ
والموضوع على ثلاثة مجلدات

المجلد الأول : الذى أمر بإتمامه فى هذا الوقت شاهنشاه الإسلام
السعيد أولجايتو - خلد سلطانه - على أن يظل مقديما باسم أخيه السلطان
غازان خان - أنار الله برهانه - هذا المجلد يشتمل على باين :
الباب الأول : فى بيان الحكايات المتعلقة بظهور أقوام الأتراك ، وكيفية
انشعابهم إلى قبائل مختلفة ، وشرح حال آباء وأجداد كل قوم منهم بصورة
مجملة ، ويشتمل هذا الباب على ديباجة وأربعة فصول :
الديباجة : فى ذكر حدود مواضع الأتراك ، وتفصيل أسماء وألقاب كل
شعبة مما عرف عن هؤلاء القوم .
وأما الفصول : فى شرح أحوال هؤلاء القوم المذكورين وهى على هذا
الترتيب :

الفصل الأول : فى ذكر حكايات أقوام الأوغوز^(١) الذى كان حفيدا

ص
٥٢

(١) يريد مؤرخنا بأقوام الأوغوز تلك الشعوب التركية المختلفة التى تقرر الروايات أنها
تنحدر إما من ذلك الملك القديم ، أو من بين أقاربه وحلفائه الذين هبوا لتجديته بسلاحهم ،
وتشمل هذه التسمية الأوغوز والقيجاى والقليج والحرجية والقرلق والأعاجرية . (كاترمير
ص ٥٢) .

لأبويجه خان المسمى يافث بن نوح عليه السلام ، وتاريخ الأقسام الذين كانوا معه من أعمامه .

الفصل الثاني : في ذكر أقوام الأتراك الذين يطلق عليهم المغول ، لكن في قديم الأيام كان لكل قوم منهم اسم ولقب خاص ، كما كان لكل رئيس وأمير .

الفصل الثالث : في ذكر أقوام الأتراك الذين كان لكل منهم ملك ورئيس على حدة ، ولكنهم لم يكونوا على صلة قرابة بالأقسام الذين سبق ذكرهم في الفصل الثاني .

الفصل الرابع : في ذكر أقوام الأتراك الذين كانوا يلقبون قديماً بالمغول وهذا الفصل ينقسم بدوره إلى قسمين : ص ٥٤

القسم الأول : في ذكر مغول دزلكين .

القسم الثاني : في ذكر مغول نيرون .

الباب الثاني : في بيان حكم ملوك المغول والأتراك وغيرهم ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في بيان تاريخ آباء چنگيزخان وأجداده ، وحكاياتهم وشرح أحوالهم . وهذا الفصل يشتمل على تواريخ عشرة أشخاص :

(١) تاريخ دويون بايان .

- (٢) تاريخ الألقوا وأولاده الثلاثة .
- (٣) تاريخ بُوذنجِر بن الألقوا .
- (٤) تاريخ دُوتومين بن بُوذنجِر .
- (٥) تاريخ قايدوخان بن دُوتومين .
- (٦) تاريخ سنگقور بن قايدوخان .
- (٧) تاريخ تومينه خان بن سنگقور .
- (٨) تاريخ قَبْلُ خان بن سنگقور .
- (٩) تاريخ برتآن بهادر بن قَبْلُ خان .
- (١٠) تاريخ ييسوكا بهادر بن برتآن بهادر .

الفصل الثاني : في تاريخ چنگيزخان وأبنائه وأحفاده المشهورين الذين

نصب بعضهم سلاطين ، وأعطوا لقب « خاقان » في كل عهد ، بينهما لم يصل البعض الآخر إلى مناصب الحكم . مع ذكر مجمل لتاريخ ملوك العالم الذين كانوا يعاصرونهم حتى هذا الوقت .

- ١ - تاريخ چنگيزخان بن ييسوكا بهادر .
- ٢ - تاريخ أوكتاي قاآن الابن الثالث لچنگيزخان وولي عهده .
- ٣ - تاريخ چوچى خان الابن الأكبر لچنگيزخان وأسرته .
- ٤ - تاريخ چغتاي خان الابن الثاني لچنگيزخان وأسرته .

- ٥ - تاريخ تولوى خان الابن الرابع لچنگيزخان ووارث أملاكهم .
- ٦ - تاريخ كيوك خان الابن الأكبر لاوگتای قاآن والذى اختير شاهنشاهها
٥٦ بعد أبيه .
- ٧ - تاريخ منگوقاآن الابن الأكبر لتولوى والذى صار شاهنشاهها
بعد كيوك .
- ٨ - تاريخ قوبيلاى قاآن بن تولوى خان الذى تولى عرش المغول
بعد منگوقاآن .
- ٩ - تاريخ تيمور قاآن حفيد قوبيلاى قاآن والذى كان ملكا فى
ذلك الوقت .
- ١٠ - تاريخ هوللاگو خان الابن الثالث لتولوى خان والذى صار
ملكا لإيران .
- ١١ - تاريخ آباقا خان الابن الأكبر لهوللاگو خان الذى تولى العرش
بعد أبيه .
- ١٢ - تاريخ تكودار أحمد بن هوللاگو خان الذى صار ملكا بعد أخيه
آباقا خان .
- ١٣ - تاريخ أرغون خان الابن الأكبر لآباقا خان الذى تولى العرش
بعد أحمد .
- ١٤ - تاريخ كيتخاتو خان بن آباقا خان الذى صار ملكا بعد أرغون خان .

١٥ - تاريخ السلطان غازان خان الابن الأكبر لأرغون خان والذي تولى العرش. بعد كيخاتوخان .

١٦ - تاريخ الجلوس المبارك لسلطان الإسلام أوجايتو - خلد الله ملكه وسلطانه -

المجلد الثاني : الذي أمر بتأليفه شاهنشاه الإسلام السلطان أوجايتو - خلد

ملكه - وكتب باسمه ، وهو يشتمل على بايين :

الباب الأول^(١) : في تاريخ سلطان الإسلام من ولادته حتى زمن تأليف

ص
٢٨

هذا الكتاب (في سنة ٧٠٦)^(٢)

الباب الثاني : وينقسم قسمين :

القسم الأول : يشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في مجمل تاريخ كافة الأنبياء والخلفاء والسلاطين ،

وسائر طبقات الناس وأصنافهم من عهد آدم عليه السلام حتى هذا الوقت
يعني سنة سبعمائة هجرية وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار .

الفصل الثاني : في تفصيل تاريخ كل قوم من أقوام أهل العالم الذين

يقطنون الربع المسكون على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وأصنافهم . ورغم أن

(١) هذا الباب محذوف من جميع النسخ الخطية ، ويرجح أن يكون قد ضاع عقب الإغارة على الربع الرشيدى بعد قتل رشيد الدين . (المترجم)

(٢) انظر مقال Browne في R A S لعام ١٩٠٨ ص ٢٢ .

بعض هذه الروايات قد ورد مفصلا ومجسلا في التواريخ السابقة ، فإن أغلبها لم يسبق ذكرها . وإذا فلا يفهم مطلوبها إذا بحثت تلك التواريخ . والبعض الآخر من التاريخ لم يحصل عليه مؤرخو هذه البلاد في عهود الملوك السابقين ، ولم يستطيعوا الوقوف على حقائق الأحوال ، حتى جاء هذا العهد المبارك فكتب المؤلف بناء على إشارة السلطان ذلك التاريخ على هذا النحو من التفصيل والترتيب المبين هنا وحصل معلوماته من موجز كتب كل قوم ، ومن أفواه العلماء لكل طائفة بعد أن قام بقدر المستطاع بتحقيقها وتمحيصها .

القسم الثاني : في ذكر التاريخ المبارك لسلطان الإسلام أولجائتو خلد الله .

ملكه منذ الوقت الذي تم فيه تأليف هذا المجلد في سنة (٧٠٦)^(١) إلى سنوات عديدة غير متناهية ، والتي سوف تكون عمر ذلك السلطان . وهذا القسم الأخير يكتبه المؤرخون الذين يلازمون السلطان ويحلونه ذيل لهذا المجلد الثاني .

المجلد الثالث^(٢) : في بيان صور الأقاليم وممالك الممالك .

وفي هذا المجلد أثبت المؤلف بعد تتبع وتحقيق - كل ما سبق معرفته عن هذه الممالك ، وما شرح في الدفاتر ، وما أعد من خرائط وصور . وأضاف إليه كل ما وجدته في هذا العهد المبارك في كتب الحكماء والعلماء من الهند والصين والماجين وبلاد الإفرنج بعد أن قاموا بتحقيقها وتقريرها .

ص
٦٠

(١) انظر Browne في J R A S ، يناير ١٩٠٨ ص ٢٠ .
(٢) هذا المجلد مفقود من النسخ الخطية وربما كان مجرد فكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ .
وإذا كان قد ألف بالفعل فيحتمل أن يكون قد ضاع عقب الإغارة على الربيع الرشيدى .

ذكر تأليف الكتاب الموسوم بالتاريخ الغازاني^(١)

لا يخفى على أرباب الفطنة والكياسة ، وأصحاب الروية والفراسة ، أن التاريخ عبارة عن ضبط وترتيب كل حالة غريبة ، وحادثة عجيبة يتفق وجودها نادرا ، وتثبت في متون الدفاتر ويطون الأوراق .

ويسمى الحكماء ابتداء تلك الحادثة « تاريخا »^(٢) ، وبواسطته يعرفون كمية الزمان ومقداره . وبناء على هذا المعنى يعين تاريخ ابتداء كل ملة ، وأول كل دولة . وأية حادثة أو قضية ، كانت أعظم في هذا الزمان من ظهور دولة چنگيزخان حتى يمكن اعتباره تاريخا ! إذ أنه في فترة قصيرة ، سخر بلاداً

٦٧

(١) في الأصل مقسمة سابقة على هذه التي نجد هنا . وقد حذفها كاترمير من نسخته لعدم جندواها ، فهي تدور حول الدعاء ، وذكر إبراهيم والإسلام ، ومدح ملوثة المبالغة لاسلطان غازان .

(٢) يذكر كاترمير فقرة من « الآثار » لليروني يعرف فيها اصطلاح التاريخ بقوله : « التاريخ هي مدة معلومة تعد من لدن أول سنة ماضية كان فيها مبعث نبي بآيات وبرهان ، أو قيام ملك مسلط عظيم الشأن ، أو هلاك أمة بطوفان عام مخرب ، أو زلزلة وخسف مبيد ، أو وباء مهلك ، أو قحط مستأصل ، أو انتقال دولة ، أو تبدل ملة ، أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية ، والعلامات المشهورة الأرضية التي لا تحدث إلا في دهور متطاولة وأزمنة متراخية ، تعرف بها الأوقات المحددة فلا غنى عنها في جميع الأحوال الدنياوية والدينية . ولكل واحدة من الأمم المتفرقة في الأقاليم تاريخ على حدة تعدها من الأزمنة ، أزمنة ملوكهم أو أنبيائهم أو دولهم أو سبب من الأسباب التي قدمت ذكرها ، ويستخرج بها ما يحتاج إليه في العائلات ومعرفة الأوقات وتفرد به دون غيره » .

كاترمير ص ٦٠ .

(١٤ - جامع التواريخ)

كثيرة من ممالك العالم برأيه الثاقب ، وتدييره الصائب ، وكمال كياسته ، وفرط سياسته ، وقع طائفة المفسدين الذين كان كل واحد منهم « فرعونا » في الطبيعة ، « ضحّاكاً »^(١) في السيرة ، ينادى من فرط غروره : « أنا ولا غيرى » ، فداسهم بأقدام بطشه ، وأسلمهم إلى الفناء ، وبذلك جعل العالم على وجه واحد ، والقلوب على رأى واحد ، ونظف بيضة المملكة ، وحوزة السلطنة ، من تصرف المتعلمين الجائرين ، وظلم المتعدين المتجبرين ، وأورثها أولاده المشهورين ، وأحفاده العظام ، وبإيعهم صعود الأفلاك على الدوام والاستمرار .

وكان من رسم الحكماء وعادة العلماء ، أنهم يؤرخون معظمت الوقائع خيرها وشرها في كل زمان ، حتى يعتبر بها أخلافهم وأعقابهم ، إن كانوا من أولى الأبصار ، ويعلموا أحوال القرون الماضية فتفيدهم في أدوار المستقبل . وبواسطة التاريخ كذلك يبقى ذكر الملوك المشهورين ، والأكاسرة المظفرين مؤيدين ومخلدا على صفحات الدهر ؛ لأن الوقائع والحوادث تندرس وتنطمس على مرور الشهور وامتداد الأعوام والدهور .

ص
٦٤

شعر :

« إن كمر الأعوام في دوراته ،

يمحو ما سطر من التاريخ »

(١) يشير بذلك إلى الضحّاك الذى يمثل فى الأساطير الفارسية الشخصية التى اجتمعت فيها كل أنواع الشرور ، والذى قضى على الملك جمشيد ، واستولى على ملكه ، وحكم إيران إلى أن تار غلبه الفرس ، وولوا بدله أفريدون بعد ثورة گاوه المشهورة .

والدليل على صدق هذا المعنى ، هو أنه قد توفر للسلطان محمود الغزنوي من الممالك العديدة العريضة ، والحشمة المستفيضة ، والنعم الوافرة ، والأموال التي لا حصر لها ، والخزائن الجمة ، والدفائن الكثيرة ، وأسباب السعادة والنعم في هذه الدنيا ، ما لم يتوفر لغيره من سلاطين إيران ، ومع هذا لم يبق بعده من هذه الأسباب والأموال ، غير الذكر الجميل الذي تبقى في نظم العنصرى ^(١) والفردوسى ^(٢) ، وفي كلام العتبى ^(٣) .

شعر :

ص
٦٦

- « إن آثار محمود الغزنوي وحسن سيرته ،

إنما بقيت في الدنيا مسجلة في الأشعار » .

ومن هنا صار معلوما أن أهل الأدب والمؤرخين ، هم أكبر وخير

الداعين للسلطين .

(١) هو أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى البلخى . نال شهرة كبيرة في عهد السلطان محمود الغزنوي حتى لقب بلقب ملك الشعراء . يعد العنصرى من أعظم شعراء القصائد في الأدب الفارسى . توفى في سنة ٤٣١ هـ .

(٢) هو أبو القاسم حسن بن اسحاق الفردوسى . ولد في المدة ما بين سنة ٣٢٣-٣٢٩ . ويقال إنه نظم الشاهنامه في حدود سنة ٣٧٠ وأتمها في سنة ٤٠٠ وقدنها باسم السلطان محمود الغزنوي . تعد الشاهنامه التي اشتملت على قصص الملوك والأمراء والأبطال الإيرانيين منذ أقدم العصور حتى الفتح العربى أمرا خالدا في اللغة الفارسية .

(٣) المقصود أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى الرازى (٣٥٠ - ٤٢٧) المؤرخ المعروف في العصر الغزنوي . ألف كتاب « اليمى » أو « سيرة اليمى » المشتمل على تاريخ سيكتكين وابنه محمود حتى وقائع سنة ٤١١ هـ .

وحيث إن الأقوام الموسومين باسم الترك ، مقامهم وسكنهم في البلاد البعيدة ، التي طولها وعرضها من ابتداء طرف ماء جيحون وسيحون ، إلى انتهاء حدود بلاد الشرق ، وانتهاء صحراء القيقاق إلى غاية نواحي جورجية ص ٦٨ وانحطاً ، وفي تلك المواضع هم يسكنون الجبال والوهاد والأجام ، ولم يعتادوا السكنى في القرى والمدن . وحيث إنهم كانوا بعيدين عن بلاد إيران ، فإنه لم يأت في تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مفصل . نعم قد ورد في بعض الكتب شيء يسير من ذكرهم ، ولكنهم لم يجدوا من أرباب الخبرة أحداً يحقق أخبارهم ، ويتناول آثامهم وحكاياتهم كما ينبغي بالشرح والتفصيل .

ومع أن الأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ، وأطلق عليهم في الأصل لقب واحد ؛ فإن المغول صنف من الأتراك ، وبينهم تفاوت واختلاف شاسع كما سيحى شرح كل ذلك في مواضعه . وهذا الاختلاف أيضاً إنما وقع بسبب ص ٧٠ أن تواريخهم لم تحقق في هذه الديار .

وحينما وصلت نوبة الخانية وملك العالم إلى جنكيزخان وأولاده العظام ، وخلفائه المشهورين ، وانقاد لهم أهل الممالك جميعها في الربع المسكون من بلاد الصين والماجين وانحطاً والهند والسند وما وراء النهر وتركستان والشام والروم والآس^(١) والروس والجرس والقيجاق والكلار والباشقر ، تلك الرقعة الممتدة على سبيل الإجمال من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب .

(١) الآس ويعرفون عند بعض الكتاب بالآلان والأوسيت . وتكتب الكلمة أحياناً بالصاد فيقال الآس .

وقد أورد بعض علماء العصر وأفاضل الدهر في سابق الأيام ، شيئاً عن
أحوال تسخير الممالك وفتح القلاع ، وتنفيذ أوامر چنګيزخان وأولاده ، ولكنه
كان خلاف الواقع ، وخلاف ما يعتقد أمراء المغول . ويرجع سبب ذلك إلى
عدم وقوف هؤلاء العلماء على كيفية الأمور والأحوال ، وقلة معرفتهم لعظائم
الوقائع وجلائل الحوادث لتلك الدولة .

ولكن وجد في خزائن أمراء المغول ، تاريخ صحيح يحوى أخبارهم عهداً
بعهد ، وهو مكتوب بالخط المغولى ، إلا أنه لم يكن مرتباً بل كان فصولاً
مبتورة حافظوا عليها ، وأخفوها عن أعين الأعيان والأخبار ، ولم يمكنوا كل
واحد من الاطلاع عليها حتى هذا الوقت الذى تشرف فيه تاج السلطنة وعرش
المملكة لبلاد إيران - اللذان كانا موضع غبطة جميع ملوك العالم - بوجود سلطان
الإسلام محمود غازان خان - خلد ملكه - فالتفت خاطره المبارك لفرط مازقه
من علو الهمة وبعد النظر - إلى ترتيب تلك الأجزاء وتدوينها ، وكلفنى أنا
عبد هذه الدولة الإيلخانية ، والمعتمض بعون العناية الربانية ، مؤلف هذا التاريخ
فضل الله بن أبى الخير الهمداني ، الملقب بالرشيد الطيب - أصحاب الله شانه ،
ووقاه عما شانه - أن أكتب تواريخ أصل المغول ، ونسب أسائر الأتراك الذين
يشبهون المغول ؛ وذلك فصلاً بعد فصل ، وأرتب تلك الروايات والحكايات
التي تتعلق بهم ، مما كان موجوداً في خزائنهم المعمورة ، وما وجدته عند بعض
الأمراء والمقربين إلى الحضرة .

وحتى هذا الوقت لم يكن أحد قد جمع هذه المعلومات ، ولا تيسرت له سعادة هذا التصنيف ، وشرف هذا التأليف . فكل مؤرخ كان يكتب شطرا من ذلك عن غير معرفة بحقيقة الحال ، بل سمعه من أفواه العوام ، ونقله على وجه وافق طبعه واقتضاه رأيه ، ولم يحققه ويتيقن صحته أحد .

س
٧٦٨
أما أنا فإنى أورد عرائس الأبتكار ، ونفائس الأفكار ، وأوثق الأخبار والآثار ، التى بقيت محجوبة فى أستار الكتمان حتى هذا الأوان ، وذلك بعد المبالغة فى تصحيحها وتنقيحها ، والدقة والإتقان فى ترتيبها وتدوينها ، بلفظ مهذب منسق ؛ فأجلوها بذلك لأعين النظار على منصة الإظهار .

وإن ما أجمله هذا الكتاب أو فصله مما لم يكن مذكورا فى غيره ، قد أستقيته من علماء الخطا وحكامهم ، ومن علماء الهند والأويفور والقفجاق وغيرهم من الأقوام والأعيان ، الممثلين لجميع الطوائف الذين كانوا يلازمون الحضرة الشريفة العالية ؛ خصوصا من خدمة الأمير الأعظم ، « والنويان » (١) المعظم ، قائد جيوش إيران وتوران ، مدبر ممالك العالم « بولادجينگسانگ » (٢)

(١) نويان أو نوبين كلمة مغولية معناها « رئيس تومان » أى رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف رجل (انظر كآرمير ، ص ٧٦) . وقال الفلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٣ : « أما الأمراء فقد ذكر فى مسالك الأبصار أنهم عندهم على أربع طبقات : أعلاها النوبين ، وهو أمير عشرة آلاف ، ويعبر عنه « بأمر تومان » . إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف . ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . »

(٢) بولادجينگسانگ رجل يتمتع بشهرة كبيرة لدى المغول . وكثيرا ما يرد ذكره فى كتاب رشيد الدين ، ويوصف بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول ، فلا غرو أن كان أحد المصادر الهامة التى اعتمد عليها رشيد الدين فى تأليف كتابه جامع التواريخ . =

ص ٧٨
دام معظما ؛ فهو الذى لم يوجد مثله فى بسيط الربع المسكون فى أنواع الفضائل المختلفة، وفى معرفة الأنساب لأقوام الأتراك وتواريخ أحوالهم ؛ خصوصا تاريخ المغول. واقتبست أيضا من كتب التواريخ الاصطلاحات المتعارف عليها، وذلك حتى يكون كتابى من أوله إلى آخره، مفهوما ومعلوما للخواص والعوام. وبذلك تبنى نوادر الأحوال ، وتضام معظمات الوقائع والحوادث التى حدثت فى عهد دولة المغول، فلا تنطمس بمرور الأيام ، ولا تندرس بامتداد الشهور والأعوام، ولا تبنى محجوبة فى ستار الاختفاء ؛ إذ أنه فى هذا العهد لم يكن كل شخص واقفا على تلك الأمور، وبمضى الزمن ينسى الشباب من أبناء الأمراء أسماء الآباء وأنساب الأجداد والأعمام والأخوال ، وينفلون عن مجريات الأحوال ووقوع الحوادث التى بعد بها العهد . وكيف يجوز لأولاد العطاء وأعقابهم من كل قوم ، ألا يكونوا مطلعين على مجارى أحوال الآباء، وذكر أنسابهم وأسمائهم لاسيا أولئك الذين خصهم الحق تعالى بأنواع العناية ، وجعل التوفيق حليفا لأغلب ما قاموا

= ويقرر مؤرخنا أن الأمير يولاد آفانتسب إلى قبيلة مغولية من « دوريان » ، وكان أبوه الذى يدعى « بوركى » يشتغل طاهيا (پاروجى) عند چنگيزخان ، وكان ملحقا بقصر « بورتاج قودجين » محظية چنگيز وتحت إمرته كتيبة مؤلفة من مائة رجل ، وهذه يدورها تؤلف فرقة من الكتيبة المكونة من ألف رجل (هزاره) الخاصة بالخان .
وكان يولاد ملحقا بخدمة الخان الأعظم « قوبيلاي ويجمع بين لقب چينكسانك ولقب پاروجى (أى طاه) ثم أرسل سفيرا إلى ليران من قبل قوبيلاي حيث أقام زمنا طويلا . وكان أميرا ذا صفات عالية ، كما كان يتمتع بشهرة لاحد لها . وقد وصل إلى بلاط المغول فى فارس فى بداية حكم أرغون خان ، وراه فى سنة ٧٠٢ من الهجرة يبلغ غازان خان حديثا طويلا مترنا عن ماهية السلوك السياسى . وقد مات فى سنة ٧١٢ فى مدينة أران .
(انظر كاتمير ، ص ٧٧) .

٨٠
به من أعمال عظيمة ، ووضع زمام الأمور الصعبة في قبضة أيديهم وطوع
أمرهم ، وجعل تحت سيطرتهم الممالك البعيدة والقريبة التي لم يكن ليقدّر عليها
في عهد من العهود الأخرى - الملوك الباطشون والسلاطين الجبابرة ، يضاف
إلى هذا أن أقوام هذه الممالك لم يسمع عنهم تواريخ متواترة ولا محققة ، ولم
تعرف علومهم وثقافتهم .

وحيث إنه قد أتاحت لأبناء چنگيزخان هذه الدولة وتلك السعادة ،
ولما كان العلماء والحكماء والمؤرخون ملازمين للحضرة العليا دائماً ، وصار
كشفت هذه المعاني ميسراً وسهلاً ، فكيف يجوز أن يبقى الحال على هذا
الوضع معطلاً ومهملاً ؛ فيذكر كل شخص رواية مجهولة ، ويكتب نكتة
فجة . وفي كل آونة لا يمكن أن يكون إحياء الذكرى الحسنة للأباء والأجداد ،
وتجديد ذكر أفعال الأسلاف وأعمالهم بغير سعى الأولاد المنتخبين ، والأحفاد
البررة الذين امتازوا واختصوا بالتأييد الرباني والتوفيق الإلهي .

شعر :

- بالابن يخلد اسم الأب ،

وتبقى أمنيتيه .

فما صدر الأمر المبارك - لازال نافذاً ومطاعاً - بأن أقوم بإتمام هذا
الأمر الهام ، لم أجد مفراً من الامتثال لأمره ، ووقفت كل جهودي وخاطري
وضميري على معرفة تواريخ النقول ، ورواياتهم وحكاياتهم ، وبذلت في هذا

السييل غاية السعي والاجتهاد . وبعد أن عكفت على مطالعة مضمون تلك
الأجزاء المبعثرة الموجودة في الخزانة ، قمت بتحقيقها وترتيبها وتبويبها ، وضممت
إليها كل ما سمعته بالتفصيل من حكماء الدولة الملازمين للحضرة ، ومن العلماء
والمؤرخين من كل صنف ، وذلك بعد فحصه وتحقيقه . ولكي تستطيع
الأفهام المختلفة إدراكه بسهولة ؛ فسوف أكتبه بعبارة واضحة فصلا فصلا إن
شاء الله تعالى حتى يقع موقع القبول من تلك الحضرة ، فيكون موجبا لإدراك
السعادة في الدنيا ، ونيل كل ما آمله وأتمناه ، والله المستعان .

تاريخ هولاغو خان

القسم الأول: (١) في ذكر نسبه . (٢) شرح وتفصيل أحوال نسائه وأبنائه وأحفاده حتى الوقت الذي تشعبوا فيه . (٣) أسماء أصهاره ، وصورته ، وجدول لشعب أبنائه . .

القسم الثاني: (١) في مقدمة جلوسه (٢) صورة تمثل العرش والنساء والأبناء والأحفاد وكذلك الأمراء أثناء جلوسه على عرش المغول (٣) الحكايات التي حدثت في عهده ، وذكر الحروب التي قام بها في كل وقت ، والفتوح التي تيسرت له .

القسم الثالث: في بيان سير أخلاقه الحميدة ، والنصائح والحكم والأمثال التي صرح بها ، والحكايات والحوادث التي وقعت في عهده ، مما لم يدخل في القسمين السابقين . وقد جمعت في أما كن متفرقة من كتب مختلفة ، وسمعت من كل صنف من الناس .

القسم الأول

من تاريخ هولاء كوخان

في ذكر نسبه وشرح وتفصيل نسائه وأبنائه وأحفاده
حتى الوقت الذي تشعبوا فيه وأسماء أصهاره
وصورته وجدول لشعب أبنائه

ذكر نسبه الرفيع

٨٦ هولا كوخان هو الابن الرابع لتولوى خان (الابن الرابع لچنگيزخان)، وأمه
هي سيورقويقي بيكي، ابنة جاكيمبو أخی أونك خان ملك أقوام «كرايت» .
وكان اسم جاكيمبو الحقيقي «كه بدای» . وعند ما نزل في ولاية تنكقوت،
٨٨ واحتل هناك منزلة سامية، أعطاه ملوك «تنكقوت» لقب «جاكيمبو» يعنى
الأمير المعظم والكبير في المملكة. ولما كانت الصداقة تقوم بين چنگيزخان
وبين أونك خان، وتربطهما الصلات الروحية التي توجدين الوالد وابنه، فقد
حلب أن يزوج ابنيه من ابنتي أخی أونك خان؛ فكانت بيكسوتمش لابنه
«چوچى»، وكانت سيورقويقي لابنه الآخر «تولوى خان». وقد أعقب
٩٠ منها تولوى خمسة أولاد وبناتاً واحدة، كما ذكر في تاريخه. وتزوج چنگيزخان
نفسه من ابنة أخرى لجاكيمبو اسمها «ابغه بيكى»، ولكنه ذات ليلة رأى
حلماً فوهبها على الفور «لكهتي نويان» .

شرح وتفصيل أحوال نساءه

كان لهولاغو خان نساء وسراري كثيرات ؛ منهن المشهورات اللائي وصلن إليه عن أبيه بحكم الياسا (القانون) ، أو اللائي تزوجن بنفسه . ونحن تفصل أسماءهن على هذا النحو :

امرأته العظمى « دوقوز خاتون » من الأصل العريق لقبيلة « كرايت » وهي ابنة ايقوبن اونك خان . ولما كانت زوجة أبيه ، فإنها كانت مفضلة على نساءه الأخريات ^(١) ، رغم أنه تزوج منهن قبلها ، ولم يتخذها زوجة له إلا بعد أن عبر نهر جيحون ، ولم يكن تولوى خان قد دخل بها . وكانت دوقوز خاتون تتمتع بمنزلة كبيرة ، كما كانت قوية الشخصية . ولما كانت من أقوام « كرايت » الذين كانوا مسيحيين في الأصل ؛ فإنها كانت تعمل دائما على موازنة المسيحيين . وفي عهدها قوى حال تلك الطائفة ، وكان هولاغو خان يرعاهم ويعزهم إرضاء لها . وقد بلغ بهم الأمر ، أنهم كانوا يقيمون الكنائس في جميع الممالك ، كما أقيمت كنيسة ضخمة (أوردو) ^(٢) دوقوز خاتون دفوا فيها النواقيس . وكانت وفاتها بعد وفاة

(١) كان من عادة المغول ولا سيما الأمراء ، أنه إذا مات أحدهم ، أصبحت زوجته ميراثا لابنه الأكبر الذي يصبح له عليهن سلطة مطلقة ، فيتزوج منهن من يشاء باستثناء أمه . ويترد منهن من يشاء ، أو يزوجهن من الآخرين (انظر كاترمير ، ص ٩٢) .
(٢) الكلمة بمعنى الخيمة أو القصر أو المعسكر .

هولانكو باربعة شهوز وأحد عشر يوما وقيل خلوس آباخان . وسياتى ذكر هذا التاريخ فى موضعه . وقد منح آباخان قصرها لبنت أخيه « توقيتى خاتون » ^(١) التى كانت محظية هولانكو خان ، وكان يتصل بذلك القصر ، ويحافظ على الرسوم والتقاليد ، على نحو فاسينجىء فى تاريخ آباخان . وقد توفيت فى يوم الاثنين الثانى من شهر « ايكندى » من سنة لو (التنين) ، للموافق آخر صفر سنة إحدى وتسعين وسمائة ، فأعطى قصرها إلى « كوكاجى خاتون » التى أحضرت من بلاط الخان . وكان يعظمها لأنها كانت تمت بصلة القربى إلى بولغان خاتون . وقد توفيت كوكاجى خاتون ، التى تزوجت من سلطان الإسلام غازان ، فى شهر شعبان سنة خمس وتسعين وسمائة ، فأعطى قصرها إلى « كرامون خاتون » ^(٢) ، التى توفيت أيضا نجاة فى مشى « هولان موران » على حدود « سراى حومه » ^(٣) ، فى يوم السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧٠٣ ، وقد تزوج الآن سلطان الإسلام عوضا عنها فتبلغ شاه خاتون ابنة

ص
٩٦

(١) هى بنت أخت دوغوز خاتون .

(٢) هى بنت قتلغ تيمور وزوجة غازان .

(٣) النهر الذى يسميه المغول بنهر هولان موران ، والمكان الذى يسمونه « سراى حومه » ، يشار إليهما مرارا عديدة فى كتاب مؤلفنا ؛ فنجده يتكلم عن « سراى حومه » ، و « ساكورلك » مع بعض ضواحي همدان . وفى مكان آخر يتكلم عن شواطئ نهر « هولان موران » . بعد ذلك تقرأ له أن سكان هولان موران سموها باسم « الجايتموق » ، وأن حصن « جوق » كان على بعد مرحلة من « سراى حومه » . وأخيرا نراه يتكلم عن سكان الجايتموق ويقيمون على شاطئ هولان موران . ويقول إنهم هم الذين سبق ذكرهم . ويبدو أن هذا المكان الذى لم أجد عنه أى تفاصيل أخرى ، غير بعيد من مدينة همدان . (كازمير ، ص ٩٦) .

ايرينجين بن ساروجه ، الذى كان ابن أخى دوقوز خاتون . ولا يزال هذا القصر قائماً .

زوجة أخرى لهولاگو ، هى « كويك خاتون » ، من أصل ملوك أقوام الأويرات ، وهى ابنة تورالجي كوركان ، وأمها ابنة چنگيز خان التى تدعى « چيجكان » .

وكانت أولجاي خاتون^(١) أيضا ابنة تورالجي ، ولكنها من أم أخرى . وكويك خاتون هى أول زوجة اتخذها هولاجو فى ولاية منغوليا . زوجة أخرى تزوجها هولاجو ، هى « قوتوى خاتون » ابنة^(٢) من أصل ملوك أقوام القنقرات ، تزوجها بعد أن توفيت كويك خاتون فى ولاية منغوليا ، ومنحها مخيمها . زوجة أخرى له هى أولجاي بنت « بورالجي كوركان » ، من أصل ملوك أقوام الأويرات ، وهذه تزوجها أيضا فى منغوليا . كذلك كان لهولاگو زوجة اسمها « سونجين خاتون » من قوم سلدوس ، وقد تزوجها أيضا فى ولاية منغوليا ، وكانت تقيم فى مخيم « قوتوى خاتون » ، وبقيت فى بلاد المغول إلى أن جاءت معه إلى إيران .

(١) المترجم : كانت زوجة لهولاگو أيضا وأما لابنه منكو تيمور ، وبعد وفاة هولاجو آلت إلى ابنه آبابا خان حسب عادة المغول التميمية (انظر جها نكشاي ، ج ٣ من من القسمة) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من المتن .

ذكر شعب أبنائه وأحفاده

ص
٩٨

كان لهولا گوخان أربعة عشر ولدا وسبع بنات ، نذكر أسماءهم مع شرح مختصر لأحوال كل منهم ، وإيراد أسماء أحفاده منذ انشعابهم حتى اليوم .
آباقاخان هو الابن الأكبر لهولا گوخان ، وأمّه « سونجین خاتون » كانت تقيم في منغوليا ، ثم قدمت مع أبيه إلى إيران . وكان آباقا مميزا على جملة إخوته الكبير منهم والصغير . وإذ ولي العهد ، وعين قائم مقام أبيه ، فقد أصبح وارثا للعرش والملک والرعية والجيش .

الابن الثاني لهولا گو هو « جومقور »^(١) . وأمّه گو یك خاتون ، وقد ولد في ولاية منغوليا بعد شهر من ولادة آباقاخان . وعندما شخص هولا گوخان إلى إيران ، ترك هذا الأمير الصغير مع حراسه في خدمة « منگو قاآن » ، كما أن الخيمات الأخرى التي كان قد أحضرها معه ، تركها في ولاية تركستان ، بالقرب من مدينة « المالیق »^(٢) . وحينما دب الخلاف بين « أریق بوکا » و« قویلائی قاآن » ، كان جومقور في معسكرات منگو قاآن ، كما كان هناك أيضا أریق بوکا ، بينما كان قویلائی بعيدا عنها ، فوجد جومقور ضرورة في أن يقف إلى جانب أریق بوکا . ولهذا السبب تحالف معه ، وحارب جيش قویلائی

ص
٩٩

(١) ذكر في « جهانگشا » جومغار أوغول . کاتمر میر ص ٩٨

(٢) تکتب أيضا « المالیق » ، مدينة كانت تقع بالقرب من مدينة کولجه الحالية ، على شاطئ نهر لیلی ، الذي یصب في بحيرة بالکاش ، الواقعة في ولاية تین چان بلو في الصين الغربية (للحصول على معلومات مفصلة ، انظر حواشی بلوشیه علی جامع التواریخ ص ٤١٠-٤١١) .

بعد ذلك أعلن أريق بوكا الحرب على آلعو وهزمه ، فتخلف عنه جو مقور معتذرا بمرضه في أطراف سمرقند ، لأن أباقاخان لم يكن راضيا عن موقفه العدائى من قويلاي ، فأرسل إليه رسالة يأمره فيها بالكف عن مناصرة أريق بوكا . ومن هناك انضم إلى « قوتوى » ، ثم توجه ليكون في خدمة أبيه ، ولكنه مات في الطريق كما سيأتى شرح هذا في موضعه . وكانت له زوجتان : أكبرهما « تولون خاتون » ابنة بوقاتيمور ، الذى كان أخا لكويك خاتون ، وثانيتها « جاورجى خاتون » الأخت الكبرى لبولغان خاتون الأميرة الكبيرة ، ولها ولدان بهذا الترتيب جوشكاب وكينكشو . وبعد موت جاورجى خاتون (١) ...

وكان لجو مقور بنتان أكبرهما « اورغوتاق » من تولون خاتون . وقد تزوجت من شادى كور كان بن سونجاق ، وأنجبت منه أولادا كثيرين ١٠٤ من بينهم ولد اسمه جيش وبنتان إحداهما كوجيشكاب التى تزوجت من ملك الإسلام (أولجايتوخان) - خلد ملكه - وثانيتها « طوقجاق » (٢) ولدت من محظية تدعى ايلقتاغ ، تزوجها السلطان أحمد عندما اعتلى العرش ، ووضع على رأسها طرحة (البُقْتاق) (٣) .

(١) هنا نقص في المتن الأصلي .

(٢) ذكر فيها بعد باسم طوقجاق .

(٣) يكتب هذا اللفظ المغول بعدة أشكال: بنتاق أو بوقتاق أو بوغتاق أو بجتاق ، وأتى

يعنى قلنسوة ترصع بالجواهر ، وتلبسها سيدات المغول العريقات . كاتر مير ص ١٠٢ .

الابن الثالث لهولا گو اسمه « يشموت » كانت أمه محظية من قصر
(أوردو) « قوتوى خاتون » ، اسمها « بوقاجين إيكجى » من الخطائين ،
وكان لها ثلاثة أولاد على هذا الترتيب الذى ثبته : سوکای وقرابوقای
ورينو . وقد توفى رينو على شاطئ جفانوقيل توقيتى خاتون بشهر واحد .
ص ۱۰۴
أما سوکای وقرابوقا فقد قتلا لعدم إخلاصهما .

والابن الرابع لهولا گو خان^(۱) هو « بيكين » ولد من « قوتوى
خاتون » . وقد أصيب بعلة استرخاء المثانة ، فقام الأطباء الحادقون بعلاجه مدة
طويلة ، فلم تنجح جهودهم ، وتوفى فى نهاية الأمر .

وبعد وفاة جو مقور ، تزوج من تولون خاتون ، وأعقب منها ولدا اسمه
« ساقى » ، كما أنجب منها بنتا اسمها أمينور .

ولما توفيت اورقوتاق ، تزوجوه من « شادى كوركان » . وبعد وفاة
هولا گو نفسه ، تزوجها ابنه « عرب » ، ولكنها ماتت قبله تاركة ولدا
اسمه (۲) .

الابن الخامس لهولا گو خان هو « طرغاي » ، وأمها من محظية هولا گو
« بورقجين » ، من مخيم قوتوى خاتون ، فى ولاية منغوليا . وفى الطريق إلى

(۱) فى النص الذى أخذ عنه كاترمير تولوى خان ، ولكن كاترمير صحح الاسم كما
ذكرنا . كاترمير ص ۱۰۵ .
(۲) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

إيران، أصابته صاعقة سببت وفاته، بينما وصل إلى إيران أفراد معسكره مع قوتوى. وكان لطرغاي ابن اسمه بايدو، حكم عدة أشهر بعد كيشخاتوخان. وسوف نذكر صورة هذه الواقعة، كما نذكر الأحداث الأخرى المتعلقة بهذا الأمير في موضعها. وكان لبایدو هذا ابن اسمه قیچاق، قتل مع والده. وأما والدة بایدو فاسمها قراجين. وقد أعقب طرغاي أيضا ابنة اسمها « ايشيل »، تزوجت من توقيتيمور ابن عبد الله آقا. وبعد وفاته تزوجت من أخيه، وهي تعيش حتى الآن. الابن السادس لهولا كوخان هو « توسين »^(١)، ولد من « بوقاجين » والدة يشموت، وكان له ابن اسمه « ساني ».

الابن السابع لهولا كوخان هو أحمد، وأمه « قوتوى خاتون »^(٢)، وكان اسمه في بادئ الأمر « تاكودار ». وقد تولى العرش بعد آباخان، وفي تاريخه سوف يبيح ذكر أبنائه.

الابن الثامن لهولا كوخان هو « أجاي »، وكانت أمه محظية اسمها « أريقاق ايكاجي » ابنة « تنكر كوركان »، وكانت في مخيم « قوتوى خاتون ». ولما جاء هولاء إلى إيران، عينها رئيسة لخجياته. وقد توفيت بعد هولاء نحو عشرة أيام، وكان لها ابن اسمه « إيلدر »، قتل في أوائل عهد سلطان الإسلام غازان خان على حدود بلاد الروم.

(١) ذكر هذا الاسم في مير خوند « روضة الصفا » : تيشين أغول . كاترمير ص ١٠٦
(٢) في روضة الصفا : تولى خاتون ، ثم بعدهذا يذكر : قولى خاتون . كاترمير ص ١٠٦ -

الابن التاسع لهولاگو خان هو «قوتقرتای»^(١) كانت أمه محظية خطائية،
اسمها «أجوجه إيكاجى»، من قصر «قوتوى خاتون». وبعد مدة طويلة،
وضعت الطرحة (البوقتاى) على رأسها. وقد طعنت فى السن، وماتت منذ
مدة قصيرة. وكان «لقوتقرتای» هذا ستة أولاد على هذا الترتيب:

١ - ايساتيمور أو (ايش تيمور)^(٢) ٢ - ايلداى أو (ايلدر)

٣ - جريك تيمور ٤ - گراى

٥ - طاشتيمور ٦ - ايشيغ تيمور أو (ايشق تيمور).

وكان «ايساتيمور» يدعى أيضا «خر بنده»، وكانت ولادته فى نفس
الليلة التى ولد فيها «ايلداى». وقد قتل الاثنان فى عهد سلطان الإسلام
غازان؛ بسبب ما كان فى قلوبهما من غل. وأما الأولاد الآخرون گراى
وجريك تيمور وغيرهما، فقد ماتوا فى عهد الطفولة.

الابن العاشر لهولاگو خان هو يسودار، وكانت أمه محظية من نخيم
«قوتوى خاتون»، اسمها «هسيجين» أخت أقرابيكى من قبيلة «گورلوت».
وكانت لها ابنة زوجت من ايسين بوقا كوركان بن بوقاى يارغوجى^(٣).
وبعد وفاة قرينها بسنة وشهرين أنجبت ولدا سمي «جيش» ونسب
إلى يسودار.

(١) ذكر ميرخوند اسم هذا الأمير هكذا: قوتقورباي، قوتقورباي. وفي كتب أخرى
ذكر الاسم: قفرداى وقونكفرداى. كاترمير ص ١٠٧.
(٢) فى روضة الصفا: ايتيمور. كاترمير ص ١٠٧.
(٣) يارغو ويرغو كلمة متولبة بمعنى العدل والقانون، ويارغوجى بمعنى القاضى.

الابن الحادى عشر لهولاكو خان هو منىكو تيمور ، ولد من أولجى خاتون ، وكان له ثلاثة أولاد على هذا الترتيب الذى نذكره : (١) انبأرجى وله ولدان غير شقيقين وهما ايسن تيمور وقويجى . (٢) طانجو وله ابن واحد يدعى (١) قتل فى عهد غازان بسبب تمرده وعصيانه . (٣) گراى وله ولد واحد أيضا اسمه (٢) وقد مات طفلا ، بينما توفى گراى نفسه فى عهد گيخاتو . وأما بنات منىكو تيمور فقد كن كثيرات ، كبراهن الأميرة « گوردجين » أو (كردون جين) ، التى كانت فى بادىء الأمر زوجة لسلطال كرمان جلال الدين « سيور غايمش » . فلما توفى زوجته من الأمير ساتاليش بن بورالتى . ومن بعده أعطيت لابن عمه طغاي .

وكان لمنىكو تيمور ابنة أخرى اسمها (بيان آغا) ، زوجت من الأمير سوتاي أو (موسوتاي) الاختاجى (٣) ، وابنة ثانية اسمها قتلوق ، زوجت من طرقاتى كوركان ، فلما توفى أعطيت لطلوداى ايداجى . وكانت زوجة منىكو تيمور المفضلة ، هى ايش خاتون بنت الأتابك سعد بن أبى بكر ، أتابك فارس وابنة أخت الأتابك شاه يزد .

والابن الثانى عشر لهولاكو خان هو « هولاجو » (٤) ، وكانت أمه محظية

(١) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

(٢) هذا الاسم ساقط من نسخة الأصل .

(٣) اختاجى واختاجى كلمة مغولية بمعنى راعى الخيل والقائم على الإسطبل . (انظر تاريخ وصال ، ص ٦٥٩) . واخته بمعنى الحصان .

(٤) كان هولاجو يتمتع بمنزلة كبيرة لدى المغول . وقد رفض أن يلى عرش المغول فى ايران عندما عرض عليه عقب وفاة آبا قخان (انظر كاترمين ص ١١٠) .

من قصر توقوز خاتون ، اسمها « إيل إيكاجى » من قبيلة قنقرات ^(١) ، وقد أعقب منها ولدين : (١) سليمان وقد قتل بعد والده (٢) كوچك وقد توفى على أثر مرضه .

الابن الثالث عشر لهولاگو خان هو سياوجى (أوشينادجى) ؛ وأمه « إيل إيكاجى » التى كانت أما لهولاجو أيضا . وقد مات سياوجى قبل وفاة أبيه بقليل ، فى نفس الشتاء الذى توفى فيه أبوه .

الابن الرابع عشر لهولاگو خان هو طغاي تيمور ، كانت أمه محظية من قصر قوتوى خاتون ومن قبيلة ^(٢) ، وكان له ولدان هما « قورمشى » و « حاجى » .

والآن بعد أن فرغنا من ذكر أسماء وأنساب أولاد وأحفاد هولاجو خان الذين عرفنا بهم ، وتبعنا أحوالهم بالشرح والتفصيل ؛ نشرع فى ذكر بناته وأصهاره بنفس الطريقة من الشرح والتفصيل ؛ ونسجلهم بالترتيب :
أما بناته فقد كن سبعا بهذا التفصيل :

الأولى « بولوقان آقا » ، وأمها « كويك خاتون » ، زوجت من « جومه كوركان » بن جوجى ، وهو من التتار ، كما أنه أخو بوقدان خاتون والدة گيخاتوخان ، وزوجة آباقا خان الكبرى . وقد جاء جوجى مع هولاجو خان

(١) لإحدى القبائل المغولية (انظر جامع التواريخ) ، نشر برزين ، ج ١ ص ١٩٥ .
(٢) كلمة ساقطة من المتن .

إلى هذه البلاد، وهو ابن^(١) كوركان، وقد تزوج من ابنة أونجي نويان،
أخى چنگيز خان، وتدعى جيجكان، وكانت أما لمجمه كوركان.

البت الثانية لهولا گو خان هي «حجي» وأما أولجاي خاتون.
ولما توفيت أختها بولوقان آقا، زوجت من جمه كوركان.

البت الثالثة اسمها منكوكان، ولدت من أولجاي خاتون، وتزوجت أولا
من جاقو كوركان، ثم من توقاتيمور الذي كان من قوم أويرات^(٢). وقد جاء
توقاتيمور هذا مع هولا گو خان إلى إيران، وكان أخا لأولجاي خاتون، وأمه
هي أم كويك خاتون؛ يعني جيجكان (بنت چنگيز خان). وكان «طوقى»
ابن جاقو كوركان صهرا لمنكو تيمور، وهو الذي هرب ولجأ إلى الشام.

والبت الرابعة هي تودا كاج^(٣)، كانت أمها محظية من مخيم «توقوز
خاتون»، وتسمى....^(٤)، وقد زوجت من «تنگر كوركان». من قوم
أويرات، وكان من قبل زوجها لابنة «كويك خاتون» التي تسمى....
ولما مات «تنگر كوركان» تزوجها ابن سولامش. أما الآن فقد تزوجها
حفيد تنگر المسمى جيجك كوركان.

البت الخامسة هي «طرّقاي». وأما «بغان إيكاجي»، وزوجت

(١) حسب قراءة كاترمير، ص ١١١.

(٢) لإحدى القبائل الفولية (انظر جامع التواريخ، نشر برزين، ج ١ ص ١٠٠).

(٣) يكتب هذا الاسم أيضا «بود كاج» و «بود وكاج».

(٤) هذه الكلمة ساقطة من المتن الأصلي.

عن « موسى كوركان » من قوم قنقرات ، وهو ابن بنت چنگيز خان وابن . . . (١) ، وكان يدعى بقا تيمور . وقد أطلق عليه عالم من مؤيديه اسم « موسى » . وهو أخو « ميرتي خانون » (٢) .

والبنت السادسة هي « قوتلقان » أو « قتلوقان » ، وأمها منسكليكاج إيكاجي ، وزوجت من « أيسوبوقا كوركان » بن أوقوتو نويان من قوم « دوربان » . ولما توفى قرينها تزوجها ابنه توكل .

والبنت السابعة « بابا » ، وأمها أولجاي خانون ، وقد زوجت من لكزي كوركان ابن الأمير أرغون آقا من قوم أويرات . وبأمر منغو قاآن ، قدم أرغون آقا مع هولاء كوركان إلى إيران ، بسمه كاتب (يتسكجي) .

هذه الإحصائية التي ذكرتها لساء هولاء كوركان وأولاده وبناته وأصهاره ،
١١٤ قد تدعو الضرورة إلى أن أضيف إليها حكايات أخرى عن بعضهم ، فتكون
الفرصة ملائمة للتحديث عنهم بالتفصيل . ولكن إجمال ذلك قد تحقق ، وفق
المنهج الذي سرت عليه . وسأحاول جريا على هذه الخطة - أن أعمل جدولاً لشعب
الأبناء المذكورين وذلك باستثناء الذين حكموا منهم ، فهؤلاء سأتناولهم على حدة .

(١) هذا الاسم ساقط من المتن .

(٢) تزوجت هذه الأميرة من آبا قاخان .

القسم الثاني
من تاريخ هولاندا

يشتمل على :

- (١) - مقدمة جلوسه
- (٢) - صورة عرشه والأميرات والنبلاء والأسراء وأبنائه وأحفاده وقت جلوسه على العرش .
- (٣) - تاريخه وحكاياته - حروبه التي قام بها في الأوقات المختلفة - الفتوحات التي تيسرت له .

مقدمة جلوسه على العرش

لما كان منقوفاً آن في موضع قراقورم وكلوران ، التي كانت المقر الأصلي
لجنينجيز خان وعاصمة له ، جلس على العرش بعد اجتماع سائر النبلاء والأمراء ،
وبواقفة الجمهور . وبعد أن فرغ من نظر المظالم ، وجه عنايته إلى ضبط مصالح
الممالك وترتيبها ، وأرسل الجيوش إلى الأطراف والحدود . وكان قد قدم إليه
من الأماكن البعيدة والقريبة ، عدد كبير من أرباب الحاجات ، والراغبين في
شغل مهام الأمور من الأتراك والفرس ، واجتمعوا في بلاطه . وقد سمح

ص ١١٣

ص ١١٤

لهؤلاء جميعا بالانصراف ، بعد إنجاح مآربهم وتلبية مطالبهم ، كما هو مذکور في تاريخه .

بعد ذلك أرسل قائده بايجونويان من قبيلة (١) ، على رأس جيش جرار ، للمحافظة على إيران . فلما بلغها أرسل رسولا إلى منگوقاآن ، يشكو إليه الملاحدة وخليفة بغداد . وفي ذلك الوقت كان قاضى القضاة المرحوم شمس الدين القزوينى (٢) موجوداً في بلاط الخان . وذات يوم ظهر للخان مرتديا الزرد ، وأخبره أنه يلبسه تحت ثيابه خشية الملاحدة ، كما سرد له طرفا من اعتداءاتهم وغاراتهم . وكان الخان يتوسم في أخيه هولانگوخان مخايلن الملك ، ويرى في عزائمهم مراسم الفتح والغزو . وكان قد تفكر ؛ فرأى أن بعض ممالك العالم قد دخل فعلا في حوزة چنگيزخان ، وبعضها لم يستخلص بعد ، وأن رقعة العالم فسيحة لاحد لها ؛ فاستقر رأيه على أن يعهد بكل طرف من المملكة ، إلى واحد من إخوته ، ليخضعها تماما لإرادته ، وليقوم بالمحافظة عليها ، بينما جلس هو هادئا منظرأ ، وسط دولته حيث المقر القديم للمغول ، وصار يمشى

(١) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الأصل .

(٢) يذكر الجوزجاني (انظر طبقات فاصرى ، ص ٤١٣ - ٤١٤) . أن شمس الدين هذا كان على اتصال بالمغول ، وكان إماما عالما كبيرا . ذهب مرة إلى منگوخان ، وطلب منه أن يضع حداً لفسر الملاحدة ، ويخلص الناس من فسادهم . وفي أثناء حديثه وبينما كان مندفعاً بحماسة السلم المتدين ، صدرت منه كلمات جافة أغضبت منگوخان ، وكان لها أثر عميق في نفسه إذ نسب إليه الضعف والعجز ؛ لأنه لم يستطع أن يتأصل شأفة هذه الطائفة التي تدين بدين يخالف ديانات المسيحيين والمسلمين والمغول ؛ وما ذلك إلا لأنهم استطاعوا أن يغروا منگوخان بالمال ، بينما هم يتحينون فرصة ضعف دولته ، فيخرجون من الجبال والقلاع ، ليقضوا على البقية الباقية من المسلمين ويقفوا آثارهم .

وقته في سعادة ورفاهية ، و يقيم مراسم العدل . وقد استخلص بلاد الأعداء
القرييين بجيشه المقيم حول العاصمة .

ثم إنه بعد أن أعمل فكره ، فوض إلى أخيه « قوبيلاي قآن » ، إخضاع
ممالك الخطا والماجين وقراجانگ وتنكقوت والتبت وجورجه وسولنقا
وكولى ، وبعض أجزاء من الهند المتصلة بالخطا والماجين . وكلف أخاه
هولا گوخان ، بفتح غرب إيران والشام ومصر و بلاد الروم والأرمن . وأمر
بأن يقود كل منهما جيشه ، ويكون موقعه القاب بين ميمنته وميسرته .

وبعد جلسة عظيمة لمجلس البلاط (قوريلتاي)^(١) ، أمر منگوخان أخاه
قوبيلاي قآن ، بالمسير إلى حدود الخطا المذكورة ، ورتب له الجيوش اللازمة .

وأرسل هولا گوخان إلى إيران ، والممالك السالفة الذكر ، بعد موافقة جميع
الأمراء . ثم أصدر أمره بأن تسير الجيوش ، التي كانت من قبل قد أرسلت
إلى تما ، إلى إيران بقيادة « بايجو » « وجرماغون » لتحتلها ، وأمر تلك التي
كانت في تما ، بالمسير إلى كشمير والهند بقيادة « طير بهادر » ، وأن تكون تابعة
لهولا گوخان . ولما توفي « داير نويان » ، تولى قيادة جيشه . .^(٢) ثم عهد به
بعد ذلك إلى « سالى نويان » ، من قوم التتار ، وهو الذى استولى على ولاية
كشمير ، وأسر عدة آلاف من أهلها . أما الآن فجميع هذه القوات التي كانت

(١) القوريلتاي في الاصطلاح المغول عبارة عن مجلس عظيم حافل يضم جميع الأمراء
وأركان الدولة ، وينعقد عند تنصيب أحد أعضاء الأسرة المالكة ليمراطورا أعظم على
جميع المغول .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من المتن الأصلي .

تحت قيادة « سالى نويان » ، قد آلت حينها وجدت بحق الإرث ، إلى أملاك سلطان الإسلام الخاصة . وبعد أن فرغ منسكو قآن من أمر الجيوش سالفة الذكر ، قرر أن يُختار اثنان من كل عشرة رجال ، لا يأتى دورهما فى العدد من جنود چنگيزخان ، الذين قسموا بين أبنائه وإخوته وأبناء إخوته ، ويعطوا لهولاگو ، ليكونوا بمثابة حرس خاص له ، ولكى يرافقه فى حملته على إيران ^ص ١٣٢ ويلازموه هناك . كذلك صحب هولاگوخان أبنائه وأقاربه وعبيده ، ولهذا كان يوجد فى هذا الإقليم ، أمراء منحدرين من نسل كل أمير من أبناء چنگيزخان ، وكان ينصب كل منهم فى المنصب الذى آل إليه بالوراثة . ولما أتم هذا التنصيب ، أرسل منسكو الرسل إلى بلاد الخطا ، ليحضروا ألف أسرة من المدربين على استعمال أدوات القتال ؛ من الحنايق وزرقات النقط ورمات السهام . وقبل قيام الجيش بمهمته ، أرسل المرشدين فاختبروا الطريق الذى سوف يمر منه عساكر هولاگوخان ، من قرار فورم حتى شاطىء جيحون ، ^ص ١٣٤ واعتبروا جميع المزارع والمراعى مناطق محرمة ، وأقاموا الجسور على الأنهار العميقة ، وعلى مجارى المياه السريعة . وأمر كذلك بأن يتحرك بايجونويان ، ^ص ١٣٦ والجيوش التى كانت قد وصلت من قبل مع جورماغون - إلى ناحية الروم ، وأعد تموين الجيش من جميع أنحاء الدولة ؛ فخص كل جندى مائة من (نغار) ، ^ص ١٣٨ من الدقيق ، وقربة من النبيذ . بعد ذلك سار النبلاء والأمراء الذين وقع الاختيار عليهم ، على رأس قواتهم المسكونة من فرق ، يبلغ بعضها الآلاف ، بعضها المئات . وأرسل فى المقدمة كيتوبوقه نويان ، من قوم نايمان ، وهو الذى

كان يتولى نظارة الخاصة (باورجى) ، وذلك بمثابة استطلاع (يزك) ، مع قوة تعدادها اثنا عشر ألف رجل . وأقبل هذا القائد مستعدا للهجوم . وحينما وصل إلى خراسان ، مترقبا وصول الرايات الهمايونيه ، صرف وقته فى فتح ولايات قهستان . وحينما تم إعداد الطريق لحملة هولانجوخان ، أقام هذا الأمير ولائم فاخرة فى معسكراته حسب المعتاد ، وللوداع قبل الرحيل . وكان يرافقه أخوه الأصغر « أريق بوكا » والأمراء الآخرون .

ص ١٤٠
وفى الربيع أقام له أمراء المغول مثل هذه الحفلات ، وجعلوها حافلة بالفرح والسرور ، وبكل أنواع اللذات .

ثم تقدم منكوقا آن مندفا بعاطفة الأخوة لهولانجوكو ، ونصحه قائلاً :
« إنك الآن على رأس جيش كبير ، وقوات لاحصر لها؛ فينبغى أن تسير من توران إلى إيران » .

شعر :

« سر من توران إلى إيران مظفرا ،

واعل باسمك إلى الشمس الساطعة »

« وحافظ على تقاليد چنگيزخان وقوانينه ، فى الكليات والجزئيات ،

وخص كل من يطبع أوامرک ويحتب نواهيک ، فى الرقة الممتدة من جيحون . ص ١٤٢

حتى أقاصى بلاد مصر - بلطفك و بأنواع عطفك وإنعامك . أما من يعصيك؛ فأغرقه فى الذلة والمهانة مع نساءه وأبنائه وأقاربه ، وكل ما يتعلق به . وابدأ بإقليم

قهبستان في خراسان ، فخرّب القلاع والحصون .

شعر :

« اجعل كِرْد كوه وقلعة لنبه سر^(١) ،
بحيث يلدون رأسهما إلى أسفل وجسدها إلى أعلى ،
- ولا تبق في الدنيا قلعة قط ،
ولا كومة واحدة من التراب »

« فإذا فرغت من هذه المهمة ، فتوجه إلى العراق ، وأزل من طريقك اللور والأكراد ، الذين يقطعون الطرق على سالكيها . وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة ، فلا تتعرض له مطلقا . أما إذا تكبر وعصى ، فألقه بالآخرين من الهالكين . كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور ، العقل الحكيم والرأي السديد ، وأن تكون في جميع الأحوال يقظا عاقلا ، وأن تخفف على الرعية التكاليف والمؤن ، وأن ترفه عنهم . وأما الولايات الخربة ، فعليك أن تعيد تعميرها في الحال . وثق أنك بقوة الله العظيم ، سوف تفتح ممالك الأعداء ، حتى يصير لك فيها مصايف ومشائى عديدة . وشاور دوقوز خاتون في جميع القضايا والشئون » .

وكان منگوقاآن يعرف جيدا أن هولاء كوخان ، يستطيع بجيشه الذي

(١) كان لطائفة الإسماعيلية قلاع حصينة تبلغ الحسين ؛ أشهرها ، وأمنها ثلاثة : ألبوت وميمون دز ولته سر (انظر حمدالله القزويني : نزهة القلوب ، ص ٦١) . .

أمر عليه أن يكون دائماً ملكاً مسيطراً ومنتكناً في ممالك إيران ، وأن هذا الملك سوف يثبت بحالة وطيدة مستقرة لهولا كوخان وأسرته المشهورة ، ولكنه مع هذا وصاه في الظاهر ، بأن يعود إلى مقره الأصلي حينما يفرغ من إنجاز مهمته .

وبعد أن قدم من كوخان نصحته ووضاياه ، أرسل إلى هولا كوخان ونسائه وأبنائه - هدايا وفيرة من الذهب والثياب والدواب ، لكل منهم على حدة ، وتعطف على جميع النبلاء والأمراء ، الذين عزموا على الرحيل مع هولا كوخان ، وأنعم عليهم . وقد اختار من كوخان أخاه الأصغر « سننای أوغول » من بين الأمراء ، ليكون في صحبة هولا كوخان . وفي آخر سنة الثور (هو كور بيل) ؛ الواقعة في شهر ذي الحجة سنة خمسين وستائة ، قصد هولا كوخان معسكره . وفي خريف سنة الفهد ؛ المقابل لشهر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ، غادر هولا كوخان ثكناته بناء على أمر أخيه ، وتوجه بجيشه الجرار قاصداً تلك الديار . وقد أعد أمراء الأطراف المأكل والمشرب^(١) في جميع المراحل ، وحرصوا على أن يتظفوا الطرق التي تقرر أن يمر منها الجيش - من الحجارة والأشواك ، كما أعدوا السفن لعبور الأنهار الكبيرة . وكان النبلاء والأمراء في تلك النواحي ، قد جهزوا الجيوش التي سوف تصحب هولا كوخان إلى ممالك إيران . وهكذا صار كل منهم مشغولاً بترتيب الجيش وإعداده . وسوف نذكر أسماءهم بالتفصيل .

(١) اللفظ المغولي : ترغو أو ترغو وهو المأكل والمشرب كاترمير ١٤٤ - ١٤٥ .

وأخيرا سار هولا گو خان مصطحبا معه زوجته الكبيرتين : « دوقوز خاتون » و « أولجای خاتون » ، وكذلك أبناءه العظام آباقا ويشمون ، وصاروا يقطعون المراحل والمنازل . وحينما وصلوا إلى حدود آمالیغ ، جاءت « اورغنه خاتون » لاستقباله ، وأقامت عدة ولائم متتالية ، وقدمت هدايا لاقئة .
٦٤٨
ولما غادرت الرايات المباركة هذا المكان ، بادر الأمير مسعود بيك ، صاحب تركستان وما وراء النهر ، وأمراء الأطراف ، بتقديم فروض الطاعة . وفي سنة اثنتين وخمسين وستائة ، أقام الجند معسكراتهم الصيفية في تلك الجهات .
وفي شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وستائة ، نزل هولا گو في سمرقند بمرعى « كان كل » ، وهناك أقام له مسعود بيك خيمة منسوجة بالذهب ، حيث أمضى ما يقرب من أربعين يوما وهو منصرف للشراب . وفي خلال تلك الأيام شاء القدر القاسى أن يموت الأمير « سوتاي » . وفي تلك الفترة أيضا كان الملك شمس الدين كرت ، أسرع من سائر ملوك إيران ، إلى شرف استقبال هولا گو ؛ فخصه بأنواع عطفه وإنعامه . وقد رحل هولا گو من هناك ، ولم يتوقف إلا عند حدود « كيش »^(١) ؛ حيث وصل الأمير أرغون مع كافة الأكابر والأعيان والصدور في خراسان ، وقدموا خضوعهم وهداياهم . وفي كيش أقام
٦٥٠
هولا گو مدة شهر ، ثم أرسل عدة رسائل إلى الملوك والسلاطين في إيران ، تشتمل على تلك العبارات :

(١) تقع في الجنوب الغربي من سمرقند .

« بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة . فإذا أسرعتم وساهتمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات ، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم ، وستحمد لكم مواقفكم . أما إذا تهاوتم في امتثال الأوامر وأهملتم ؛ فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة ؛ فإننا لا نقبل عذرکم ، وتوجه إليكم فيجرى على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم . »

وقد اختار هولاءكو خان لتنفيذ هذه المهمة، رسلا سر يعي السير . فلما شاع خبر وصول رايات الغازي في الأطراف، أسرع السلاطين والملوك في كل مملكة من ممالك إيران ، إلى التوجه إلى هولاءكو لتقديم فروض الطاعة . وأقبل من بلاد الروم السلطانان عز الدين وركن الدين ، ومن فارس سعد ابن الأتابك مظفر الدين ، ومن العراق وخراسان وأذربيجان وأران وشروان وجورجيا ، الملوك والصدور والأعيان ، وكانوا جميعا يحملون الهدايا اللاتقة إلى الحضرة الشريفة .
١٥٢
بعد ذلك صدر الأمر بتوقف جميع السفن وزوارق الملاحين ، وإقامة جسر . وعلى أثر ذلك ، شرعت القوات في عبور جيحون . وفي غرة ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وستائة ، عبر هولاءكو النهر بجيشه للظفر . ثم أنعم على أولئك الذين قدموا له خدمات ، ومنح الملاحين الضريبة التي كانت تؤخذ على السفن ، وألغى هذا الرسم . ولما عبر النهر كان يتجول على شاطئه ، بقصد التفرج والمشاهدة . ونجأة ظهر من بين الغابة كثير من الأسود ، فأمر هولاءكو فرسانه
١٥٤

جآن تُضربوا حلقة حول هذه الحيوانات . ولما كانت الخيول تحشى الأسود؛ فقد ركب الفرسان الإبل البختية السكرى ، واصطادوا أسدين . وفي اليوم التالى استأنف الرحيل ونزل فى مرعى « شبورقان » (١) . وقد عقد العزم على ألا يقيم هناك طويلا . وكان ذلك فى يوم عيد الأضحى حينما أخذ البرد يسقط من السماء فجأة ، وبدأ الثلج ينزل كذلك . واستمر المطر ينزل سبعة أيام متوالية ، وهلك كثير من الحيوانات بسبب برودة الجو . وقد أمضى هولاء فى خان الشتاء فى ذلك المكان ، وكان دائم الاشتغال باللهو والطرب والاستمتاع . وفى الربيع أعد « أرغون آقا » سرادقا للاستقبال مثبتا بألف مسمار ، ومنسوجا بخيوط الذهب ، وخيمة عالية ، مشتملة على كافة المرافق المناسبة ليلاط هذا السلطان العظيم ، وذلك بحيث يسهل نقلهما وتحويلهما ، وألحقت بهما قاعة للاستقبال ، كانت مزودة بالأواني الذهبية والفضية ، ومرصعة بالجواهر النفيسة . وفى يوم تمت فيه أسباب السعادة ، أعدت الخيمة وزينت قاعة المجلس بكل أنواع الزينة ؛ فأعجب هولاء فى خان بذلك المنظر . وفى هذه الظروف المباركة ذات الطالع الأغر ، جلس على عرش السعادة ومسند التوفيق . وكان يحضر هذا الاجتماع الخواتين والنبلاء والأمراء وجميع أركان الدولة وأعيان الحضرة وملوك

(١) شَبْرُقَان أو شَبُورْقَان أو شَفْرُقَان من توابع ولاية جوزجان وهى بلدة صغيرة قرب بلخ ، بينهما يومان . كانت فى سنة ٦١٧ عامرة يقصدها التجار ويبيعون فيها الأمتعة الكثيرة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١٢ ص ٣٥٣ ، طبع بيروت ١٩٥٧ ؛ حمد الله القزوينى : زهرة القلوب ، ص ١٥٥ .

الأطراف وحكامها ، فأدوا جميع المراسم والآيين . ولما انتهى الحفل عاد الأمير أرغون بناء على أمر هولانغو إلى بلاط الخاقان (قآن) ، وترك في بلاط هولانغو خان ابنه « گراى ملك » وأحمد البيتكچى^(١) ، والصاحب . علاء الدين عطا ملك^(٢) ، وهم الذين عينوا لتدبير الأمور في ممالك إيران .

(١) يتكچى كلمة مغولية بمعنى كاتب ومحرر .

(٢) عطا ملك الجوينى بن بهاء الدين محمد ولد عام ٦٢٣ هـ والتحق بخدمة المغول منذ الصغر ، وصار من عمال الديوان للأمير أرغون حاكم إيران من قبل المغول . وعندما قدم هولانغو إلى إيران ، التحق عطا ملك بخدمته وصحبه في حادثة فتح بغداد ، ثم ولى حاكماً على العراق في عهد هولانغو وابنه آباخان إلى أن توفي في سنة ٦٨١ .

ألف عطا ملك باللغة الفارسية كتابه « تاريخ جهانگشای » أى (تاريخ فاتح العالم) . والمراد به چنگيزخان . ويعد أحد الكتب الهامة التي ألفت في العصر المغولى الأول . انظر شرح أحوال الجوينى وقيمة كتابه ، في المقدمة القيمة التي كتبها محمد بن عبدالوهاب القزوينى . تاريخ جهانگشای ، ج ١ ، ليدن (١٩١١) .

ذهاب كيتوبوقا نويان في طليمة جيش هولانكوخان

إلى قلاع الملاحدة ، ومحاولته الاستيلاء

عليها ، وقتل علاء الدين ، وجلس

خورشاه مكان أبيه

في شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وستائة ترك كيتوبوقا نويان بلاط

منگوقاآن ، وذهب في مقدمة جيش هولانكوخان قاصدا بلاد الملاحدة . وفي

أوائل شهر المحرم سنة إحدى وخمسين عبر جيحون ، وشرع في الهجوم على

ولاية قهستان ، واستولى على بعض أجزائها . ثم سار على رأس خمسة آلاف فارس

وخمسة آلاف من الرجالة إلى أسفل قلعة « گرده كوه » ، وذلك في شهر ربيع

الأول سنة إحدى وخمسين وستائة ؛ فأمر أتباعه بحفر خندق حول القلعة ،

أحاطوه بسور محكم ، وعسكر الجيش خلفه . وحول الجيش حفروا خندقا

آخر عميقا جدا ، كما أقاموا سورا مرتفعا للغاية حتى يبقى الجيش سليما

بينهما ، وحتى لا يستطيع أحد من الجانبين التردد . ثم ترك كيتوبوقا القائد

« بوری » هناك ، بينهما ذهب هو إلى قلعة « مِهْرين » وحاصرها ، ونصب

عليها المجانيق . وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الثانية من نفس السنة دخل

مدينة « شاه » ، وقتل عددا كبيرا من السكان ثم قفل راجعا .

أما القائد « هِرْ كِتْأى » فقد ذهب على رأس جيش إلى ولايتي

طارم ورودبار ، وأحدث فيهما التخريب والتدمير . ثم قصد المغول أسوار
المنصورية وآله يشين ، حيث أجزوا مذبحه دامت ثمانية عشر يوماً . وفي التاسع
من شوال سنة إحدى وخمسين وستمائة شنت حامية گردد كوه غارة ليلية ،
ودمروا معسكر المغول الحصين ، وقتلوا منهم مائة شخص ، كما قتلوا قائدهم
الأمير « بوري » . فما كان من كيتوبوقا نويان إلا أن شن هجوما عنيفا على
ولاية قهستان ، وطارد جنوده جميع القوات الموجودة في نواحي « تون »
و « ترشيز » و « زيركوه » ، وأباحوا فيهم القتل والغارة ، وأسروا كثيرا
منهم . وفي العاشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، استولوا على تون
وترشيز . وفي أوائل شهر شعبان سقطت في أيديهم قلعة مهريز ، وفي السابع
من رمضان أخذوا قلعة كالى . ثم وردت الأخبار من « گردد كوه » إلى ملاء
الدين محمد سلطان الملاحدة تنبئه بأن وباء قد انتشر في قلعة « گردد كوه »
سبب وفاة أكثر المحاربين ، وأن القلعة قد تسقط قريبا ؛ فأسرع علاء الدين
وأرسل « مبارز الدين على توران » و « شجاع الدين حسن السراباني » على
رأس قوة عددها عشرة ومائة من المجاهدين المعروفين لمساعدة أهالي هذه
القلعة ، وكان كل واحد منهم يحمل معه منين من الحناء وثلاثة أمتان من
الملح ، لأن الملح كان قد نفذ من القاعة . ومع أنه لم يرد في كتب الطب أن
الحناء تدفع الوباء ، إلا أنه قد لوحظ هنا أن ابنة أمير قد تزوجت ، فحضبوا
يدها وقدميها بالحناء ثم غسلوها . ولما كان الماء عزيز الوجود ، فقد شربت
طائفة من الناس ذلك الماء الملوث ، فلم يمت واحد منهم قط بهذا الوباء . وبهذا

وضحت لهم فائدة هذه التجربة فطلبوا الخفاء .

وبالجملة فقد اخترق هؤلاء المجاهدون البالغ عددهم عشرة ومائة رجل ، صفوف المحاصرين ، ومروا دون أن يصاب واحد منهم قط بأذى ؛ اللهم إلا رجلا واحداً سقط في الخندق وكسرت ساقه فحمله رفاقوه على أكتافهم ، وذهبوا به إلى القلعة . وبهذا صارت गर्ده كوه محكمة مرة أخرى .

وفي ليلة الأربعاء الأخير من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وستائة ، قتل علاء الدين حاجبه حسن المازندراني ببلطة في مكان يدعى « سر كوه » بينما كان غارقاً في نومه وهو سكران ، وذلك بالاتفاق مع خورشاه بن علاء الدين . فعين خورشاه حاكماً للإسماعيلية مكان أبيه . وقد اتهم عدة أشخاص بقتل علاء الدين . ورغم أن حسن المازندراني هو الذي قتله بناء على مشورة ابنه خورشاه ، إلا أن هذا الأخير لم يستطع الاعتماد عليه ؛ فكتب إليه رسالة ، وأعطاهها فدائياً حتى يذهب إليه ويسلمها إياه . فلما شغل حسن المازندراني بالقراءة ، قتله ذلك الفدائي . ثم أعلن خورشاه أنه قتل « حسنا » لأنه هو الذي قتل والده ، وأمر بحرق أولاده في الميدان . وبعد ثلاثة أيام ، أى يوم الأحد السادس والعشرين من ذى الحجة من تلك السنة استؤنف القتال .

قدوم ناصر الدين محتشم قهستان إلى معسكر
هولاكوخان في صحبة الملك شمس الدين كرت
الذي كان قد توجه إليه برسالة من
قبل هولاكوخان

أرسل هولاكوخان الملك شمس الدين كرت برسالة ، إلى ناصر الدين^(١)
المحتشم في قلعة « سرتخت » يدعوهُ إلى الدخول في طاعته .

وكان حينذاك قد هرم وضعف ؛ فامتثل للأمر وقصد هولاكو في صحبة
الملك شمس الدين في السابع عشر من جمادى الأولى ، وقدم له أنواعا كثيرة
من التحف والهدايا ، بعد أن قبل الأرض بين يديه . فتعطف هولاكو وقبل
تلك الهدايا وقال له : « إنك نزلت من القلعة ، وقبيل الخضوع لإيقاد حياة
زوجتك وأبنائك . فلماذا لم تنزل معك سكان القلعة وتحثهم على
التسليم ؟ ! . . . » فأجاب ناصر الدين : « إن لهم ملكا يدعى خورشاه
يأترون بأمره » .

ص
١٧٦

(١) هو ناصر الدين أبو الفتح عبد الرحيم بن أبي منصور كان رجلا كريما فاضلا يقرب
إليه العلماء والأدباء ، ويميل إلى مجالستهم . عاش في بلاطه في قهستان فترة طويلة ، العالم
الكبير خواجه نصير الدين الطوسي ، وألف له كتاب « أخلاق ناصري » باللغة الفارسية
في حدود سنة ٦٣٣ وقدمه باسمه .

بعد ذلك أنعم عليه هولاغو خان بلوحة ذهبية (يايزه) ^(١) ومرسوما
(يرليغ) ^(٢) ، ونصبه حاكما على مدينة « تون » ، إلى أن توفي في شهر صفر ^ص
١٧٨ سنة ٦٥٥ . وكان هولاغو خان ينتقل من مكان إلى آخر حتى إذا ما بلغ
حدود « زاوه » ^(٣) و « خواف » ^(٤) اعتلت صحته قليلا . ثم عهد إلى ايلكا
و كيتوبوقا نويان وغيرها من الأمراء بفتح باقى ولاية الإسماعيلية . فلما بلغوا
حدود قهستان قاومهم الرعاع إلى حدما . ولكن المغول أسروهم جميعا فى مدة ^ص
١٨٠ أسبوع ، وخرّبوا الأسوار ، وأعملوا القتل والغارة فى السكان وأخذوا الأسرى .
وفى السابع من ربيع الآخر وصلوا إلى أبواب مدينة « تون » ، ونصبوا
المجانيق ، واستأنفوا القتال .

وفى اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الآخر استولوا على المدينة ، وقتلوا
جميع السكان ماعدا أرباب الحرف ، ثم قصدوا معسكر هولاغو خان
مظفرين منصورين . ومن هناك توجه الجميع إلى طوس .

(١) اليايزه كانت عبارة عن لوحة من الذهب أو الفضة ، وفى بعض الأحيان من الخشب
وذلك على حسب رتب الأشخاص ، وينقش على وجهها اسم الله واسم السلطان وعلامة
خاصة ، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول . كما أنها تتضمن أمر الملك لسفرائه ،
ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من فى الدولة المغولية .
(٢) يرليغ كلمة مغولية بمعنى حكم أو قرار أو أمر ، ثم استعملت لأمر أو تفويض صادر
من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين . يقول القلقشندى : « البرالغ هى الراسيم »
(انظر صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٢٨) .
(٣) كورة بخراسان (انظر القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٥٦) .
(٤) مدينة بخراسان بالقرب من نسا ، كبيرة أهلة ذات قرى وبساتين ومياه كثيرة
(انظر القزوينى آثار البلاد ، ص ٢٤٤) .

وصول هولاجو خان إلى طوس وحدود خبوشان
وتجديد العمارات هناك ، والتوجه إلى ناحية
دامغان وتخريب الموت ولنبه سر
وإخضاع خورشاه

حين بلغ هولاجو خان مدينة طوس ، نزل في حديقة كان قد أنشأها
« أرغون آقا » . وهناك أقيمت خيمة نسجت من نسيج كان قد أعد بناء
على أمر الخاقان من أجل هولاجو خان . وبعد مدة انتقل هولاجو إلى
حديقة المنصورية ، التي كان أرغون آقا قد أعاد تمييزها بعد خرابها . وهناك
قدم نساء الأمير أرغون والحواجه عز الدين طاهر المأكل والمشرب .
وفي اليوم التالي انتقلوا إلى مراعي « رادكان » . ولما كان هذا المكان
جيلا للغاية فقد أقاموا فيه عدة أيام ، وجلبوا الشراب والعلف الكثير من
« مرو » و « باورد »^(١) و « دهستان »^(٢) والولايات الأخرى ، وبعد
ذلك جاءوا إلى مدينة خبوشان التي يسميها المغول « قوجان » ، وكانت قد
خربت وأهملت منذ بدء وصول جيوش المغول ، فأمر هولاجو خان بتجديد
عمارتها ، ودفع التكاليف اللازمة من الخزانة ، حتى لا يتحمل الرعايا عبء

(١) تسمى أيضا أيورد وهي مدينة بخراسان بالقرب من سرخس (انظر القزويني ت
آثار البلاد ، ص ١٩٢) .
(٢) مدينة بطبرستان .

هذه النفقات . ثم حفرت الكظام (الكهاريز) وشيدت المصانع ، وأقيمت حديقة بجوار المسجد . وقد تبرع سيف الدين آقا؛ الذي كان وزيراً ومدبراً بالمبالغ اللازمة لتعمير هذا المسجد . ثم دعا هولاء الأُمراء والأعيان ليقم كل منهم منزلاً هناك يتفق مع قدرته ومرتبته .

ثم أمر هولاء بالسير ، وكان قد أوفد « بَكْتِيْمُورْ قورجى » وظهر الدين سِيْلَارْ البيتكجى (الكاتب) وشاه أمير برسالة إلى خورشاه سلطان الملاحدة ؛ فذهبوا إليه ، وأبلغوه ما أمر به هولاء خان ، ثم عادوا بعد أداء مهمتهم فى التاسع من جمادى الآخرة . وفى اليوم نفسه وصل جيش المخول إلى قلاع الملاحدة وشرع فى الهجوم .

س
٦٨٤ وفى العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، قدم هولاء إلى خرقان وبسطام ، وأرسل مير كِتائى شحنة هراة ، بصحبة مَنِكَلْمِش برسالة أخرى إلى ركن الدين خورشاه ، وأمرها بتخويله وتهديده ووعيده .

وفى ذلك الوقت كان مولانا السعيد الخواجه نصير الدين الطوسى ، الذى كان أكمل وأعقل عالم ، وجماعة آخرون من الأطباء - منهم رئيس الدولة وأبناؤه - يقيمون لدى ملك الإسماعيلية مكرهين ، وكانوا قد رأوا أفعاله السيئة ، ووجدوا الظلم والتعدى متأصلين فيه ، وشاهدوا مخايل الجور بادية على أحواله ، وكانوا قد ملوا ملازمة الملاحدة ونفروا منهم ، ومالوا إلى هولاء خان إلى أقصى حد . ومن قبل كانوا يرغبون فى ذلك ؛ فصاروا يتشاورون سرا الكى

يجمعوا هذا الملك يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن والطريق الأسهل ، وانضم إليهم كثير من الغرباء والمسلمين ، واتفقوا جميعا على تحقيق هذا الهدف . ولهذا السبب لم يدخروا وسعا في حث خورشاه على الخضوع والطاعة ، وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة وعدم التسليم فاستجاب لنصحهم ، وأكرم وفادة الرسل ، وأوفد أخاه الأصغر « شاهنشاه » والخواجه أصيل الدين الزوزنى ؛ مع طائفة أخرى من أعيان مملكته إلى هولاكو إظهارا للخضوع والطاعة . فأمر هولاكو بإعزازهم وإكرامهم ، وعين الرسل مرة أخرى لكي يذهبوا مع صدر الدين وظهير الدين وتوكل بهادر وبخشي وما زوق ، برسالته إلى خورشاه ليخبروه أنه إذا كان قد قبل الخضوع والتسليم حقا ؛ فإن عليه أن يجرب القلاع ، ويمثل بنفسه أمام هولاكو . فأجاب خورشاه : « إذا كان أبي قد أظهر التمرد والعصيان فإنني أظهر الخضوع والطاعة » . وقد بر بوعده فخر ب أجزاء من قلاع مثل « هامون دز » و « الموت » و « لبسر » ، وحطم أبراجها ، ورمى أبوابها ، واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها . ولكنه طلب مهلة سنة يغادر بعدها القلعة . فعرف هولاكو خان أن وقت النكبة لهذا الأمير قد حل ، وأنه لا داعي لتردد الرسل عليه لأنه سوف لا يؤثر فيه ذلك .

ص
١٨٤

وفي العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وسمائة من الهجرة ، غادر هولاكو بسطام وتوجه نحو قلاع الملاحدة . وأمر بأن تجتمع الجيوش الموجودة في العراق وغيرها من الأطراف ؛ فكان على الليمنة بوقا تيمور وكوكا ايلكا ،

ص
١٩٠

وقد أخذنا طريق مازندران ، وعلى المسيرة تَكُودَرُ أوغول وكتوبوقا نويان ،
الذيان قدما من طريق « خوار » و « سمنان » . وأما هولاء كوخان فقد اتخذ
موضعه في القلب الذي يطلق عليه المغول كلمة « قول » على رأس عشرة آلاف
من الحجار بين المشهورين .

ص
١٩٤

شعر :

« لقد ساروا فصار وجه الأرض مغبرا ،
وكان مثار النقع ليل تهاوى كواكبه »

ومرة أخرى أرسل في المقدمة رسلا يندرون : « لقد عقدنا العزم أنه إذا
جاء خورشاه بنفسه لاستقبالنا ؛ فإننا سنغفو عنه رغم جرائمه العديدة » . ولما
جاوزت رايات الغازي المنتصرة مدينة « فيروز كوه » عاد الرسل بصحبة الوزير
كيقباد ، وتعهدوا لهولاكو بتخريب القلاع ، والتمسوا إليه أن يرجى رحيل
خورشاه عن القلاع لمدة عام ، وأن تستثنى من التخريب قلعتا الموت ولبسر ،
اللتان تكونان المقر الأصلي القديم للملاحة ، على أن يسلم خورشاه بقية
القلاع ، ويطيع كل ما يصدر إليه من أوامر . وقد كتب خورشاه إلى حكام
گرده كوه وقهستان يأمرهم بالمسير طائعين إلى هولاء كوه ، وظن أنه بتلك
الإجراءات يستطيع دفع المقدور الكائن . وعندما وصلت رايات الغازي
المنتصرة إلى ولاية لارود وماوند ، أرسل شمس الدين كيلسكي إلى گرده كوه ليحضر
إليه مقدمها .

ص
٢٠٢

بعد ذلك توجه هولاجو إلى « فران » وحاصر « شاه دز » التي كانت
تقع في طريقها وفتحها في يومين . ثم أرسل الرسل مرة أخرى ، ليحثوا خورشاه
على التسليم ، فأعاد هذا الرسل ، وقبل أن يرسل ابنه مع ثلاثمائة من الجنود ، كما
قبل أن يخرب جميع القلاع . وفي مدينة « عباس آباد الري » توقف
هولاجو خان وصار يترقب تنفيذ الوعود .

وفي السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستائة ، أرسل خورشاه
إلى هولاجو ، ابنه الذي كان في السابعة أو الثامنة من عمره ، وكان قد أنجبه من
مخضية - بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان ، فأكرم هولاجو خان الغلام
وأعزه ، وأذن له بالعودة لأنه لا يزال صغيرا . ثم صرح هولاجو للرسل بأنه
« إذا لم يستطع ركن الدين أن يحضر سريرا ، فإن عليه أن يرسل أخاه الآخر
حتى يعود « شاهنشاه » الذي بقي ملازما لنا منذ عدة سنوات » . . فأطاع
ركن الدين الأمر ، وأوفد إلى هولاجو في الخامس من شوال ، أخاه الآخر
شروانشاه والخواجه أصيل الدين الزوزني مع ثلاثمائة من كبار الشخصيات
المسئولين ؛ فنشروا بمقابلته في ضواحي الري . وفي التاسع من شوال عاد
شروانشاه يحمل معه منشورا من هولاجو يشتمل على العبارة الآتية : « نظرا
لما أظهره ركن الدين من طاعة وخضوع ، فقد عفوت عما ارتكبه أبوه وأتباعه
من جرائم وأخطاء . وحيث إنه لم يبدر أى جرم من ركن الدين نفسه
خلال المدة التي عمل فيها مكان أبيه ، فإنه إذا خرب القلاع فسوف يأمن بأستلا

من جميع الوجوه » . ثم أمر الجنود المنتشرين في مختلف الأطراف بأن يتجمعوا في معسكر واحد ، وفجأة أحيط بالملاحدة من جميع الجهات . وفي ذلك الوقت اقترب بوقاتييمور وكوكا ايلكا مع قواتهما من « أسيندان » ، فأرسل إليهم خورشاه رسالة مضمونها : « إننا إذ خضعنا وإذ نشغل الآن بتخريب القلاع فما سبب قدومكم إلينا » . فأجابوه : « مادمننا وإياكم على وفاق ، فقد جئنا طلبا للعلف » .

وفي العاشر من شوال سنة أربع وخمسين وستائة ، رحل هولاء گوخان من بسكليه متخذاً طريق طالقان ، واستعد للهجوم على حدود ولاية الملاحدة . ولو أن المطر لم يسقط مدراراً في تلك الليلة ، لقبض على خورشاه في أسفل القلعة . وفي الثامن عشر من شوال بسطت الشمس ظلها على موضع مقابل لميمون ^ص ٢٠٨ دز من ناحية الشمال ، وفي اليوم التالي كان هولاء گو يطوف حول القلعة على سبيل الرؤية وتفحص المواقع الصالحة لإدارة المعارك ، كما كان يشاهد بدقة مداخل القلعة ومخارجها . وفي اليوم التالي وصلت الجيوش بعظمة تامة تجل عن الوصف ، وأحاطت بالقلعة من جميع جوانبها . وقد امتد الحصار ^ص ٢١٠ الذي ضربوه حولها إلى مايقرب من ستة فراسخ . ولكن حينما تعذر فتح هذه القلعة لمناعتها ، استشار هولاء گوخان النبلاء والأمراء فيما يتعلق باستمرار الحصار أو العدول عنه ، والعودة أو التوقف والانتظار حتى السنة المقبلة . فردوا عليه : « إننا في وقت الشتاء ، وحيواناتنا نحيفة مجفأة ، والعلف معدوم ، ويجب المبادرة بنقل العلف من ناحية بلاد الأرمن أو حدود كرمان ، فن

الأفضل أن نعود إلى قواعدنا » . ولكن بوقاتي مور وسيف الدين البيتكجي والأمير كيتو بوقا ، أصروا على الاستمرار في محاصرة القلعة . فبعث هولاء كوخان رسولا مرة أخرى برسالة إلى خورشاه يخاطبه فيها بعبارات فيها الترغيب والترهيب ، ويعرض عليه فيها أنه إذا نزل من القلعة ، وترك المقاومة ، وتوجه إلى معسكر الخان ؛ فإن تصرفه هذا يكون سبباً في إنقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين . وإذا لم يقدم نفسه خلال خمسة أيام ، فإن عليه أن يستحکم في قلاعہ ويستعد للقتال .

فلما استشار خورشاه الأمراء والأعيان في ولايته ، صار كل منهم يقول ما يميله عليه رأيه . وأخيراً استقر الرأي على أن يرسل إلى هولاء كوخا نصير الدين الطوسي - نور الله قبره - مع طائفة من الوزراء والأعيان والكفلاء والأممجة - يحملون التحف والطرائف الكثيرة ؛ فوصلوا إلى معسكر الإيلخان في يوم الجمعة السابع والعشرين من شوال فأنزله المغول في أماكن متفرقة ، وتحدثوا إليهم الواحد بعد الآخر .

وفي يوم الأحد غرة ذى القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة ، نزل خورشاه من القلعة بناء على مشورة أعيان الدولة ، وتوجه إلى هولاء كوخا نصير الدين الطوسي ، والخواجه أصيل الدين الزورزني ، والوزير مؤيد الدين ، وأبناء رئيس الدولة . فودع بذلك هذا الحصن الذي ظلت أسرته تتخذ مقرها لها مدة قرنين . ثم جاء قبيل الأرض بين يدي السلطان الأعظم . وقد أنشد الخواجه نصير الدين الطوسي في تاريخ هذه الحادثة هذين البيتين :

شعر :

« عندما صارت السنة الهجرية أربعاً وخمسين وستائة ،
وفي صباح يوم الأحد الموافق غرة ذى القعدة ،
قام خورشاه ملك الإسماعيلية من على عرشه ،
ووقف بين يدي هولاءكو » .

وحينما وقع نظر هولاءكوخان على خورشاه ؛ عرف أنه غلام غير مجرب
يعوزه الرأى والتدبير ، فأعزه وأكرمه وشجعه ووعد بمساعدته ، وأرسل من
قبله صدر الدين ، فتسلم من خورشاه جميع الحصون والقلاع التى كان يملكها
آبائوه وأجداده على التوالى فى قهستان وروديار وقومس ، والتى كانت مشحونة
بالآلات والذخائر . وقد بلغ عدد هذه القلاع نحو المائة . وبعد إخراج الحكام ،
خربت جميعها ماعداً گردكوه ولبسر . وفى هذه القلعة الأخيرة اعتصم أقارب
خورشاه وأتباعه وظلوا يقاومون مدة سنة . وبعد ذلك انتشر الوباء بين
المعتصمين فأهلك كثيرين منهم ، ونزل الباقون ولحقوا بالآخرين . وأخيراً
سقطت أيضاً گردكوه فى يد المغول ، بعد أن استمرت تقاوم مدة
عشرين سنة .

وصفوة القول أن خورشاه قد أنزل جميع ما يتعلق به من قلعة ميمون دز ،
وأهدى إلى هولاءكو جميع الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة ، مما لم يكن
ذائع الضيت ، فوزعها هولاءكو على قواد جيشه .

بعد ذلك انتقلت راية الغازي من هذا المكان إلى قاعدة ألموت^(١) ،
وأرسل إليها ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم ، ولكن قائد
القلعة ترمذ وعصى ؛ فكلف هولاءكو خان « بلغايي » بمحاصرة تلك القلعة ،
وقام المغول بالهجوم عليها يومين أو ثلاثة ، ثم أرسل هولاءكو إلى المحاصرين
منشورا يؤمنهم على حياتهم .

ص
٢١٤

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من ذى القعدة ، نزل قائد القلعة وسلمها
لهولاءكو ، فصعد المغول إليها ، وكسروا الجانيق ، وخلعوا الأبواب .
أما السكان فقد طلبوا مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم . وفي اليوم الرابع اقتحم
الجنود القلعة ، وأعملوا فيها الغارة والنهب . ثم صعد هولاءكو خان فوق قلعة
ألموت لرؤيتها ، فدهش جدا لعظمة ذلك الجبل . ثم نزل وارتحل ، وأمضى
عدة أيام حوالى لمبسر حيث كان يشتمو ، وهناك ترك قائده « طأيربوقا » على
رأس جيش لمحاصرة القلعة ، ثم قفل راجعا في السادس عشر من ذى الحجة سنة
أربع وخمسين وسبعمائة .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور نزل في معسكره

(١) ذكر زكريا القزويني في كتابه آثار البلاد ، ص ٢٠٠ : أن ألموت قلعة حصينة
من ناحية رودبار بين قزوین وبحر الخزر على قلة جبل ، وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق
عليها ولا الشباب يبلغها . وهي كرسى ملك الإسماعيلية . قيل إن بعض ملوك الديلم أرسل
عقبا للصيد وتبعه فرآه وقع على هذا الموضع ؛ فوجده موضعا حصينا اتخذه قلعة وسماها
« آله آموت » : (آله بمعنى عقاب وآموت مخفف من آموخت) أى تعليم العقاب بلسان
الديلم . ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها ، لأنها بنيت في سنة ست وأربعين وأربعمائة :
وهي موت .

الكبير على بعد سبعة فراسخ من قزوین ، للاحتفال بعيد رأس السنة . وقد استمرت الولائم سبعة أيام ، عطف فيها هولاء كوخان على النبلاء والأمراء ، ومنحهم الخلع .

ولما تأكد هولاء كوخان من صدق وإخلاص الخواجه نصير الدين الطوسي وأبناء رئيس الدولة وموفق الدولة ، الذين كانوا أطباء كبارا مشهورين أصلهم من همدان ؛ شملهم بعطفه وإنعامه ، وأعطاهم الخيول اللازمة لحمل أهلهم ومواليهم وأقاربهم مع أتباعهم وخدمهم وأشياعهم ، وإخراجهم من القلعة وأزهم حضرته . وهم وأبنائهم حتى اليوم ملازمون للحضرة ، ومقر بون من هولاء كوخان وأفراد أسرته المشهورين .

والصورة المثبتة هنا مثل بلاط الخان ، وما عومل به النبلاء والأمراء والجماعة المذكورون من عطف ورعاية .

وفي يوم الخميس العاشر من الحرم سنة خمس وخمسين وستة ، أنعم هولاء كوخان على خورشاه ، مرسوما ولوحة ذهبية (يرليغ وبايزه) ، وخلع عليه ، ووهبه فتاة مغولية ليتزوج منها ، وأودع مدينة قزوین متاعه وحاشيته . ثم أرسل خورشاه رجلين أو ثلاثة من خاصته ، مع رسل هولاء كوخان إلى قلاع الملاحدة بالشام ؛ لدعوة الناس هناك إلى التسليم عندما تصل إليهم الرايات الهمايونية .

وبعد أن انتهت حفلات الزفاف ، لم يشأ هولاء كوخان أن يتكث بعنده (١٧ - جامع التواريخ)

٢١٨
لخورشاه، وأن يقضى عليه؛ ذلك لأنه كان قد أمنه على حياته، ولأنه يعرف أنه ما زالت
هناك قلاع كثيرة تمحص الملاحدة، موجودة في هذه الديار وفي ديار الشام؛ يمكن
استخلاصها بتوجيه خورشاه ونفوذه، وإلا فإن عليه أن يقضى سنوات
عديدة حتى يتيسر فتحها. وعلى هذا صار هولاء كوير خورشاه ويكرمه مدة
من الزمن، ثم أرسله إلى بلاط «منگوقاآن». وفيما يتعلق بحادثة موته، ترد
روايات مختلفة متعارضة، أرجحها وأوثقها أنه حينما وصل خبر قدومه إلى الخان،
قال: «لماذا تحضرونه وتشقون بذلك عبثاً على الدابة التي يركبها!» ثم أرسل
رسولاً من قبله قضى على حياة خورشاه. ولما تخلصوا منه، قتلوا أقاربه وأفراد
أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال الذين في المهد، فيما بين أبهر وقزوين،
فلم يبق منهم أثر. وقد استمر ملك الإسماعيلية سبعا وسبعين ومائة سنة.
وكان بدء حكمهم سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وهو العدد الذي يكنى عنه
بلفظ «الموت»، واتهواؤه في غرة ذى القعدة سنة أربع وخمسين وستائة. وكان
عدد ملوكهم ثمانية^(١) تولوا الحكم على التوالي بالترتيب الآتي:

١ - حسن بن علي بن محمد الصباح الحميري.

٢ - كيا بزرگ أميد، وكان هو وحسن داعين.

(١) جاء في المتن الأصلي أن عددهم سبعة، وقد أحصاهم الكتاب على هذا النحو، بينما
الصحيح أنهم ثمانية (انظر اليضاوي: نظام التواريخ، ص ٨٢، طهران ١٣١٣ هـ.
ش). ولا بد أن هذا الخطأ قد وقع فيه الناسخ. ونحن تنبه إلى الاسم الناقص
في موضعه ..

- ٣- محمد بن بزرك أميد ، والذي اشتهر بلقب « علي ذكرم السلام »^(١) .
- ٤ - حسن بن محمد بزرك أميد .
- ٥ - محمد بن حسن .
- ٦ - [جلال الدين بن محمد بن حسن]^(٢) « نومسلان »^(٣) .
- ٧ - علاء الدين محمد بن جلال الدين بن محمد بن حسن^(٤) .
- ٨ - ركن الدين خورشاه بن علاء الدين ، الذي ختمت به دولة الإسماعيلية .

(١) هذا اللقب في الحقيقة خاص بابنه حسن (انظر كاترمير ، ص ٢١٨) .

(٢) هذا هو الاسم الذي أسقطه الناسخ .

(٣) أعطى هذا اللقب في المتن الأصلي لأبيه محمد ، بينما الصحيح أنه خاص بابنه جلال الدين .

(انظر كاترمير ، ص ٢١٨) . ومعنى « نومسلان » المسلم الجديد ، وذلك لأن جلال الدين ترك طريقة الإلحاد ، وتبرأ من سلوك أبيه وجهه ، وتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية .

(انظر البيضاوى : نظام التواريخ ، ص ٨٤) .

(٤) انظر نفس المصدر ، ص ٨٢) .

قصة توجه هولاء كوخان إلى همدان^(١) بعد فتح قلاع

الملاحدة، ووصول بايجو نويان من بلاد الروم،

وشروع هولاء كوخان في التحقيق

معه، ثم إيقاده مرة أخرى إلى

هذه البلاد لإتمام فتحها

حينما فرغ هولاء كوخان من فتح بلاد الملاحدة وقلاعهم، توجه في شهر

ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستائة من ضواحي قزوین إلى همدان. ص ٢٢٢

وفي ذلك الوقت وصل « بايجو نويان » من حدود أذربيجان. وكان

هولاء كوخان متضايقاً منه، فصاح به قائلاً: « لقد ذهبت في نفس الوقت

الذي ذهب فيه جرماعون. فإذا فعلت عندما حلت محله في إيران... وم

من جيش قهرت!... وما العدد الذي أخضعته... إنك لم تفعل شيئاً

سوى أنك رحمت تخوف القوات المغولية، بالمبالغة فيما عليه الخليفة من قوة ص ٢٢٤

وعظمة ». فجتأ بايجو نويان على ركبته فأجاب: « إنني لم أقصر، وإنما

بذلت كل ما في مقدوري. فلقد أخضعت الأقاليم الممتدة ما بين باب الری حتى

حدود الروم والشام مانعداً بغداد؛ فإنها بسبب كثرة سكانها ووفرة جيوشها،

(١) هذه الكلمة يقتضيا سياق الحوادث بدلاً من كلمة قهستان الموجودة في المتن الأصلي

(انظر كاترمير، ص ٢٢٠).

وبسبب كثرة ما فيها من الأسلحة ومزيد الأهبة ، وبسبب الطرق الضيقة الصعبة ، التي يجب سلوكها قبل الوصول إليها . بسبب كل هذه العوامل صار تقدم الجيوش إلى تلك النواحي ، وقيامها بعمليات الهجوم أمراً متعذراً . وما يبقى بعد ذلك أتركه لحكم الملك العادل ؛ فأنا بكل ما يأمر به عبد مطيع ومنفذ لأوامره . « فسكنت تلك العبارة نائرة غضب هولاء گوخان ، وقال له : «يجب أن تعود لكي تستولى على تلك الولاية، حتى شاطئ البحر من يد أبناء (الفرنج ومن الكفار^(١)) » . فرجع بايجو على الفور ، وقاد الجيش إلى ولاية الروم . وكان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين ، سلطان الروم في ذلك الوقت ؛ فالتحم مع بايجو نويان في معركة دارت رحاها في موضع يسمى «كوسه داغ» ، ولكنه هزم ، واستولى بايجو على جميع بلاد الروم ، بعد أن أعمل فيها القتال والغارة . وفي ذلك الوقت أيضاً نزل هولاء گوخان ، بصحبة النبلاء قلى وبناته وتومار ، والأمراء العظام بوقاتييمور وقد سون وقتار سونجاق وكوكا إيلكا . في همدان بالقرب من «خانه آباد» ، التي هي عبارة عن ممرعى من كردستان ، وصار يشتغل بترتيب الجيش وتجهيزه .

(١) يقول كاترمير (ص ٩٦) : « نعرف أن الصليبيين في هذه الفترة كانوا لايزالون يسيطرون على سوريا ، وبوجه خاص على شواطئ البحر الأبيض . أما عن كلمة الكفرة ؛ فأعتقد أن المؤلف أراد أن يدل بها على الأرمن والإغريق ، الذين كانوا يحتلون أماكن عديدة من آسيا الصغرى .

ظهور الفتنة ووقوع الخلاف بين الدواتدار

والوزير وابتداء نكبة الخليفة

في آخر صيف سنة أربع وخمسين وستائة ، حدث سيل عظيم أغرق مدينة بغداد ؛ لدرجة أن الطبقة العليا من المنازل هناك غرقت في الماء واختفت تماما . وقد استمر انهيار السيل في تلك الديار خمسين يوما ، ثم بدأ في النقصان . وكان من نتيجة ذلك ، أن بقيت نصف أراضي العراق خرابا بيابا . ولا يزال أهالي بغداد حتى اليوم ، يذكرون العرق المستعصبي .

ص
٢٦٦

وخلال تلك الواقعة ، امتدت أيدي جماعة من الزناطرة والمشاعين والرعا والسفلة بالاعتداء والسلب ، وكانوا في كل يوم يغتصبون بعض الأشخاص الأبرياء . وكان مجاهد الدين الدواتدار ، يحتضن بنفسه هؤلاء الرعا والسفلة ، فصار في مدة وجيزة صاحب شوكة وبأس . ولما لمس في نفسه القوة ، ورأى الخليفة المستعصم شخصا عاجزا لا رأى له ولا تدبير وساذجا ؛ اتفق مع طائفة من الأعيان على خلعه وتولية خليفة آخر من العباسيين في مكانه . وعندما علم مؤيد الدين ابن العلقمي نبأ تلك المؤامرة ، أخبر الخليفة على انفراد قائلا : « يجب تدارك أمرهم » . فاستدعى الخليفة الدواتدار على الفور ، وأطلعه على مقاله الوزير

في شأنه ، ثم قال له : « لما كنت أعتمد عليك وأثق بك ، فإني لم أضع إلى كلام الوزير وهو يعمرك . وإني لأبلغك بأنه لا يجوز أن تخدع بأية حال ، ولا تحيد عن جادة الطاعة » . فلما أحسن الدواتدار من الخليفة الشنقة والعطف ، أجاب : « إذا ثبت عليّ جرم فهذا رأسي وهذا هو السيف . ومع هذا فأين يذهب عفو الخليفة وصفحه وغفرانه . . . أما هذا الوزير المزور الخادع ، فقد حمّله الشيطان بعيدا عن الطريق المستقيم ، واختمرت في ذهنه المظلم فكرة الولاء والميل إلى هولاء كوخان وجيش المغول . وإن سعائته في حق ، لمن أجل دفع هذه التهمة عن نفسه ، وإنه عدو الخليفة ، فهو يتبادل مع هولاء كوخان الجواسيس » . فاستماله الخليفة وقال له : « منذ هذه اللحظة كن يقظا وعاقلا » .

بعد ذلك خرج مجاهد الدين من حضرة الخليفة . وعلى سبيل المكابرة وعدم المبالاة ، أصر على مهاجمته ؛ فجمع حوله رُئود بغداد وأوباشها ، وكانوا يلازمونه ليل نهار ؛ فخشى الخليفة مغبة الحال ، وجمع جيشا لدفع هذا الخطر . ثم زادت الفتنة والاضطراب في بغداد . وكان الأهالي هناك قد ملوا العباسيين ، وكرهوا حكمهم . ولما عرفوا أن دولتهم قد آذنت بالغييب ، ظهرت الأهواء المختلفة بينهم ، فخاف الخليفة مغبة الأمر ، وعهد إلى فخر الدماغانى صاحب الديوان بإخماد تلك الفتنة ، وكتب كتابا بخطه مؤاده : « إن ما قيل في حق

الدواتدار ، إنما هو محض اقتراء و بهتان . ونحن نعتمد عليه اعتمادا كليا ، وهو في أماننا » . وعند ما أرسلت تلك الرسالة على يد ابن درنوش إلى الدواتدار ، حضر ومثل أمام الخليفة ، فاستماله هذا ، وعاد معززا مكرما . ثم نودي في المدينة بأن ما قيل في حق الدواتدار إنما هو كذب . وصار اسم الدواتدار يذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة . وبهذا خمدت الفتنة في يسر .

القسم الثالث
من
تاريخ هولاندا

توجه هولاء كوخان إلى بغداد، وتردد الرسل بينه

و بين الخليفة ، وعاقبة تلك الحال

بلغ هولاء كوخان الدينور في التاسع من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة قاصدا بغداد، ثم قفل راجعا ومضى إلى همدان ، في الثاني عشر من شهر رجب من تلك السنة . وفي العاشر من رمضان أرسل إلى الخليفة رسولا يتهدده ويتوعده قائلا : « لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة ، وطلبنا مددا من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة والاتحاد، أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطاعة ؛ فلم ترسل إلينا الجند، والتست العذر . ومهما تكن أسرتك عريقة ، وبيتك ذا مجد تليد . . .

شعر :

فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة ،

يخفى معها نور الشمس الساطعة .

ولابد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص العام ، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي ، منذ عهد چنكيزخان إلى اليوم ، والنذل الذي حاق بأسر الخوارزمية والسجوقية وملوك الديلمة والأتابكة وغيرهم ، ممن كانوا ذوى عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم ، ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أية طائفة من تلك الطوائف ، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم . فكيف يغلق في

وجهننا رغم مالنا من قدرة وسلطان؟ ولقد نصحناك من قبل . والآن نقول لك :
احذر الحقد والحصام ، ولا تضرب الخصف بقبضة يدك ، ولا تطلخ الشمس
بالوحد فتتعب .

ومع هذا فقد مضى ما مضى ؛ فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ، ويردم
الخدائق، ويسلم البلاد لابنه ، ويحضر لمقابلتنا ، وإذا لم يرد الحضور ، فيرسل
كلاماً من الوزير وسليمان شاه والدواتدار؛ ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص . فإذا
استجاب لأمرنا قلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد ، وسنقى له على
دولته وجيشه ورعيته . أما إذا لم يصغ إلى النصيح ، وآثر الخلاف والجدال ،
فليعيء الجند ، وليعين ساحة القتال ؛ فإننا متأهبون لمحاربتة ، وواقفون له على
استعداد . وحينما أقود الجيش إلى بغداد، مندفعاً بسورة الغضب ، فإنك لو كنت
مختفياً في السماء أوفى الأرض ..

شعر :

- فسوف أنزلك من الفلك الدوار ،
وسألتيك من عليائك إلى أسفل كالأسد .
- ولن أدع حيا في مملكتك . . . ،
وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار .

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك ؛ فاستمع لنصحي بسمع العقل
والذكاء ، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله . »

وبعدما بلغ الرسل بغداد وبلغوا الرسالة ، أوفد الخليفة شرف الدين
بن الجوزى ، وكان رجلا فصيحاً ومعه بدر الدين محمود وزنكى النخجوانى ^(١)
بصحبة الرسل ، وأجاب قائلاً : « أيها الشاب الحدث ! ... المتمنى قصر العمر ،
ومن ظن نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مغترا بيومين من الإقبال ، متوهماً
أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم . لماذا تطلب منى شيئاً لمن تجده عندى .
شعر :

كيف يمكن أن تتحكم فى النجم وتقيده ،
بالرأى والجيش والسلاح .

ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ، ومن الملوك إلى السحاذين ،
ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين ، كلهم عبيد هذا
البلاط وجنودى . إننى حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور فى إيران ،
ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص فى موضعه . وعندئذ سيصير
وجه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب . غير أنى لأريد الحقد والحصام ،
ولأن أشترى ضرر الناس وإيذاءهم ، كما أننى لأبغى من وراء تردد الجيوش ،
أن تلهج السنة الرعية بالمدح أو القدح ؛ خصوصاً وأننى مع الخاقان وهولا گوخان ،
قلب واحد ولسان واحد . وإذا كنت مثلى تزرع بذور الحبة فما شأنك بخنادق

(١) فى كاترمير نخوانى : والتصحيح عن طبعة باكوى ١٩٥٢ ص ٤٣ .

رعيتي وحصونهم . فاسلك طريق الود، وعد إلى خراسان . وإن كنت تريد
الحرب والقتال . . .

شعر :

- فلاتنوان لحظة ولاتعذر ،

إذا استقر رأيك على الحرب .

- إن لى ألوفا مؤلفة من الفرسان والرجالة ،

وهم متأهبون للقتال .

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان .

وعلى هذا النحو بلغ الرسالة ، وصرف الرسل مع بعض التحف والهدايا .

وحينما خرج الرسل من المدينة ، وجدوا الصحراء كلها ممتلئة بالرصاص ، فأطلقوا

ألسنتهم بسب هؤلاء الرسل ، وبادروهم بالسفاهة ، وأخذوا يمزقون ثيابهم ،

ويبصقون في وجوههم ؛ لعلمهم يقولون شيئاً يتخذونه ذريعة لإيذائهم والاعتداء

عليهم . فلما أخبروا الوزير بذلك ، أرسل على الفور بعض العلمان فأبعدهم .

وعند ما وصل الرسل إلى حضرة هولاء كوخان ، وعرضوا عليه كل ما شاهدوه ،

غضب الملك وقال : « إن الخليفة ليست لديه كفاءة قط ؛ إذ أنه معنا كالتوس

الأعوج . فلوأمدنى الله الأذى بعونه ، فسوف أجعله مستقيماً كالسهم » . ثم

دخل رسل الخليفة ، وهم ابن الجوزى و بدر الدين وزنكى ، وبلغوا الرسالة ؛

فغضب هولاء كوخان من عبارة الخليفة غير اللائقة وقال : « إن إرادة الله مع هؤلاء القوم أمر آخر ؛ إذ ألقى في روعهم مثل هذه الأوهام » .

وفي شهر^(١) من سنة التين « لوبيل » المواقة لسنة ١٢٥٧/٦٥٥ ،

أذن هولاء كوخا لرسول الخليفة بالانصراف من موضع « پنج انگشت » على حدود همدان التي كانت معسكرا له ، وأرسل يقول : إن الله الأزلى رفع جنكيز خان ، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب ؛ فكل من سار معنا ، وأطاعنا ، واستقام قلبه ولسانه ، تبق له أمواله ونساؤه وأبناؤه . ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك . ثم عاتب الخليفة بشدة قائلا : لقد فتنتك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة القانية ، بحيث إنه لم يعد يؤثر فيك نصيح الناصحين بالخير ، وإن في أذنيك وقرا فلا تسمع نصيح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعليك أن تكون مستعدا للحرب والقتال ، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كامل والجراد . ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى ، فذلك هي مشيئة الله العظيم .

وبعد أن وصل رسل بغداد ، بلغوا رسالة ذلك الملك الفاتح إلى الوزير ، فعرضها برمتها على الخليفة ، فقال : ماذا نرى لدفع هذا الخضم القاهر القادر فأجاب الوزير :

(١) هنا كلمة محذوفة من نسخة الأصل .

ينبغي أن ندفعه ببذل المال؛ لأن الخزائن والدفائن تجمع لوقاية عزة العرض وسلامة النفس ، فيجب إعداد ألف حمل من نفائس الأموال ، وألفاً من نجائب الإبل ، وألفاً من الجياد العربية المجهزة بالآلات والمعدات ، وينبغي إرسال التحف والهدايا في صحبة الرسل الكفاة الدهاء ، مع تقديم الاعتذار إلى هولاءكو ، وجعل الخطبة والسكة باسمه .

فأعجب الخليفة برأى الوزير ، وأشار بإنجاز ذلك . ولكن مجاهد الدين أيبك المعروف بالدواتدار الصغير - بسبب الوحشة التي كانت بينه وبين الوزير - أرسل إلى الخليفة رسالة بالاتفاق مع الأمراء الآخرين ، ورنود بغداد يقولون : « إن الوزير دبر هذه الحيلة لمصلحته الخاصة ، لكي يتقرب زلفى إلى هولاءكو ، ويلتقى بنا نحن الجنود في البلاء والمحنة . ولكننا سوف نرقب مفارق الطرق ، ونلقى القبض على الرسل ، ونأخذ مامعهم من أموال ، وندعهم في العذاب والعناء .

فعدل الخليفة - بسبب هذا الكلام - عن إرسال الأحمال ، وبدافع من التهور والغرور أرسل إلى الوزير من يقول :

« لا تحش القضاء المقبل ، ولا تنقل خرافة ؛ فإن بينى وبين هولاءكو خان ، وأخيه منكوقاً أن صداقة وألفة ، لا عداوة وقطيعة . وحيث إننى صديق لهما ؛ فلا بد أنهما أيضاً يكونان صديقين ومواليين لى ، وإن رسالة الرسل غير صحيحة . أما إذا أضمر الأخوان لى خلافاً وغدراً ، فلا ضير على الأسرة العباسية ؛ إذ أن

ملوك الأرض هم بمثابة الجنود لى ، وهم متقادون ومطيعون لأمرى ونهيبى ، فأدعوهم من كل قطر ، وأسير لدفعهما ، وأثير إيران وتوارن عليهما .
فقوّ قلبك ولا تخافن تهديد المغول ووعيدهم ؛ فإنهم رغم كونهم أرباب دولة
وأصحاب شوكة ، إلا أنهم لا يملكون سوى الهوس فى رؤوسهم ، والريخ
فى أكفهم .»

فاضطرب الوزير لهذا الكلام ، وأيقن أن دولة العباسيين سوف تزول .
وإذ كان إدار هذه الدولة سيكون فى عهده ، فإنه طفق يتلوى كالثعبان ،
ويفسكر فى كل تدبير . وقد اجتمع عند الوزير أمراء بغداد وعظماؤها ؛ مثل
سليمان شاه بن برجم ، وفتح الدين بن كره ، ومجاهد الدين الدواتدار الصغير ،
وأطلقوا ألسنتهم بقدهم الخليفة وطعنه قائلين إنه صديق المطربين والمسخرة ،
وعدو الجيوش والجنود . وإتسا أمراء الجيش ، بعنا كل ما ادخرناه فى
عهد والده .

وقال سليمان شاه : « إذا لم يقدم الخليفة على دفع هذا الخضم القوى ،
ولم يبادر إلى طلب العون والمساعدة ؛ فسينتغلب جيش المغول - عن قريب -
على بغداد ، وحينئذ لا يرحمون أى مخلوق كما فعلوا ذلك بسائر البلاد
والعباد ، فلا يبقون على أى شخص ، من الحضركان أو من البدو ، قويا
أم ضعيفا ، وسيخرجون ربات الخدود من ستر العصمة . ولو أن المغول

لم يحدقوا بجميع الجهات ، لكان من السهل حشد الجنود من الأطراف ،
وَحَلَمَاتُ عايهم بجيش في غارة ليلية ، وشتتت شملهم . ولو جرت الأمور على
خلاف ذلك ، فأولى بالفتى أن يقتل في حومة الوغى في عزة وشرف . وعند ما
بلغ الخليفة هذا الكلام ، أعجب به وقال للوزير : « إن كلام سليمان شاه له
الأثر في النفس المنهكة ، فاستعرض الجند حسب تقريره ، لأغنيهم بالدرهم
والدينار ، وسلم أمرهم إلى سليمان شاه ليحقق خطته » .

على أن الوزير عرف أن الخليفة لن يمنح مالا ، لكنه لم يبد - على
الفور - رأيا مخالفاً لأعدائه ، وأمر العارض بأن يعرض الجنود بالتدريج فوجاً
فوجاً ؛ ليصل نياً تعبئة الجنود في حضرة الخليفة إلى البعيد والقريب ، والترك
والعرب ، فتفتقر غزيمة العدو . وبعد خمسة أشهر أبلغ العارض الوزير ، أن الجند
قد صاروا عدداً وفيراً وجيشاً جراراً ، وأن على الخليفة أن يمنح المال . فعرض
الوزير الأمر على المستعصم ، ولكنه اعتذر ، فيئس الوزير من مواعيده كلية ،
ورضى بالقضاء ، ووضع عين الانتظار على نافذة الاضطبار .

مصراع :

حتى يكشف الفلك نفسه عما وراء الستار .

ولما كان الدواندار - في تلك الفترة - خصماً للوزير ، فإن أتباعه من سفلة
المدينة وأو باشها ، كانوا يذيعون بين الناس ، أن الوزير متفق مع هولاء كوخان ،
وأنه يريد نصرته وخذلان الخليفة ، فقوى هذا الظن .

ثم أرسل الخليفة ثانية هدية صغيرة إلى هولاءكو، على يد بدر الدين دريكي
قاضي بندنجان، وبعث يقول :

« لو غاب عن الملك ، فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ؛ إذ أن كل
ملك - حتى هذا العهد - قصد أسرة بنى العباس ودار السلام بغداد، كانت عاقبته
وخيمة . ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك، وأصحاب الشوكة من السلاطين ،
فإن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى إلى يوم القيامة . وفي الأيام السالفة ،
قصد يعقوب بن الليث الصغار الخليفة ، وتوجه بجيش لجب إلى بغداد ، فلم يبلغ
مأربه إذ مات بعله الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ؛ إذ قبض عليه
إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكبله وأرسله إلى بغداد ؛ لكي يجرى عليه الخليفة
ما حكم به القضاء . وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد ،
وقبض على الخليفة ، وسجنه في الخديقة . وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة
عامين ، باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيلية في مصر . وفي النهاية علم
طغرل بك بذلك ، فأسرع من خراسان ، وقصد البساسيري في جيش جرار ،
وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن ، وأعادته إلى بغداد ، وأجلسه
على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد، فعاد منهزماً
وهلك في الطريق . وجاء محمد خوارزمشاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه
الأسرة ، فابتلى في رواي « أسد آباد » بالثلج والعواصف بسبب غضب الله
عليه ، وهلك أكثر جنده ، وعاد خائباً خاسراً . ثم لاقى مالاقي من جدك

چنگيزخان في جزيرة آبكسون . فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصد
أسرة العباسيين . فاحذر عين السوء من الزمان الغادر» .
فاشتد غضب هولاء كـو بسبب هذا الكلام ، وأعاد الرسل قائلاً :

شعر :

— اذهب واصنع من الحديد المدن والأسوار ،
وارفع من الفولاذ الأبراج والهياكل ،
— واجمع جيشاً من المردة والشياطين ،
ثم تقدم نحوى للخصام والنزال .
— فسأنزلك ولو كنت في السماء ،
وسأدفع بك غضباً إلى أفواه السباع .

قصة اشتغال هولاءو خان بترتيب الجيش وتجهيزه لفتح بغداد وما حولها

عندما أعاد هولاءو خان الرسل، كان يفكر في كثرة جنود بغداد، فاشتغل بإعداد الجيش وتجهيزه، وأراد أن يرسل أغلب الجنود إلى نواحي بغداد، حيث الجبال الشاهقة المنيعة فيستولي عليها. ثم أرسل رسولا لاستدعاء «حسام الدين عكه»، الذي كان حاكما على «درتنگ» وما حولها من قبل الخليفة، وكان حائقا عليه، فسلم حسام الدين «درتنگ» - دون تردد - إلى ابنه الأمير سعد، وحضر بنفسه لتقديم الطاعة لهولاءو، فشملة بكثير من العطف والرعاية، وأذن له بالعودة، ومنحه حصني «وروده» و«مرج» وعدة قلاع أخرى، ثم قفل راجعا، فأرسل إلى كل قلعة جيشا فخص له أهلها جميعا، وسلموا له القلاع.

ولما تحققت أمنية حسام الدين التي طالما تمنهاها، وتجمعت عنده جنود سليمان شاه تعظيم وتكبر، وأرسل ابن صلاحية العالوي إلى حاكم إربل، ليصلحه مع ديوان الخليفة وقال:

«لقد قدرت هولاءو خان وما هو عليه من كفاءة وكياسة، ومهما يكن له من العنف والتهديد، فليس له عندي قدر ولا وزن. فلو طيب الخليفة خاطري، وطمان قلبي، وبعث إلى بجيش من الفرسان؛ لجمعت أنا أيضا»

ما يقرب من مائة ألف من فرق المشاة من كرد وتركان ، ولسددت الطرق في وجه هولاء كوخان ، ولا أدعُ أى مخلوق من جنده يدخل بغداد . »

فعرف ابن صلاحيا الوزير بذلك ، فعرضه هذا بدوره على الخليفة ، فلم يبد اهتماما كثيرا . ولما بلغ هولاء كوخان هذا الكلام ، ثارت سورة غضبه ، وأوفد كيتوبوقا مع ثلاثين ألفا من الفرسان لدفعهم . وعند ما اقترب منهم استدعى حسام الدين قائلا : « لقد صمنا على قصد بغداد ، ونحن في حاجة إلى مشاورتك » فحضر حسام الدين دون تفكر أو تدبير ، وأوكل به كيتوبوقا وقال : « إذا أردت النجاة والبقاء حاكما على هذه القلاع ، فأنزل نساءك وأبناءك وأتباعك وجنودك جميعا من هذه القلاع لكي أحصيهم ، وأقرر لهم الأموال والمؤن » . فلم يجد حسام الدين بدا من الطاعة ، وأحضرهم جميعا . فقال كيتوبوقا : « إذا كانت ميولك مخلصه للملك ، فر بتخريب جميع القلاع ليتحقق هذا المعنى » . فأدرك أن كلماته التافهة بلغت مسامعهم ، فبئس من حياته الغالية ، وأرسل من يهدم كل القلاع . ثم قتله المغول مع كافة أتباعه ، وأشياعه ، ماعدا أهل القلعة التي كان فيها ابنه الأمير سعد ، فقد طلبوا إليه التسليم تخويفا وإرهابا ، فلم يجهم وقال : « إن عهدكم غير صحيح ، ولا أثق به » . ثم ظل يتجول مدة خلع العذار في تلك الجبال ، وأخيرا سار إلى بغداد ، ولقى من ديوان الخليفة حسن الاستقبال ، إلى أن قتل في حرب بغداد . وعاد كيتوبوقا محظرا منصوراً إلى حضرة هولاء كوخان ، وكان الخان يتشاور مع أركان الدولة وأعيان

الحضرة في أمر تصميمه على الزحف إلى بغداد ، فكان كل منهم يبدي رأيه حسب ما يعتقد . ثم طلب حسام الدين المنجم الذي كان مصاحباً له بأمر القآن ، ليختار وقت النزول والركوب ، وقال له : « بين كل ما يدولك في النجوم دون مداهنة » . ولما كانت له جرأة بسبب تقربه ؛ فقد قال للملك بصورة مطلقة إنه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة ، والزحف بالجيش إلى بغداد ؛ إذ أن كل ملك - حتى زماننا هذا - قصد بغداد والعباسيين ، لم يستمتع بالملك والعمر . وإذا لم يصغ الملك إلى كلامي ، وذهب إلى هناك ، فستظهر ستة أنواع من الفساد :

أولها : أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجنود .

ثانيها : أن الشمس لا تطلع .

ثالثها : أن المطر لا ينزل .

رابعها : تهب ريح صرصر ، وينهار العالم بالزوال .

خامسها . لا ينبت النبات في الأرض .

سادسها : أن الملك الأعظم يموت في تلك السنة .

فطلب منه هولاءكو خان شهادة بصحة هذا الكلام ، فكتبها المسكين .

وقال اللامات (بختشان) والأمراء : إن الذهاب إلى بغداد هو عين المصلحة .

بعد ذلك استدعى هولاءكو خان الخواجه نصير الدين الطوسي واستشاره ،

فخاف الخواجه ، وظن أن الأمر على سبيل الاختبار ، فقال : « لن تقع أية واقعة

من هذه الأحداث » . فقال هولاءكو : « إذن ماذا يكون . . . » . قال :

« إن هولاءكو خان سيحل نحل الخليفة » . ثم أحضر هولاءكو « حسام الدين » ليتباحث مع الخواجه الذي قال : « لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام ، ولم يحدث فساد قط . ولو قيل إن العباسيين مكرمة خاصة بهم ، فإن طاهرا جاء من خراسان بأمر المأمون ، وقتل أخاه محمدا الأمين ، وقتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء . كذلك قتل الأمراء والغلمان المنتصر والمعتز ، وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص . فلم تختل الأمور .

شعر :

فأضاء قلب الملك من قول العالم ،

كأنه زهرة اللعل في الربيع الباكر .

تصميم هولاء كوخان ، و تحركه . بعد ذلك إلى بغداد ،
وزحف الجيوش من كل ناحية وصوب ، إلى مدينة السلام
والاستيلاء عليها ، و انتهاء الدولة العباسية

بعد ذلك عقد هولاء كوخان النية على فتح بغداد ، فأمر بأن تتحرك
جيوش جرمانغون و بايجونويان اللذين كانت معاقلمهما في بلاد الروم ، وأن
تسير على الميمنة إلى الموصل عن طريق اربل ، ثم تعبر جسر الموصل ، و تعسكر
في الجانب الغربي من بغداد وذلك في وقت معين ، حتى إذا قدمت الرايات
من المشرق ، تخرج إليها من تلك الناحية .

ويسير الأمراء « بلغا بن شيبان بن جوجى » « وتوتار بن سكتنقور بن
جوجى » « وقولى بن أورده بن جوجى » « وبوقاتيمور » « وسونجاق » من
الميمنة أيضا ، و يدخلون من مضيق سوتناى نويان إلى ناحية هولاء كوخان .
أما قوات « كيتو پوقانويان » « و قدسون » « و نرك ايلكا » على الميسرة ،
فكانت تزحف من حدود لرستان و بيات و تكريت و خوزستان حتى ساحل
عمان . ثم ترك هولاء كوخان المعسكرات والأفواج في مرج « زكى » من
ضواحي همدان ، وأمر عليهم « قياق نويان » .

وفى أوائل الحرم سنة ١٢٥٧/٦٥٥ - ٥٨ سار بالجيوش فى القلب الذى
يسميه المغول « قول » عن طريق كرمانشاهان و حلوان . وكان فى ركابه كبار

الأمراء : كوكا إيلكا وأرقتو وأرغون آقا ، ومن الكتاب : قراتاي وسيف الدين البيتكجي المدبر لشؤون المملكة ، والخواجه نصير الدين الطوسي ، والصاحب السعيد علاء الدين عطا ملك الجويني ، مع كافة السلاطين والملوك . وكتاب بلاد إيران .

وعند ما بلغ أسد آباد ، أوفد رسولا لدعوة الخليفة مرة أخرى للحضور ، فكان يماطل ويتعطل ، ووصل ابن الجوزي إلى ديتور للمرة الثانية قادمًا من بغداد ، يحمل رسالة بالوعد والوعيد ، وملتصا أن يعود هولاء كوخان ويتراجع ، في مقابل أن يسلم الخليفة للخزانة ، كل ما يقرره هولاء كوخان . فظن هذا أن الخليفة يريد من وراء عودة الجيوش ، أن يعد جنده ويهيئهم لمقاومة المغول ، فقال : « وكيف نترك زيارة الخليفة ، بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق . سوف نعود بإذنه بعد الحضور للقائه والتحدث معه » .

وقد تحرك جنود المغول من هناك إلى جبال الأكراد ، ونزلوا بكرمانشاه في السابع والعشرين من الشهر ، وقاموا بالقتل والسلب ، وأرسلوا رسولا ليحضر على الفور - الأمراء سونجاق وبايجونويان وسوتتاي ، فوصلوا إلى الحضرة في طاق كسرى . ثم قبضوا على « ابيك الحلبي » . وسيف الدين قليج ، اللذين كانا من طلائع جيش الخليفة ، وأحضرهما إلى الحضرة ، فأعطى هولاء كوخان الأمان لأبيك ، وفي نظير ذلك قبل أن يقول الصدق . ثم جعلهما هولاء كوخان مرشدين لطلائع قوات المغول . بعد ذلك أعاد الأمراء مرموقين

بالعطف والرعاية ، ليعبروا نهر دجلة ، ويتوجهوا إلى غرب بغداد ، وأحرقوا
أكتاف الأغنام جريا على عادتهم ، ثم عادوا وعبروا نهر دجلة قاصدين غرب
بغداد .

وفي تلك الجهة كان قائد الطلائع لجند الخليفة ببغداد، هو قبچاق المعروف
بقراسنقر . أما سلطان جوق الذي كان من نسل الخوارزميين ، فقد كان مع
طلائع المغول ، فكتب هذا رسالة إلى قراسنقر يقول فيها :

« إنى وأنت من جنس واحد ، وبعد البحث والتدقيق، التحقت بخدمة
هولاغو ، بسبب الفقر والاضطرار ، ودخلت في طاعته . وهو الآن يعاملني
معاملة طيبة . فأنت أيضا حياتك وترفق بها ، وأشفق على أولادك ،
وقدم الطاعة ؛ حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء
القوم » .

فكتب قراسنقر مجيبا :

« من يكون هؤلاء المغول، حتى يقصدوا أسرة العباسيين .. لقد شاهدت
هذه الأسرة ، الكثيرين من أمثال دولة چنگيزخان ، وإن أساسها لأكثر
إحكاما ورسوخا من أساس أسرة چنگيزخان ، التي تترنح من كل ريح عاصف .
ثم إن العباسيين قد استمروا حكاما أكثر من خمسمائة سنة ، وكل مخلوق
قصدهم بسوء قضى عليه الزمان . وإذن فليس من العقل والكياسة، أن تدعوني
لأنضم إلى جانب النصف الغض للدولة چنگيزخان ، وكان الأولى بالود

والمسالمة ، ألا يتجاوز هولاء خن الري بعد فراغه من فتح قلاع الملاحدة ، وأن يعود إلى خراسان وتركستان ، لأن قلب الخليفة متأثر وساخط بسبب زحف هولاء كوجيوشه . فإذا كان هولاء نادما حقا على فعلته ، فعليه أن يعيد الجيش إلى همدان ؛ لكي نجعل الدواتدار شقيعا ، فيتضرع بدوره إلى الخليفة ، عليه نزول ألمه ، ويقبل الصلح ، فيغلق بذلك باب القتال والجidal .

فلما عرض سلطان جوق تلك الرسالة على هولاء كوجيوشه ، ضحك وقال « إن اعتمادى على الله لا على الدرهم والدينار . فإذا كان الله الأزلى مساعدا لى ومعينا ، فماذا أخشاه من الخليفة وجيشه . . »

شعر :

— تتساوى فى نظرى العلة والبعضة والنيل ،

كما يتساوى الينبوع والنهير والبحر والنيل .

— ولو كان أمر الله على خلاف ذلك ،

فمن يدرى سواه كيف يكون ذلك الكلام . .

ثم أرسل من جديد رسولا يقول :

« إذا كان الخليفة قد أطاع فإيخرج ، وإلا فليأتها للقتال ، وليحضر

إلينا قبل كل شيء ، الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليسمعوا ما تقول . »

وفى اليوم التالى سار هولاء كوجيوشه وعسكر على شاطئ نهر حلوان ، فى التاسع

من ذى الحجة سنة ٦٥٥/١٢٥٧ ، حيث أقام إلى الثانى والعشرين من

ذلك الشهر . وفي هذه الأيام استولى كيتوبوقا على كثير من بلاد لرستان طوعا وكرها .

وفي الحادى عشر من شهر جقشاباط ، من سنة موغا « موغابيل » ، الموافق التاسع من المحرم سنة ٦٥٦ - ١٢٥٨ ، عبر بايجونويان وبوقاتييمور وسونجاق فى الوقت المقرر - نهر دجلة ، عن طريق نهر دجيل ، ووصلوا إلى نواحى نهر عيسى . وقد اتمس سونجاق نويان إلى بايجو ، أن يكون قائداً لجيش غرب بغداد ، ثم سار بعد الاستئذان وجاء إلى حرية .

وقبل ذلك كان مجاهد الدين أيبك الدواتدار ، الذى كان قائداً لجيش الخليفة ومعه « ابن كر » ، قد أقاما معسكرهما بين بعقوبه وياجسرى .

وحينا سمعا بمجىء المغول إلى الضفة الغربية عبرا نهر دجلة ، وحاربا سونجاق وبوقاتييمور فى حدود الأنبار ، على باب قصر المنصور فى أعلى المزرقة ، على تسعة فراسخ من بغداد ، فلوى جنود المغول العنان ، وجاءوا إلى بشرية من ناحية دجيل . فلما لحقوا ببايجو ، ووصل هؤلاء أعادوهم . وفى تلك النواحى ، كان يوجد نهر كبير ، ففتح المغول السد المقام عليه ، فغمرت المياه كل الصحراء الواقعة خلف جيش بغداد . وفى فجر يوم الخميس من نهار عاشوراء ، دهم بايجو وبوقاتييمور الدواتدار وابن كر ، وانتصرا عليهما ؛ فهزم جيش بغداد ، وقتل فتح الدين بن كر وقراسنقر ، اللذان كانا قائدى الجيش ، مع اثنى عشر ألف رجل فضلا عن غرق ، أو قضى نحبه فى الوحل .

أما الدواتدار فقد فر هارباً مع نفر ضئيل ، وعاد إلى بغداد ، كما هرب البعض إلى الحلة والكوفة . وفي يوم الثلاثاء منتصف المحرم ، قدم بوقاتييمور وبايجو وسونجاق إلى بغداد ، واستولوا على الجانب الغربي ، ونزلوا في أحياء المدينة على شاطئ نهر دجلة ، ووصل أيضاً بوقانويان والأمراء الآخرون من ناحية «نجاسية» وصرصر بجيش عظيم ، وترك هولاً كوخان معسكراته في خاتقين ، وواصل سيره إلى بغداد ، ونزل في الجهة الشرقية منها ، في السابع من شهر جقشباط من سنة موغاً ، الموافق الحادى عشر من المحرم سنة ٦٥٦-١٢٥٨ . ثم تدفق جيش المغول كالنمل والجراد من كل جهة وناحية ، فحاصروا أسوار بغداد ، واحتموا بمجدار أقاموه .

وفي يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم شرعوا في الحرب ، والتحم الجيشان . وكان هولاً كوخان في القلب من طريق خراسان ، على الجانب الأيسر من المدينة ، في مقابل البرج العجى ، وكان ايلكا نويان وفربا على بوابة كلواذى . أما قولى و بولغا وتوتار وشيرامون وأرقيو ؛ فقد نزلوا في عرض المدينة في مواجهة بوابة سوق السلطان ، وكان بوقاتييمور يقف في جهة القلعة وجانب القبلة ، بموضع «دولاب بقل» ، وكان بايجو وسونجاق يرابطان في الجانب الغربى ، حيث مارستان العضى . وكان الجميع يحاربون ، وقد صوبوا المنجانيق مباشرة تجاه برج العجى ، حتى أحدثوا فيه ثغرة .

وعندئذ أرسل الخليفة الوزير والجائليق إلى هولاً كوخان يقول :

« إن الملك قد أمر بأن أبعث إليه بالوزير ، وها أنا ذا قد ليبت طلبه ،
فينبغي أن يكون الملك عند كلمته » .

فرد الملك قائلاً :

« إن هذا الشرط طلبته وأنا على باب همدان . أما الآن فنحن على باب
بغداد ، وقد ثار بجر الاضطراب والفتنة ؛ فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي أن ترسل
هؤلاء الثلاثة يعنى الدواتدار وسليمان شاه والوزير »

ثم ذهب الرسل إلى المدينة . وفي اليوم التالى خرج إلى هولاء ، الوزير
وصاحب الديوان ، وجمع من المعارف والمشاهير ، ولكنه أعادهم . وقد دارت
حرب طاحنة مدة ستة أيام . ثم أمر الملك بأن يكتب ستة منشورات ؛ تفيد بأن
القضاة والعلماء والشيوخ والسادات والتجار ، وكل من لا يحاربنا ، لهم الأمان
منا ، وربطوا هذه المنشورات بالنبال ، وألقوها على المدينة من جوانبها الستة .
ولما لم تكن توجد حجارة للسجانيق فى أطراف بغداد ، فإنهم كانوا
يأتون بها من جبل الحمرين وجولاء ، وكانوا يقطعون النخيل ، ويرمون
بقطعها بدلا من الحجارة .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من الحرم ، هدم المغول برج العجى .
وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين ، وحيث كان يقف هولاء ، تسلق
جنود المغول السور عنوة ، وطهروا أعلى الأسوار من الجند . لكنهم
لم يتسلقوا الأسوار من ناحية سوق السلطان ، حيث كان يحارب بولغا وتوتار .

فعاتبهم السلطان . كذلك لم يذهب أتباعهم . وفي المساء تسلم المغول جميع الأسوار الشرقية .

بعد ذلك أمر هولاءكو خان بأن يقيموا جسرا في أعلى بغداد، وآخر في أسفلها وأن يعدوا السفن ، وينصبوا المجانيق ، ويعينوا المستحفظين ، وكان بوقا تيمور قد رابط مع عشرة آلاف جندي على طريق المدائن والبصرة ، ليصد كل من يحاول الهرب بالسفن . ولما جرى وطيس الحرب في بغداد ، وضاق الحال على الأهالي ، أراد الدواتدار أن يركب سفينة ، وأن يهرب إلى ناحية « سيب » . ولكنه بعد أن اجتاز قرية « العقاب » ، أطلق جنود بوقا تيمور حجارة المتجنق والسهام وقوارير النقط ، واستولوا على ثلاثة سفن ، وأهلكوا من فيها ، وعاد الدواتدار منهزما .

فإذا وقف الخليفة على تلك الحال ، يئس نهائيا من الاحتفاظ ببغداد ، ولم ير أمامه مفرًا ولا مهربًا قط، فقال :

« سأسلم وسأطبع » . ثم أرسل فخر الدين الدامغانى وابن درنوش، مع قليل من التحف إلى هولاءكو ، زاعما أنه لو بعث بالكثير ، لكان ذلك دليلا على خوفه فيتجرأ العدو ، فلم يلتفت هولاءكو إلى هذه الهدايا ، وعادا محرومين . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم خرج من بغداد (للقاء هولاءكو) ، أبو الفضل عبد الرحمن بن الخليفة الثانى ، بينما ذهب الوزير إلى المدينة ، وكان صاحب الديوان وجماعة من العظماء مع أبى الفضل ، وقد حملوا أموالا كثيرة ، فلم تقبل منهم أيضا . وفي غد ذلك اليوم، آخر المحرم خرج ابن الخليفة الأكبر

ومعه الوزير وجماعة من المقربين للشفاعة فلم يجدوا فائدة ، وعادوا إلى المدينة .
وقد بعث الملك الخواجه نصير الدين وايتمور برسالة إلى الخليفة ، فخرجا
في صحبة رسل بغداد في غرة صفر . وأرسل فخر الدين الدامغانى الذى كان صاحب
الديوان ، وابن الجوزى وابن درنوش إلى المدينة ليخرجوا منها سليمان شاه
والدواتدار ، ومنحهم فرمانا وپايزه تطميناً لهم وتقوية لموقفهم وقال : « إن
الرأى للخليفة ، فله أن يخرج أو لا يخرج ، وسيكون جيش النول مقبياً على
الأسوار إلى أن يخرج سليمان شاه والدواتدار . وفي يوم الخميس غرة صفر خرج
الرجلان ، فأعادها مرة ثانية إلى المدينة ليخرجا أتباعهما حتى ينضموا إلى
قوات مصر والشام ، وعزم جند بغداد على الخروج معهم ، وكانوا خلقاً
لايخصى مؤمليهم أن يجدوا الخلاص ، فقسومهم ألفاً ومئات وعشرات
وقتلوهم جميعاً .

أما من بقى في بغداد فقد هربوا إلى الأنتاق ومواقد الحمامات . ثم خرج
جماعة من أعيان المدينة وطلبوا الأمان قائلين :

إن أناساً كثيرين طائعون خاضعون فليمهلوا ؛ لأن الخليفة سيرسل أبناءه ،
ويخرج بنفسه أيضاً . وفي تلك الأثناء أصاب سهم عين « هندو البيتكجى »
وكان من أكابر الأمراء ، فتملك هولاً كوخان ، غضب عظيم وجد في
الاستيلاء على بغداد ، وأمر الخواجه نصير الدين بأن يقيم على بوابة الحلبة
أماناً للناس ، فشرع الأهالى يخرجون من المدينة .

وفي يوم الجمعة الثاني من صفر قتل الدواتدار ، وجيء بسليمان شاه
مع سبحة من أقاربه ، وكان مكبل اليدين ، فاستجوبه هولاء قائلوا :

« لقد كنت منجماً ، ومطاماً على أحوال السعد والنحس للبلاد ، فكيف
أنت لم تنتبأ بسوء مصيرك ، ولم تنصح مخدمك لكي يبادر إلينا عن طريق
الصلاح . . . » .

فأجاب سليمان شاه : « لقد كان الخليفة مستبداً برأيه ، منكود الطالع ،
فلم يستمع لنصح الناصحين » .

ثم أمر بقتله مع كافة أتباعه وأشياعه كما قتل الأمير تاج الدين بن الدواتدار
الكبير ، وأرسل رؤوس هؤلاء الثلاثة على يد الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ
إلى الموصل . وكان بدر الدين صديقاً لسليمان شاه فبكي ، ولكنه علق رؤوسهم
خوفاً على حياته .

وبعد أن رأى الخليفة المستعصم أن الأمر قد خرج من يده ، استدعى
الوزير وسأله : « ماتدير أمرنا » . فأشد الوزير هذا البيت في جوابه :

يظنون أن الأمر سهل وإنما هو السيف حدث للقاء مضاربه

وبعد خراب البصرة خرج ومعه أبناؤه الثلاثة : أبو الفضل عبد الرحمن
وأبو العباس أحمد وأبو المناقب مبارك وكان ذلك في يوم الأحد الرابع من
صفر سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ وكان معه ثلاثة آلاف من السادات والأئمة والقضاة

والأكابر وأعيان المدينة . ثم قابل هولاء غوخان ، فلم يبد الملك غضبا قط ،
وكلمه بالحسنى ثم قال له بعد ذلك :

« مر حتى يضع سكان المدينة أسلحتهم ، ويخرجوا لكي نحصيهم » .
فأرسل الخليفة من ينادى في المدينة ليضع الناس أسلحتهم ، ويخرجوا . فألقى
الناس أسلحتهم زمرا زمرا ، وصاروا يخرجون ، فكان المغول يقتلونهم . ثم
أمر بأن تقام الخيام للخليفة وأبنائه وأتباعه ببوابة كلواذى في معسكر كيتوبوقا
نويان ، ونزلوا فيها ، وعهدوا بجراستهم إلى عدد من المغول ، وكان الخليفة
ينظر بعين الحقيقة إلى هلاكه ، ويأسف على تركه الحزم ، وإبائه قبول
النصح .

شعر :

قال في نفسه : لقد فاز عدوى إذ رآنى ،

قد وقعت في الشرك كالطائر الحذر .

وكان بدء القتل العام والنهب في يوم الأربعاء السابع من صفر ، فاندفع
الجند مرة واحدة إلى بغداد ، وأخذوا يحرقون الأخضر واليابس ماعدا قليلا
من منازل الرعاة ، وبعض الغرباء .

وفي يوم الجمعة التاسع من صفر دخل هولاء غوخان المدينة لمشاهدة قصر
الخليفة ، وجلس في اليمينية ، واختفل بالأمراء . ثم أشار بإحضار الخليفة ،
وقال له :

« إنك مضيف ونحن الضيوف ! . . . فيها أحضّر ما يليق بنا » . فظن الخليفة أن هذا الكلام على سبيل الحقيقة ، وكان يرتعد من الخوف ؛ وبلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزان . فأمر بكسر عدة أقفال ، وأحضر لهولاكو ألفي ثوب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وعددا من الجواهر ، فلم يلتفت هولاكو خان إليها ومنحها كلها للأمرء والحاضرين ثم قال للخليفة :

« إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة ، وهي ملك عبيدنا . لكن اذكر ماتملكه من الدفائن . ماهي وأين توجد » . فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر ، حفروا الأرض حتى وجدوه . كان مليئا بالذهب الأحمر ، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال .

بعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة ، فعدوا سبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة . فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه ، تضرع وقال : « من على بأهل حرمي اللأى لم تطلع عليهن الشمس والقمر » . فقال له هولاكو : « اختر مائة من هذه النساء السبعمائة ، وأترك الباقي » . فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه ، والمحبيات إليه . ثم رجع هولاكو خان إلى المعسكر ليلا . وفي الصباح أمر بأن يسير سونجاق إلى المدينة ، وأن يجرد أموال الخليفة ، ويحرقها . وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون ، وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل . وقد احترق أكثر

الأماكن المقدسة في المدينة مثل جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة وقيبور الخلفاء .

وأخيرا أوفد سكان المدينة « شرف الدين المراغي » و « شهاب الدين الزنجاني » و « الملك دل راست » إلى هولانغو وطلبوا الأمان ؛ فصدر الأمر بالتوقف من بعد ذلك عن القتل والنهب ، لأن بغداد أصبحت ملكا لنا . فليستقر الأهالي ، ولينصرف كل شخص إلى عمله . وبهذا وجد الأمان أوثلثك الذين نجوا من السيف .

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر ، رحل هولانغو خان عن بغداد بسبب عفونة الهواء ، ونزل بقريتي « وقف وجلابية » ، وأرسل الأمير عبد الرحمن لفتح ولاية خوزستان ، ثم استدعى الخليفة ، فأدرك هذا أن أمارات النحاس تبدو على مصيره ، وخاف خوفا شديدا ، وقال للوزير : « ما حيلتنا » . فأجاب الوزير : « لحيتنا طوييلة » . وكان مراده من ذلك أنه عندما فكر أول الأمر في أن ترسل أحمال وفيرة لدفع هذا البلاء ، قال الدواتدار : « لحية الوزير طوييلة » ؛ وجال دون الأخذ بهذا الرأي ، واستمع الخليفة لكلامه ، وأهمل تديير الوزير .

ويئس الخليفة من إنقاذ حياته ، واستأذن في أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله . فأمر هولانغو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول ، ولكن الخليفة

قال : « أنا لأريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية » ، وكان ينشد بيتين
أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها :

وأصبحنا لنا دار كجنت وفردوس وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالأمس
وفي مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦ قضاوا على الخليفة
وعلى ابنه الأكبر ، وخمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية « وقف » .
وفي اليوم التالي قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذى . كذلك
قضاوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفرادا قلائل لم يأبها
بهم . وقد سلم مباركشاه الابن الأصغر للخليفة إلى « اوجاى خاتون » ، فأرسلته
إلى مراغة ليكون مع الخواجه نصير الدين ، ثم زوجته من امرأة مغولية ، فأنجب
منها ولدين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر من صفر ألقوا الابن الثانى للخليفة ، بوالده
وأخيه . وبذلك قضى على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بنى أمية .
وكانت مدة خلافتهم خمسا وعشرين وخمسمائة سنة ، وعددهم سبعة وثلاثون
خليفة حسب ما أتى بالتفصيل .

السفاح ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ،
المعتصم ، الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعز ، المهتدي ،
المعتد ، المعتضد ، المكتفي ، القتدر ، القاهر ، الراضى ، المتقى ،
المستكفي ، المطيع الطائع ، القادر ، القائم ، المتحدى ، المستظهر ، المسترشد ،

الراشد ، المتقنى ، المستنجد ، المستضىء ، الناصر ، الظاهر ، المستنصر ، المستعصم الذى كان خليفة لفترة سبع عشرة سنة .

وفى نفس اليوم الذى قتلوا فيه الخليفة ، أرسلوا إلى المدينة مؤيد الدين بن العلقمى ليقوم بالوزارة ، وفخر الدين الدامغانى ليكون صاحب الديوان ، وجعلوا على بهادر شحنة لها ، وعينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان ، ونصبوا عماد الدين عمر القزوينى نائباً للأمير « قرأتاى » ، وهو الذى عمر مسجد الخليفة ومشهد موسى الجواد . كذلك نُصِّب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران الملقب براست دل (المخلص) واليا على أعمال شرقى بغداد ، مثل طريق خراسان وخالص وبنديجين ، وأمر هولانكو بأن يكون نظام الدين عبد المؤمن البندنجينى قاضياً للقضاة ، واختار ايلككا نويان وقرابوقا ومعهما ثلاثة آلاف من فرسان المغول ، وبعث بهم إلى بغداد ليقوموا بالعمارة فى الحال ، وليعملوا على استتباب الأمن .

ثم بادر كل شخص بدفن قتلاه ، وطهرت الطرق من جثث الحيوانات والنافقة ، وعمرت الأسواق . وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من صفر حضر إلى الدرگاه شرف الدين ابن الوزير وصاحب الديوان ، لتلقى التعليمات ثم عادا . وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين رحل هولانكوخان ، ونزل بقبة شيخ الكارم ، ويومئذ هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ معسكراته فى خاقين .

وأثناء حصار بغداد كان قد قدم إليه بعض العلويين والفقهاء من الخلة ،

والتمسوا إليه أن يعين لهم شحنة ، فأرسل إليهم هولاء غوخان بوكله والأمير بجلى النخجوانى ، وأوفد فى أثرها بوقاتيمور أخا اوجاى خاتون لجس نبض أهالى الخلة والكوفة وواسط ، والوقوف على مدى إخلاصهم ، فاستقبل أهل الخلة الجند ، وأقاموا جسرا على الفرات ، وأقاموا الأفراح ابتهاجا بقدمهم . ولما شاهد بوقاتيمور إخلاصهم وثباتهم ، رحل فى العاشر من صفر ، وتوجه إلى واسط فبلغها فى السابع عشر . ولكن أهلها لم يدخلوا فى الطاعة ، فأقام هناك ، واستولى على المدينة ، وشرع فى القتل والنهب ، فقتل ما يقرب من أربعين ألف شخص . ثم سار من هناك إلى خوزستان ، واصطحب معه شرف الدين بن الجوزى حتى مدينة شستر . وقد فر بعض جنود الخليفة والأتراك من أتباعه ، وقتل بعضهم . ودخلت البصرة وما حولها فى الطاعة ، والتمس الأمير سيفه الدين البيهنكجى إلى الحضرة أن يرسل مائة مغولى إلى النجف ليحافظوا على مشهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وعلى أهل تلك البلدة . وفى الثانى عشر من ربيع الأول وصل بوقاتيمور إلى المعسكر .

وفى التاسع عشر من ربيع الأول أعاد هولاء غوخان رسل حلب الذين كانوا قد قدموا إلى بغداد ، وحملهم رسالة كتبها بالعربية الخواجه نصير الدين الطوسى بأمر هولاء ، وهذا نصها :

« أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وسمائة فساء صباح المبذرين ، فدعونا مالكمها فأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذنا وبيلا . وقد دعوناك إليه

طاعتنا فإن أتيت فروح وريحان ، وإن أبيت فخزي وخسران . فلا تكن
كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه فتكون من الأخرين
أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .
فما ذلك على الله بعزیز والسلام على من أتبع الهدى » .

وفي يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ، وصل هولاء إلى
« اغروق » من ضواحي همدان وسياه كوه . ثم توقف عن الرحيل ؛ إذ
انحرفت صحته مدة أسبوع ، استعاد بعدها صحته . وفي السادس عشر من ربيع
الآخر توفي كوكه بيتكچی ، وفي يوم الأربعاء العشرين من هذا الشهر حضر
إلى الدرگاه ايلكا نويان وبعض الأمراء ، وفي يوم الخميس الثانى من جمادى
الآخرة توفي مؤيد الدين وزير بغداد ، وعين ابنه شرف الدين فى مكانه .

سقوط مدينة إربل على يد أرقيو نويان

ومحاصرته قلعتها

في الوقت الذي عزم هولاء كوخان على فتح بغداد ، عهد إلى أرقيو نويان بفتح قلعة « إربل » . وتلك قلعة حصينة شيدت على مرتفع ، وليس لها نظير في الربع المسكون . وعندما شرع أرقيو نويان في محاصرتها ، بادر شجعان القلعة بالحرب . وقد قدم الصاحب تاج الدين بن صلاحية الأربلي ففرض الطاعة ، وقام بخدمات جليلة ، ولكن أرقيو نويان قال له : « إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة » . فذهب تاج الدين إلى باب القلعة ، فلم يسمح له حشود الأكراد بالدخول ، وعاد مضطرا بعد كثير من الضغط والإلحاح . ثم قدم إلى أرقيو ، فأرسله بدوره إلى حضرة هولاء كوخان . وعند محامته ثبت جرمه ، واستشهد . وقد ظل أرقيو يحاصر القلعة مدة ، ولكن لم يخضع أهلها على هذا النحو المطلوب ، فطلب المدد من السلطان بدر الدين ، فأرسل عددا من الجنود . وذات ليلة نزل أهل القلعة ، وشنوا غارة ليلية على المغول ، وقتلوا كل من وجدوه ، وأشعلوا النار في المجانيق وأحرقوها ثم عادوا إلى القلعة .

فلما عجز أرقيو استدعى بدر الدين لؤلؤ وتشاور معه . فقال له بدر الدين لؤلؤ : « التدبير هو أن تدع هذا العمل حتى الصيف ؛ لأن الأكراد

يفرون من الحر ، ويلجأون إلى الجبال . أما الآن فالجو معتدل ، وعندهم ذخائر وافرة ، والقلعة غاية في الإحكام فلا يتيسر فتحها إلا بالحيلة والتدبير . وأخيرا سلمها أرقيو إلى السلطان بدر الدين فهدم أسوارها . وبهذه الطريقة سقطت القلعة أيضا ، وسار أرقيو إلى الشام والسلام .

« نقل أموال بغداد وقلاع الملاحدة إلى ناحية آذربيجان ، وخبزها
في قلعة جبل على ساحل بحيرة سلماس ، وقدم بدر الدين لؤلؤ
وعز الدين سلطان الروم لتقديم الطاعة »

أرسل هولاء كوخان الخزان والأموال الوافرة التي أتت بها من بغداد
إلى آذربيجان، على يد الملك ناصر الدين بن علاء الدين صاحب الري، وكذلك
كل ماغنمه من قلاع الملاحدة والروم والكرج والأرمن واللور والأكراد .
وقد كلف الملك مجد الدين التبريزي ببناء عمارة عالية شديدة الإحكام، على جبل
يقع على ساحل بحيرة أورمى وسلماس . ثم صهر الكنوز جميعاً ، وجعلها
سبائك ووضعها هناك ، وأرسل بعضاً من تلك التحف والأموال إلى حضرة
القائن مع بشارات الفتح والظفر ، وأخبره بما كان من تسخير بلاد إيران ،
وعزيمته على التوجه إلى ديار مصر والشام . وكان الأمير هولاء قد ذهب
لإبلاغ تلك الرسالة ، فسر القائن بهذه البشريات سروراً شديداً .

وفي تلك السنة توجه بدر الدين لؤلؤ إلى الحضرة ببناء على أمره
هولاء كوخان ، فجاء على عجل ، ووصل إلى الدرگاه في ضواحي مراغه في التاسع
والعشرين من شهر رجب سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ ، وكان قد جاوز التسعين ،

فشمه هولاءوخان بالإعزاز والتكريم الوافرين ، ثم أعاده في السادس من شعبان من تلك السنة . كذلك جاء إلى الحضرة الأتابك سعد بن أبي بكر أتابك فارس في السابع من شعبان المذكور للتهنئة بفتح بغداد ، فخطى بالعناية الخاصة ، وحضر أيضاً السلطان عز الدين صاحب الروم في الرابع من ذلك الشهر في مونيقي من ضواحي تبريز ، ثم جاء في إثره السلطان ركن الدين في يوم الأربعاء الثامن من ذلك الشهر . وكان هولاءوخان ممتعضاً من السلطان عز الدين بسبب عدم اعتمائه بيايجو نو بيان وقتاله إياه . فلما فتحت بغداد ، خاف السلطان عز الدين خوفاً شديداً ، وأراد أن يبحث له عن مخرج من ورطة هذا الذنب معتمداً على دقائق الحيل لكي ينقذ نفسه ، فأمر بصنع حذاء ملكي في غاية الجودة ، ونقشت صورته على نعل ذلك الحذاء ، ثم قدمه للملك أثناء معابته إياه . وعندما وقع نظر هولاءوخان على تلك الصورة ، قبل عز الدين الأرض وقال : « إن أملي هو أن يُشرفَ الملك رأس هذا العبد بوضع قدمه المباركة عليها » . فرقى له هولاءوخان ، ورفعت دوقوز خاتون من قدره ، وتشفعت له ، فعفا عنه .

وفي تلك الأثناء ذكر الخواجه نصير الدين الطوسي أن السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ووصل إلى تبريز على أثر هزيمته من المغول وظفرهم به ، وكان جنوده يعتدون على الرعايا . فلما عرضوا عليه ذلك الأمر قال : « إننا في هذا الوقت

غزاة فأتحمون للبلاد ولسنا مدبرين لشئونها ، ولا يشترط عند الغزو مراعاة شئون
الرعية ؛ فإذا ماصرنا حكما فإننا سوف نغيث الملهوفين « . . . أما
هولا گوخان فقد قال : « إنا بحمد الله فأتحمون للبلاد ومدبرون لشئونها . نغزو
الطغاة ، ونرعى شئون المطيعين ، ولسنا مثل جلال الدين - مبتلين بالعجز
والضعف » .

قصة مولانا السعيد سلطان الحكماء الخواجه

نصير الملة والدين ، و بناء المرصد في مدينة

مراغة بأمر هولاء گوخان

وفي التاريخ المذكور صدر الأمر بأن ينشئ مولانا الأعظم السعيد أستاذ البشر ، سلطان الحكماء ، الخواجه نصير الدين الطوسي - تعمهده الله بغفرانه - مرصدا للكواكب في الموضع الذي يراه مناسباً ، فاختار مدينة مراغة لهذا الغرض ، وشيد مرصدا مرتفعا . وكان السبب في إقامة هذا المرصد ، هو أن منگوقاآن كان من بين ملوك المغول يمتاز بكمال العقل والكياسة ، وذكاء الذهن والفراسة بحيث كان يستطيع أن يحل بعض أشكال إقليدس ، فاقضى رأيه السديد وهمته العالية أن يشيد مرصد في عهده المبارك ، وأمر بأن يقوم بهذه المهمة جمال الدين محمد بن طاهر بن محمد الزيدى البخارى . ولكن اشتهت عليه بعض الأعمال المتعلقة بهذا المرصد ، وكان عيب الفضائل الخواجه نصير الدين ذاتها في كل مكان كأنه الريح الدائرة في العالم .

فلما أن كان منگو يودع أخاه ، كلفه بأن يرسل إليه الخواجه نصير الدين بعد أن يستولى على قلاع الملاحدة . ولكن لما كان منگوقاآن مشتغلا في ذلك الوقت بفتح ممالك « منزى » ، و بعيدا عن حاضرة ملكه ، فقد أمر

هولاً گوخان بأن يشيد المرصد أيضاً في هذا المكان (أى إيران) ؛ ذلك لأنه كان قد اطلع على حسن سيدة نصير الدين ، وصدق سريرته ، فكان يريد أن يظل ملازماً له . وقد أنشئ المرصد الإيلخانى بعد مضى سبع سنوات من جلوس هولاً گوخان على العرش الخانى ، وكان ذلك بمشاركة الحكماء الأربعة مؤيد الدين العرضى وفخر الدين المراغى وفخر الدين الأخلاطى ونجم الدين دهران القزوينى والسلام .

توجه هولاء كوخان إلى ديار الشام والاستيلاء على حلب ومدن الشام الأخرى

كان سلطان حلب قد أرسل وزيره الصاحب زين الدين الحافظي بتحف وهدايا ملكية إلى حضرة القآن ، فعرف في الدرگاه واشتهر ؛ وصدر له فرمان وپايزه . ولما حل هولاء كوخان ببلاد ايران ، كان سلطان حلب أحيانا - يظهر الطاعة والميل إليه في الخفاء ؛ فاتهم لهذا السبب عند سلاطين الشام ، وقصدوه فهرب ، والتجأ إلى حضرة هولاء كوخان ، فقوى ذلك من عزمه على فتح حلب . فأرسل في بادئ الأمر الرسل إلى بدر الدين لؤلؤ وقال له : « إن سنك قد جاوزت التسعين ولذلك أعفيناك من السير معنا . ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك صالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر » . فسير بدر الدين ابنه حسب الأوامر الصادرة إليه . ولما وصل الملك صالح إلى حضرة هولاء كوخان ، منحه ابنة السلطان جلال الدين خوارزمشاه ليتزوج منها .

ثم أوفد كيتوبوقا نويان في المقدمة مع جيش كامل ، وجعل سكنقور وبايجو على الليمنة ، والأمراء الآخرين على اللمسرة . وتوجه بنفسه في القلب إلى ديار الشام ، في يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان سنة ٦٥٧ / ١٢٥٩
(٢٠ - جامع التواريخ)

بطلح نجم العقرب . فلما وصل إلى « آلاتاغ » أعجبتته مراعيها ، وسماها « لبنا ساغوت » . ثم دخل خلاط وجبال هكار (حكار) التي كانت مقرا ومفرا^١ للأكراد الضالين ، فقتل المغول كل شخص وجدوه منهم .

وعندما بلغ ديار بكر ، فتح أولا « الجزيرة » ، وعين ابنه يشموت بصحبة سونتاي نويان لمحاصرة حصن ميافارقين ، وأرسل الملك الصالح بجيش لفتح آمد ، وتوجه بنفسه إلى « روحه » واستولى عليها ، ومنها سار إلى دُنيسر ونصيبين وحران ، وفتحها عنوة . ولقد قتل المغول ونهبوا ، وعبروا الفرات ، ونجاة حاصروا حلب . ولكن أهلها أبوا الخضوع والتسليم معتمدين على متانة قلعتهن ، وأقدموا على القتال .

وكان أرقيو نويان على بوابة اليهود ، وكتبوبقا نويان على باب الروم . وسونجاق على باب دمشق ، ونزل هولانكوخان على باب الانطاكية . ثم شيدوا الأسوار حول المدينة ، وأقاموا المجانيق ، واشتبك الطرفان في قتال عنيف مدة أسبوع . وأخيرا فتحت المدينة من ناحية باب العراق في ذى الحجة سنة ٦٥٧ / ١٢٥٩ . وأباح المغول القتل والسلب سبعة أيام ، وقتل خلق كثير . ولكنهم استمروا يحاربون أهل القلعة مدة أربعين يوما ، فكانت المجانيق والسهام تتقاطر من الجانبين ، وجرح الأمير قورجيان واوجو سوكورجى . وصادق قورجى الذين كانوا من قواد الجيش - في عدة مواضع من أجسامهم . وخاصة وجوههم فكان الملك يعطف عليهم ويشجعهم قائلا : « كما أن اللون

الأحمر يكون زينة النساء ، فكذلك للرجال تكون الدماء الحمراء على وجوههم ولحاهم زينة لهم .

وقد سقطت القلعة آخر الأمر ، وأسر المغول كثيرا من أرباب الحرف ، واستولوا على غنائم لاحصر لها . ثم شغلوا مدة بمحاصرة قلعة حارم ، وأخيرا طلب أهلها الأمان لكنهم اشترطوا أن يقسم لهم فخر الدين المعروف بالساق على الأمان لكي ينزلوا ، ثم سلموا بناء على عهده وأيمانه ، فكان أن غضب عليهم هولاكوخان غضبا شديدا ، وأمر بأن يقتلوا دفعة واحدة مع نساءهم وأطفالهم . ولم ينج منهم إلا صائغ أرمني . ولما استولى المغول على قلعة حلب ، سلمها هولاكوخان إلى فخر الدين الساق ، وأسند شحتها إلى توكال بنجشى . وبعد أن غادر حلب ، قدم أهلها إليه الشكاوى من فخر الدين ، فصدر الأمر بقتله ، وعهد بحكومة حلب إلى زين الحافظى .

ولما أحس أهالى دمشق بالأهوال التى ارتكبها جيش المغول ، وعرفوا أن جميع أطراف الشام ونواحيها قد دخلت فى حوزة هولاكوخان ، قصد جمع من أكابرها وأعيانها إلى حضرة هولاكو ، ومعهم أنواع التحف والمهدايا ومفاتيح بوابات المدينة ، وأظهروا الطاعة والخضوع ، وسلموا المدينة . فأمر هولاكوخان بأن يذهب كيتوبوقا إلى دمشق لاختبار أهلها ، فاستقبله أهل المدينة وطلبوا الأمان . ثم أرسل كيتوبوقا أشرافهم وأعيانهم إلى حضرة هولاكوخان ؛ فرق لهم ، وأشفق عليهم ، وأجاب ملتئمساتهم . وهكذا دخل

المغول المدينة بلا حصار ولا قتال . وولى هولاء گوخان عليها جماعة من المغول مع ثلاثة من المعاوين العرب هم علاء الدين الجاشى وجمال الدين القرقاى القزوينى والقاضى شمس الدين القومى فكانوا يصرفون الأمور فى مملكة دمشق .

وقصارى القول أنه خلال مدة وجيزة تم الاستيلاء على بغداد وديار بكر وديار ربيعة والشام بأسرها ، ودخلت فى حوزة نواب هولاء گو ، وفتحت ممالك الروم .

وفى ذلك الوقت قدم الرسل من ناحية المشرق ، وكان فى طليعتهم « سنكتور نويان » الذى كان قد أقبل على عجل ، وأبلغ نعى منكوكا آن ، فامتعض هولاء گوخان وتألم كثيرا ، ولكنه لم يظهر ذلك ، وترك كيتوبوقا نويان للمحافظة على الشام وغادر حلب . وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ بلغ أخلاط .

ولما كان الملك ناصر الدين سلطان حلب والشام قد فر إبان وصول هولاء گوخان إلى حلب ، ولجأ إلى قلعة كرك ، فقد أراد كيتوبوقا أن يحاصره ، فطالب الأمان وسلم نفسه ، فأرسله كيتوبوقا إلى الحضرة ، فوعده الملك قائلًا : « عندما أستولى على مصر ، سأفوض إليك حكومة الشام » .

وفى سنة بيچين (القرء) الموافقة سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ قصى جماعة من
كبار الأمرء نجههم كان من بينهم قورجى كوركان ، بوقاتيمور ، قوماى
نويان ، أركاى نويان ، پياچيتاى نويان ، برونك باى نويان ، سالجنداى
نويان . وكان هولاء كو خان منغص العيش بسبب وفاة منغوقاآن وبسبب
المتاعب التى أثارها أريق بوكا .

توجه كيتوبوقا نويان إلى مصر ومحاربتة جيشها ثم قتله

في الوقت الذي انصرف فيه هولانكو من الشام، أرسل رسولا مغوليا
و بصحبته أربعون من الأتباع إلى سلطان مصر يقول :

« إن الله تعالى قد رفع شأن چنگيز خان وأسرته ، ومنحننا ممالك
الأرض برمتها ، وكل من يتمرد علينا ، ويعصى أمرنا ، يقضى عليه مع نسائه
وأبنائه وأقاربه والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع .
أما صيت جيشنا الذي لاحصر له ؛ فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار .
فإذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية ، وأقدم بنفسك ،
واطلب الشحنة ، وإلا فكن مستعدا للقتال » .

وفي ذلك الوقت لم يكن قد بقي من سلالة آل كامل (الأيوبيين)
أحد جدير بالملك . وكان الحاكم رجلا من التركمان . فلما توفي ترك بعده طفلا
صغيراً اسمه محمد ، فأجلسوه على العرش في مكان أبيه . وكان قطز أتابكا له .
ونجاة توفي محمد ، وصار قطز سلطانا لمصر ؛ فاجتذب قلوب الناس
بالعدل والإحسان .

وكان أكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش

السلطان جلال الدين خوارزمشاه من هزموا على باب أخلاط فساروا نحو الشام . وكان في مقدمة أمرائهم بركت خان والملك اختيار الدين خان ابن مِكْرَل والملك سيف الدين صادق خان بن نيكوبوقا والسلطان ناصر الدين كشلو خان بن ايل ارسلان وأطلس خان وناصر الدين قيمرى . وحينما عزم هولاء على المسير إلى الشام تورأوا في شتى الأطراف ، ولسكنهم عادوا فتجمعوا بعد عودته ، واتجهوا إلى الحضرة في مصر والقاهرة ، وشرحوا لقطز قصة غصتهم ، فطيب خاطرهم ، وعطف عليهم ، ومنحهم أموالا طائلة ، فاتفق جملتهم على أحقيته في التملك والسيطرة .

ولما وصل رسل هولاء إلى قطز ، أحضر قطز هؤلاء الأمراء ، واستشارهم

في الأمر وقال :

« لقد توجه هولاء إلى إيران بجيش جرار ، ولم يكن لأى مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء إلى دمشق . ولو لم يبلغه نعى أخيه ، لألحق مصر بالبلاد الأخرى ، ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتوبوقا نويان الذى هو كالأسد المصور ، والتنين القوى فى الكمين . وإذا قصد مصر ، فلن يكون للأحد قدرة على مقاومته . فيجب تدبير الأمر قبل فوات الفرصة » .

فقال ناصر الدين قيمرى :

« إن هولاء كانوا فضلا عن أنه حفيد چنگيزخان وابن تولوى وأخو

منكوكواآن ، فإن شهرته وهيبته في غنى عن الشرح والبيان ، وإن البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها في قبضته الآن . وقد اختص بالتأييد السماوى . فلو ذهبنا إليه لطلب الأمان فليس في ذلك عيب وعار . ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل . إنه ليس بالإنسان الذى يطمأن إليه ، فهو لا يتورع عن احتزاز الرؤوس ؛ وهو لا يفي بعهده وميثاقه ، فإنه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه ، وصاحب إربل بعد أن أعطاهم العهد والميثاق . فإذا ماسرنا إليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل .»

فقال قطز : « والحالة هذه ، فإن كافة بلاد ديار بكر ور بيعة والشام ممثلة بالمناحات والنجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع ما فيها من حرث ونسل فحلت من الأزواج والأبقار والبذور . فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقنا بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خراباً تاماً كغيرها من البلاد . وينبغى أن نختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا واحداً من ثلاثة : الصالح أو القتال أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفراً إلا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة . فأجاب ناصر الدين قيمرى : « وليس هناك مصلحة أيضاً فى مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم . » وقال أيضاً بقية الأمراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فر بما يقتضيه رأيك . عندئذ قال قطز :

« إن رأى عندى هو أن نتوجه جميعاً إلى القتال . فإذا ظفرونا فهو المراد ، وإلا فإن نكون ملومين أمام الخلق » .

فاتفق الأمراء بعد ذلك ثم اختلف قطز بالبندقدار الذى كان أميراً للأمراء وشاوره فى الأمر ، فقال البندقدار :

« إنى أرى أن تقتل الرسل ، ونقصد كيتو بوقا متضامنين . فإن انتصرنا أو هزمتنا فسوف نكون فى كلتا الحالتين معذورين » .

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل . وفى الصباح وطلدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا فى طريقهم .

فأرسل الأمير بايدر الذى كان فى طليعة جيش المغول بغزة إلى كيتو بوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحريك جيش مصر . فرد عليه كيتو بوقا قائلاً :

« قف مكانك وانتظر » . ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتو بوقا وطارده حتى نهر العاصى .

فصار كيتو بوقا كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وأقبل معتمداً - إلى أقصى حد - على قوته وسطوته . وكان قطز قد عبأ الجيش فى كين ، وأعدّه خير إعداد . ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجنود ، وقابل كيتو بوقا مع عدة آلاف من الفرسان كلهم من أهل الحرب والمراس - فى « عين جالوت » ، فقذف المغول سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ، ولحقت بجنوده الهزيمة .

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيراً من المصريين ، ولكن عند ما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على جنود المغول ، وقتلوهم قتالاً مستميتاً من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة آخر الأمر .

وكان كيتو بوقا يضرب يميناً وشمالاً غيرة وحمية ، وكان يكر على أعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه في الهرب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال :

« لا مفر من الموت هنا ، فلموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع النذل والهوان . وسيصل رجل واحد ، صغيراً أو كبيراً ، من أفراد هذا الجيش إلى حضرة الملك ويعرض عليه كلامي قائلاً : إن كيتو بوقا لم يشأ أن يتراجع وقد كلفه الخجل فضحى بحياته الغالية في سبيل واجبه . ينبغي ألا يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغول ، ولينتصروا الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاماً واحداً ، وأن جياد قطعانه لم تلد المهور . فليدم إقبال الملك . ومادامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة ، فإنها تكون عوضاً لكل مفقود ، إذ أن وجودنا وعدمنا نحن العبيد والأتباع أمر سهل يسير » .

ورغم أن جنوده تركوه وحده . فقد ظل يكافح ألف رجل إلى أن كبا به جواده في نهاية الأمر فأسر . وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختم فيها فوج من فرسان المغول ، فأمر قطز جنوده بأن يضربوا فيها النار ، وأحرقوهم جميعاً .

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلا إلى قطز فقال له :
« أيها الرجل الناكث العهد . . هأنت - بعد أن سفكت كثيرا من
الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والمظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت
البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة - قد وقعت أخيرا في الشرك » .
شعر :

« - وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،
انتفض كأنه الفيل الهاجج الثمل .
فأجاب قائلا : « أيها الفخور المغتر ،
لاتباه - كثيرا بيوم النصر هذا .

« فأنا إذا قتلت على يدك فإني أعلم أن ذلك من الله لامنك . فلاتخدع
بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العابر ، فإنه حين يبلغ حضرة
هولا گوخان نبأ وفأني ؛ سوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول
البلاد من آذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر في محالى خيولهم
إلى هناك . إن هولا گوخان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا . فافرض أنه
نقص واحد منهم » .

فقال له قطز :

« لا تفخر إلى هذا الحد بفرسان توران ؛ فإنهم يزاولون أعمالهم بالمكر
والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن داستان » .

فرد عليه كيتوبوقا .

« إننى كنت عبدا للملك ماحييت ، ولست مثلك ماكرا وغادرا
وقائلا لمولاه :

شعر :

- « فلا كان رأس ، ولا كان جسد للشيرير ،

الذى يقتل مليكه » .

« بادر بالتقضاء على بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك » .

فأمر قطز بقتله ففصلوا رأسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول فى جميع
أنحاء الشام حتى شاطيء النهر (الفرات) ، ثم نهبوا معسكر كيتوبوقا ، وأسروا
النساء والأطفال والأتباع ، وقتلوا العمال وحكام الولايات ماعدا عمال دمشق
الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر فى تلك الليلة .

ولما بلغ هولاء كوخان نبأ نعى كيتوبوقا ، وعلم بحديثه فى ذلك الموقف ،
أسف أسفا شديدا على وفاته ، واشتعلت نيران غضبه وقال :

« أين أجد خادما آخر مثله بيدي مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل هذه
العبودية ساعة هلاكه . . . » وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ،
وأعزهم وأكرمهم .

وقبل ذلك بيوم واحد كان هولاء كوخان قد أحاط الملك الناصر برعايته ،
وفوض إليه حكومة دمشق ، وسيره فى ثلاثمائة فارس شامى . ولكن بعد

أن وصله نبأ وفاة كيتوبوقا، قال له رجل شامى : « إن الملك ناصر الدين ليس مخلصا لك . وقد أراد أن يفر إلى الشام لإمداد قطز الذى هزم كيتوبوقا بتدييره » . فسير هولاكوخان ثلثمائة فارس مغولى فى إثره ليعقبوه . فلحقت به طلائعهم ، وأنزلوه من جواده قائلين : « إن لدينا أمرا يقضى بأن نحتفل بك كى تحظى بالعبادة التامة » . ثم جعلوه ثملا ذاهلا جريا على عادة المغول . وفجأة وصل بقية الفرسان الثلثائة ، وأهلكوا الملك الناصر مع ثلثمائة رجل شامى . وباستثناء مجد الدين المغربى الذى نجى بحجة اشتغاله بالتنجيم - لم يتركوا أى مخلوق آخر حيا . ولما سمع ايلكانويان بوصولهم ، اتجه إلى بلاد الروم مع المغول الذين كانوا قد بقوا فى بلاد الشام . وفى دمشق ضربت السكة وقرئت الخطبة باسم البندقدار .

وقد أراد هولاكوخان أن يرسل الجنود مرة ثانية إلى الشام ومصر ؛ لينتقم لمقتل كيتوبوقا، ولكن لم تكن الظروف فى ذلك الوقت تسمح بذلك ؛ بسبب وفاة منكوقاآن ، وبسبب الخلاف الذى ظهر بينه وبين أقاربه . ولهذا عدل عن هذه الفكرة .

وفى ذلك التاريخ أيضا ، مات فجأة الأمير بلغا بن شيبان بن جوجى أثناء الاحتفال . ثم اتهم توتار اوغول بتهمة السحر وتغيير النية ؛ فأرسله هولاكوكو بعد ثبوت جرمه فى صحبة سونجاق - إلى خدمة بركاى ، وعرض عليه جرمه ؛

فأعاده بركاى إلى هولاء عملا بأحكام قانون چنگيزخان ، ثم قضى عليه فى السابع عشر من صفر سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ ، كما قتل صدر الدين الساوجى بحجة أنه كان قد كتب تعويذة من أجل توتار . ثم مات قولى أيضا . وبعد أن هلك الأمراء المذكورون هرب أتباعهم ، وساروا إلى ولاية القبيچاق عن طريق دربند وبحر جيلان .

توجه الأمراء يشموت وايلكا نويان وسوتناى
إلى ديار بكر ، وفتح ميفارقين ، وقتل الملك الكامل

كان الأمراء يشموت وايلكا نويان وسوتناى قد ساروا بأمر
هولاكوخان ، فلما بلغوا حدود ميفارقين أرسلوا رسولا إلى الملك الكامل ،
ودعوه إلى الطاعة والخضوع . فأجاب الملك الكامل :

« ينبغي ألا يضرب الأمير في حديد بارد ، ولا يتوقع الشيء المستحيل ،
إذ لا يوثق بوعدهم . وإنتى لن أنخدع بكلامكم المعسول ، ولن أخشى جيش
المغول ، وسأضرب بالسيف مادمت حيا . إذ كيف أثق ببن رجل نكث
العهد والميثاق مع خورشاه والخليفة وحسام الدين عكه وتاج الدين أربل . وقد
جاء الملك الناصر الدين خصيصا بأمانكم فرأى فى نهاية الأمر مارأى .
وسوف أرى أنا أيضا ماسبق أن رأوه . »

فلما بلغ الرسل الرسالة ، اتفق الأمراء على القتال . وقد طيب الملك الكامل
قلوب سكان المدينة وقال :

« سوف لا أبخل عليكم بالذهب والفضة والغلال الموجودة فى المخازن ،
وسأؤثر بها كلها المحتاجين . فإنى بحمد الله لست كالمستعصم - عبداً للدينار

والدرهم ، الذى طوح برأسه و بملك بغداد بسبب بحله وشحه « . فاتخذ معه سكان المدينة كلهم .

وفى اليوم التالى خرج الملك الكامل مع كوكبة من الفرسان ، وكر وفر على العدو ، فقتل عدد من الجانبين . . وكان مع الملك الكامل فارسان مغواران : أحدهما سيف الذين لوكبلى والآخر عنبر الحبشى ، فقتلا عدة أشخاص . ثم ذهبوا بعد مدة إلى المدينة ، وبدأوا القتال من الأبراج . وفى اليوم التالى خرج هذان الفارسان ، وقتلا مايقرب من عشرة فرسان شجعان ، وكذلك فعلا هذا فى اليوم الثالث .

وفى اليوم الرابع تصدى لهما من بجانب المغول « ناورى الكرجى » الذى كان يهزم جيشا بمفرده فخار بهما برهة ثم قتل . ولقته :

« هاج فرسان الأتراك ،

وكانوا يضربون كفا على كف بدافع الانتقام »

ثم دخل الفارسان المدينة مرة أخرى ، وكان هناك منجنيق فى غاية الإحكام ودقة الرمى فأقاماه ، فكان يهلك بحجارته أناسا كثيرين . وهكذا عجز الأمراء عن إخضاعهما .

وكان لبدر الدين لؤلؤ منجنيقى^٣ ماهر جدا فأحضره ، وأقام منجنيقا مرتفعا فى مواجهة منجنيق المدينة . وأخذ كلاهما يطلق الحجارة من كفته فى وقت واحد ، فكان الحجران يصطدمان ببعضهما فى الهواء فيتفتتان . وقد

أعجب خلق كثير من الجانبين لمهارة المنجنيقين . وفي النهاية أحرق المنجنيق الخارجي ، وكان سكان المدينة يقاتلون بعنف .

فلما اطلع هولاء كوخان على تلك الحالة ، أرسل أرقطو على رأس جيش لمساعدة ايلكانويان . وكانت رسالته تقضى بأن يثبتوا في مكانهم حتى لا يبقى في المدينة علف . وما كاد أرقطو يبلغ الرسالة ، حتى خرج الفارسان كلاهما أثناء الحديث ، وشتتا جنود المغول ، فتناول أرقطو الشراب حتى ثمل ، وتوجه إلى القتال ، والتحم الطرفان معا . وفجأة وصل الفارسان إلى ايلكا ، وألقياه عن صهوة جواده . فأقبل فرسان المغول من كل جانب ، وأركبوا ايلكا جواده . وسرعة أخرى أهلك الفارسان خلقا كثيرا ثم عادا .

« فتعجب الأتراك من البطلين ،

وعض كل شجاع شفته حقدًا وغيظًا » .

بعد ذلك ظل الفارسان يخرجان كل يوم كالمعتاد ، ويقتلان عدة أشخاص ، ويخرجان آخرين حتى مضى عام بأمله ، ولم يبق في المدينة قوت ولا غذاء ، وهلكت الدواب كذلك ؛ فبدأ الناس يأكلون الميتة ، وأكلوا حتى الكلاب والقطط والفيران . ثم صاروا يأكلون الأدميين ، فكان كل منهم يأكل الآخر كالأسماك .

ولما لم يبق لدى الفارسين تبن وشعير قتلا جواديهما وأكلاهما ، وأرادا أن يخرجوا مشاة ويقاتلا حتى يقتلا . ولكن الملك الكامل لم يسمح لهما بذلك .
(٢١ - جامع التواريخ)

وقد كتب الأفراد الباقون رسالة إلى الأمير يقولون فيها : « إنه لم يبق في المدينة أحد له طاقة وقدرة ؛ ما عدا عدة أفراد هم أحياء بأرواحهم أموات بأجسادهم ، وصار الأب يأكل ابنه ، والأم تأكل ولدها . فلو أقبل الآن جيش فايس . هناك مخلوق يستطيع مواجهته » .

ثم أرسل الأمير « يشموت أرتو » . فلما دخل المدينة مع جنوده ، وجدوا جميع سكانها موتى ، وسقطت جثثهم بعضها فوق بعض ما عدا سبعين شخصاً نصف أحياء كانوا قد اختفوا في المنازل ؛ فقبضوا على الملك الكامل وأخيه ، وجاءوا به إلى يشموت ، وشغل الجيش بالسلب والنهب . أما الفارسان المغواران ، فقد صعدوا فوق سطح منزل ، وكانا يقتلان بسهامهما كل تركي ير أمامهما ، فوصل أرتو إلى هناك ، وكلف قراً من الأتراك الشجعان بأن يقضوا عليهم . عندئذ نزل الفارسان من السطح ، وتقنعا بالدروع ، وكانا يقتلان بعنف ولكنهما قتلا في نهاية الأمر .

ثم حمل الملك إلى الحضرة في تل باشر على الضفة الأخرى من الفرات . وكان قد رحل قبل ذلك إلى حضرة القآن ، ونال الرعاية ، وعاد بالقرمان والبايزه : وعند ما قصد هولاً غوخان بغداد بعد ذلك ، ذهب الكامل إلى الشام لمقابلة الملك الناصر وقال له : « إن المصلحة تقضي بأن نذهب بجيش جرار لمدد الخليفة » . ولكن الناصر تعافل . فخاف الكامل بعد فتح بغداد ، وتمرد على هولاً غوخان مدة عامين على النحو المذكور .

وعندما أسر واقتيد إلى الحضرة ، أخذ هولاء كوخان يعد عليه جرائمه ،
وقال له : « ألم يعطف عليك أخي ، ويشملك برعايته ، ومنحك فرماناً أنت
وأهلك وأتباعك فهل يكون جزاؤه العصيان » ثم أمر بتقطيعه إرباً
إرباً ، كانوا يضعونها في فمه حتى هلك في سنة ١٢٥٧/٦٥٧ . وكان رجلاً
زاهداً عابداً ، يعيش من أجر الحياكة .

توجه الأمير يشموت إلى ماردين

والاستيلاء على قلعتها

بعد أن فرغ الأمير يشموت والأمراء الآخرون من إنهاء الأمر في ميافارقين ، أشار عليهم هولاء گوخان بأن يسيروا متفقين لفتح ماردين حسب ما استقر عليه الرأي . وعند محاصرتها تعجبوا من ارتفاع قلعتها واستحكامها . فأرسل أرقنتو نويان إلى الملك السعيد صاحب قاعة ماردين يقول له : « اهبط من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ، ليبقى لك رأسك ومالك ونساؤك وأبناؤك .

« مهما تكن قلعتك محكمة مرتفعة ،

فلا تغتر بأبراجها وارتفاعها »

ولو بلغت رأسك السماء ، فإنها ستصير تراباً تحت أقدام جيش المغول ، فإن كان الإقبال والسعادة حليفين لك ؛ فعليك أن تستمع لنصحي وتعبل بموجه . أما إذا لم تستمع وخالفت أوامري ، فالله المتعال أعلم بما يحدث .

فأرسل الملك السعيد يقول : « كنت قد عزمت على الطاعة والحضور إلى الملك ، ولكن حيث إنكم قد عاهدتم الآخرين ، ثم قتلتموهم بعد أن

اطمأنوا إلى عهدكم وأمانكم ، فإني الآن لا أثق بكم . وإن القلعة — بحمد الله تعالى مشحونة بالذخائر والأسلحة ، ومائة برجال الترك وشجعان الكرد .

فأمر أرقطو بنصب المجانيق ، وواصلوا القتال بضرب الحجارة ورمي السهام ، واستمرت الحرب على أشدها بين الجانبين مدة ثمانية أشهر . وكان الملك السعيد مغروراً بمناعة القلعة . ولما عجز المغول عن الاستيلاء عليها ؛ أغاروا على مدن ماردين ودينيسر وأرزن القريبة منها .

وأخيراً ظهر الغلاء والقحط والوباء في القلعة . فكان يموت في كل يوم خلق كثير ، ومرض الملك السعيد ، وكان له ولدان : أكبرهما مظفر الدين ، وهو شاب عاقل كان يقول لوالده : « من المصلحة النزول من القلعة ، إذ ليس في الإمكان مقاومة هذا الجيش » . فلم يصغ إليه والده ، فسقى الابن أباه دواء ساماً أثناء الحديث فمات .

ثم أرسل الابن إلى أرقطو يقول : « لقد مات من كان يخالفكم . فلو صدر الأمر بتوقف الجيش عن القتال ، فإني أنزل وأسلم القلعة . فأمر أرقطو بالكف عن القتال ، ونزل مظفر الدين مع أخيه وأتباعه . فطالبه الملك بدم أبيه قائلاً : « هل يجوز أحد قط أن ابنا يقتل أباه ... » فأجاب : « إنما فعلت ذلك ، لأنني كلما تضرعت إليه ، وبكيت أمامه لكيلا يفرط في القلعة وفي دماء الناس لم يستجب لي ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة

العامه ، لأنى عرفت أن القلعة ستفتح بإقبال الملك ، وأنه سوف يقتل عدة آلاف من الأبرياء . فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصاً وأنه كان ظالماً معتدياً . وقد قتل ابنه والناس غير راضين عنه ، بوأنا العبد معترف بذنبى . فلو منحنى الملك مقام أبى ، فإن له مايشاء .

فحقاً عنه هولاء كوخان ، وسلمه مملكة ماردین ، فظل سلطاناً عليها حتى سنة ٦٩٥/١٢٩٥-٩٦ ، ولم يسلك طريق البغى والعصيان أبداً ضد ملوك المغول . وبعد وفاته قام مقامه ابنه شمس الدين داوود ، ولما مات هذا حل محله نجمه نجم الدين الملقب بالملك المنصور ، وهو ملك كامل عاقل وذو كياسة . كان مخلصاً لغازان خان إلى حد كبير فمنحه التساج والمظلة الملكية ، وجعله من خواص أقرانه ، وفوض إليه الملك فى كل ديار بكر وديار ربيعة .

وفاة السلطان بدر الدين لؤلؤ ، وحال
ابنه الملك الصالح من حصوله على التكريم ،
ثم تمرده وتخريب الموصل

حكم السلطان بدر الدين لؤلؤ مدة خمسين عاما ، ونال من الدنيا نصيبا
هوفورا . وقد توفي في الموصل في سنة ٦٥٩ / ١٢٦٠-٦١ على أثر عودته من
حضرة هولاء خان . وكانت سنة قد بلغت السادسة والتسعين ، فقوض
هولاء خان ملكه وسلطنته إلى نجله الملك الصالح . ولكنه ترك للموصل
بعد مدة ، وسار إلى ديار الشام ومصر ؛ حتى سقط من أوج النجاح والتوفيق
إلى حضيض النذل والهوان .

وقد عطف عليه ركن الدين بيبرس وأعاده مع ألف فارس ليأخذ الخزائن
والدقائن القديمة والجديدة ، ويأتي بها . ولكن زوجته ترکان خاتون بنت
السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، أرسلت رسالة إلى هولاء خان تنبئه بمسير
زوجها إلى بلاد الشام ، فأوفد في إثره الملك صدر الدين التبريزي مع عشرة
آلاف من الجنود العرب .

ولما وصل الصالح إلى مدينة الموصل ، سد المغول كل الطرق في وجهه ،
فنزّل في الجوسق ، وعمد إلى اللهب . وعندما ثمل بلغه قرع الطبول ونفخ

الأبواق الذهبية . وقد استولى الخوف والفرع على أهل الموصل بحيث إن الملك الصالح ذهب إلى المدينة ، وأغلق أبوابها . وكان فيها جيش كثيف من الأكراد والتركمان والشول ، فوزع عليهم الدراهم والدنانير ، وحرصهم على القتال وقال : « إن البندقدار سيمدنا بالجيش من مصر حينما يعلم بالأمر » .

ثم نزل جنود المغول حول المدينة ، وأقاموا المتاريس ونصبوا المنجنيق على الجوانب . فبادر أهل المدينة بالقتال عملاً بقول الصالح ، وأطلقوا حجارة المنجنيق من كل جانب ، وخرجت جماعة الأكراد للقتال . فدامت الحرب الحامية قرابة شهر . وذات يوم تساق الأسوار ثمانون من شجعان المغول ، فقتل أهل الموصل عليهم جميعاً ، ورموا برؤوسهم إلى جيش المغول من أعلى الأبراج ، وتشجعوا بهذا الانتصار .

وفي أثناء القتال كان الملك صدر الدين قد خلع خودته ، فمرسهم العجلة بفرقه ، وأصابه بحيث سال الدم منه ، فقصده تبريز بإذن من سنداغو نويان . وفي « الأناغ » قدم إلى هولاجو خان ، وأبلغه صمود أهل الموصل ، فأرسل جيشاً آخر لإمداد سنداغو نويان .

وعندما علم البندقدار بموقف الملك الصالح ، أرسل « أغوش از برلو » على رأس جيش لإمداده . وعندما بلغ سنجان كتب « أغوش » رسالة إلى الملك الصالح بنخبر وصوله ، وربطها في جناح حمامة . ثم انطلقت الحمامة ولكن اتفق أن جاءت وحطت على منجنيق المغول ، فأمسكها المنجنيق ، وحمل

الرسالة إلى سنداغو نويان . فلما قرأها عد ذلك من أمارات إقباله ، وسير على الفور عشرة آلاف جندي خص كل فرد منهم ثلاثة من الجياد . وبالقرب من سنجار انقسموا إلى ثلاث فرق ، وأعدوا كهينا ، وطاردوا الشاميين ، لكنهم ثبتوا وقاوموا المغول . وفجأة هبت ريح عاصف كانت تلقى الرمال والحصى في عيون الشاميين فعجزوا عن مواصلة القتال ، فدهمهم المغول ، وقتلوا أكثرهم وفر الباقون . كما قتلوا كثيرا من أهل سنجار ، وأسروا النساء والأطفال . ومن ثم ارتدوا الملابس الشامية ، وأطلقوا شعورهم جريا على عادة الأكراد ، ثم توجهوا إلى الموصل ، وأخبروا سنداغو قائلين : « لقد انتصرنا في الصباح ، وسنصل بالغنائم الكاملة ونحن على هذه الهيئة .

فلما اقترب المغول من الموصل في اليوم التالي ، خرج سكان المدينة لاستقبالهم ظانين أنهم شاميون جاءوا لإمدادهم ، وأقاموا الأفراح بهذه المناسبة . فأحذق بهم جنود المغول من كل جانب ، ولم يتركوا واحدا منهم حيا . وبعد أن ظلوا يحاربون مدة ستة أشهر ، بلغت الشمس برج السرطان ، فأصبح الجو حارا جدا بحيث عجز الفريقان عن مواصلة الحرب . وعندما بلغت الشمس برج الأسد ، حدث بالمدينة قحط ووباء ، فتوجه الناس إلى الصحراء بسبب الجوع ، فصاروا طعمة لسيوف المغول . وأخيرا أرسل الملك الصالح إلى سنداغو نويان يقول : « إني نادم على ما فعلت ، وسأخرج إليك لأتلافى ما فات ولكن بشرطين :

أحدهما : ألا تؤاخذني بأخطائي الساففة .

وثانيهما : أن تبعث بي إلى هولاء كوخان ، وتشفع لي عنده حتى لا يهدر دمي .

فأهنته سنداغو على حياته ، وخرج يحمل الطيبات والهدايا . ثم تناول سنداغو هذه الطيبات ، ولم يسمح للصالح بالمثل أمامه ، وعهد إلى بعض المغول بحراسته .

وقد فتح المغول مدينة الموصل في رمضان سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ ، وقتلوا بقية سكان المدينة بحد السيوف ، وأسروا بعضا من أرباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق أحد في الموصل . فلما رحل المغول عن المدينة ، خرج ما يقرب من ألف شخص من بين الجبال والمغارات وتجمعوا .

ولما وصل سنداغو إلى الحضرة ، كان هولاء كوخان غاضبا جدا على الصالح؛ فأمر بأن يدخلوا جسمه في الدهن (الليّة) ، ويربطوا عليه باللبد والجبال بإحكام ، ويلقوا به في شمس الصيف القانظ ، فاستحالت الليّة بعد أسبوع إلى ديدان أخذت تلتهم جسم ذلك التعس؛ حتى فاضت روحه الغالية بعد شهر من ذلك البلاد . ثم بعثوا بابنه الذي كان في الثالثة من عمره - إلى الموصل؛ ليقدمه نصفين على ساحل دجلة . وعلى سبيل الاعتبار علقوا جثته على الجانبين حتى تعفنت وتناثرت .

« لقد تعفن وتلاشى وسقط من هناك إلى أسفل ،
فيأبها الفلك !... ألم تشبع من مثل هذا العمل ...
— لقد رَبَّيْتَهُ هَذَا العزيز بلطف ودلال ،
ولكنك سلمته في النهاية إلى أضرار الديدان . »



وقوع الخلاف بين هولاء كوخان وبركاي ، وقدام

بوقاي لآرب هولاء كو ، وهزيمته في در بند

بعء أن اسآولى هولاء كوخان على أكثر ممالك إيران ، وفرغ من أمر خصومه الذين كانوا قد بقوا في بعض الأماكن ، انصرف إلى تنظيم الأمور وترتيب المملكة . لكنه اسآاء من آحكم بركاي .

ولما كان باآوقء بعآ به في صحبة منكوقاآن إلى قاعدة الملك في قراقورم ليجلسوه على العرش بين كبار أسرته ، وظل ملازما للقاءن مدة ، فإنه قءاعآز بذلك ، وكان يرسل الرسل على الآوالى إلى كل آانب . كما أخذ يآآكم في كل أمر . فكان هولاء كو يآآمل ذلك على اعآبار أنه أخوه الأكبر ، ولكن بعء موء اآنين من أقارب بركاي هما آوتار وبلغا قبل ، ظهر الحقد والشقاق بينهما وكان يآزايء يوما فيوما . وفي نهاية الأمر قال هولاء كو « ولو أنه كبير الأسرة وسيؤها إلا أنه لا يرعى الحياء والآنجل ، ويآاطبني بآهيد وعنف ، وإنى لن أحاييه بعء هذا » .

فلما علم بركاي بغضب هولاء كو قال : « إنه قد ءمر آميع مءن المسلمين ، وقضى على أسر ملوك الإسلام آميعهم ، ولم يميز بين الصءيق والءءو ، وأءمء الخليفة ءون مشورة كبار الأسرة . فلو أمءنى الله آعالى لآالبآه بءماء الأبرياء » .

ثم أرسل في الطليعة بوقا الذي كان قائدا لجيشه ، ومن أقارب توتار ليطلب دمه ، وكان مع بوقا ثلاثون ألف فارس ، فعبر دربند ، ونزل بظاهر شروان . وعند ما علم هولاء ما كان بذلك أمر باستدعاء القوات من كل ممالك إيران . وفي شهر سكسنج الموافق اليوم الثاني من شوال سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ تحرك من ألاتاغ ، وسير شيرامون نويان إلى منقلاى ومعه سماغو نويان ، فوصلوا في ذى الحجة إلى شماخي . وقد داهم جند بركاى شيرامون ، وأفرطوا في القتل ، وأغرقوا سلطان جوق في الماء . وفي يوم الأربعاء سلخ ذى الحجة سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ وصل اباتاي نويان ، وهاجم جنود بركاى على مسيرة فرسخ بالقرب من شميران ، فقتل كثير منهم ، وهرب بوقاى .

وعند ما علم هولاء ما كان هذا المتمرد ، تحرك في يوم السبت السادس من الحرم سنة ٦٦١ / ١٢٦٢ من حدود شماخي قاصدا حرب بركاى . وفي ذلك الوقت شنكا جمع من المقرنين إلى هولاء - سيف الدين البيتكچى - الذى كان الوزير الخالص - والخواجه عزيز من ولاية كرجستان ، ومجد الدين الكرمانى ، فقبض عليهم وجيء بهم إلى المعسكر . ويعد محاكمتهم قتل ثلاثتهم . وفي ليلة الخميس الثامن من الحرم ، شكوا أيضا حسام الدين المنجم ، وقتل بعد ثبوت جرمه . أما الملك صدر الدين التبريزى « وعلى ملك » حاكم العراق العجوى وبعض أجزاء من خراسان فقد نجا كل منهما بعد ضربهما مرات بالعصا .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من الحرم سنة ٦٦٠ صدر الأمر بأن

يحمل جميع الجنود السلاح، ويتحركوا ، فوصلوا عند طوع الشمس إلى موضع « دربند خزر» . وكانت جماعة العصاة على برج دربند ، فدفعوهم بالسهام من جانبيهم . ولما خلا البرج من الطغاة ، فتحوا دربند ، وحاربوا من الناحية الأخرى منه ، فوعدت الهزيمة بالعصاة . ولكن استمر القتال إلى آخر النهار . وفي غرة صفر انهزم بوقاي مع الجيش برمته ، وانتصر جنود هولاء كوخان ، وكان آباقخان قد أرسل في جيش كثيف لمددهم .

وبعد هزيمة بوقاي قال شيرامون وأباتاي لآباقخان : « الأولى بالأمر أن يعود لخدمة أبيه ، لأننا سنسارع إلى تعقب الطغاة » . ولكنه لم يجهم إلى طلبهم غيرة ورجولة . وقد صدر أمر من هولاء كوخان بأن يسير ايلك نويان وتودان بهادر وباتو وسالجيداي وجغان وبلارغو ودوغور لتعقب المتمردين ، والاستيلاء على منازل جنود بركاي .

وتنفيذا لهذا الأمر عبروا نهر ترك ، وكانت جميع بيوت الأمراء والأعيان وجنود بركاي تلمع في تلك الليلة كالنجوم ، وكانت صحراء القبيحاق مليئة بخيامهم وسرادقهم . كذلك كانت تلك البقعة محتشدة بالخيل والبغال والإبل والأبقار والأغنام ، بينما لم يكن أحد من جنود جيشهم مقيما في منزله ، فقد هربوا جميعا تاركين أطفالهم وعيالهم ؛ فنزلت جنودنا في مساكنهم ، وقضوا ثلاثة أيام في الدعة والراحة والأنس والمتعة ، وكانوا يسمرون مع ذوات الوجوه الوضاءة كالقمر ، والشعور المعطرة كالعنبر .

وعندما اطلع بركاى وجنوده على أحوال منازلهم وعيالهم وحاشيتهم وأموالهم ومواشيهم احتشدوا كالنمل والجراد ، وظهروا فى تلك الصحراء الفسيحة ، وداهموا الأمراء والجنود . وفى غرة ربيع الأول من السنة المذكورة استمروا يحاربون على ضفة نهر ترك من طلوع الصبح إلى صلاة الظهر . ولما كانت الإمدادات تصل إلى الطغاة ، فقد تراجع جيشنا . . وكان الماء قد تجمد من شدة البرد ، فكانوا يمرون عليه . ولكن فجأة تحطم الجليد ، ففرق جنود كثيرين ، بينما وصل آباقاخان سالما إلى شبران ، ونزل هنالك . كذلك مر بركاى بجيشه من در بند ثم عاد بعد ذلك .

وفى الحادى عشر من جمادى الثانية ، وصل هولاء گوخان إلى حدود تبريز ، وكان منكسر الخاطر موزع الضمير لعين السوء التى أصابته ، وشغل بتلافى مافات . فأمر بأن يعدوا الأسلحة فى كل الممالك ، وأن يجهزوا الجنود مرة ثانية بالأسلحة والأموال . وقد أعلن فى السنة التالية أن بوقا قد عزم على الخروج من در بند . فأرسل هولاء گوخان إلى هناك الشيخ شريف التبريزى للتجسس عن طريق جبال لكرستان ، فلما بلغ مرابط بوقاى قبضوا عليه ، وحمولوه إليه ؛ فسأله أسئلة مختلفة من كل نوع . ثم فاجأه خلال الحديث فألقى عليه هذا السؤال : « ماذا تعلم عن هولاء گوخان . . . هل لازال يقتل أشرفنا وأعياننا وزهادنا وعُبادنا وتجارنا غيظا وغيضا . . . » فأجاب الشيخ : « إن الملك كان غاضبا قبل هذا ، فكان يحرق الأخضر واليابس بسبب خلاف الإخوة » . أما الآن :

« - فلا تحرقُ النار الحُرير لعدله ،
والغزاة أيضاً ترضع اللبن من اللبؤة .
- والناس في راحة وطمأنينة لإنصافه وعدله ،
والظالمون أذلاء مرهقون من قدرته وبطشه » .

وفي تلك الآونة وصل الرسل من ناحية الخطا معلنين أن قويايى
قآن قد جلس على العرش ، وأن أريق بوكا دخل في طاعته ، وأن آلغو
قدمات ، وصدر فرمان في حق هولاء گوخان ، يقضى بإقراره ملكا للبلاد
من ضفاف جيحون حتى ديار مصر والشام . وقد أرسل إليه ثلاثون ألفا من
شباب المغول النابهين لمده ؛ فخاف بوقاي وانزعج لتلك الأخبار ، واصفرت
وجنتاه . فلزم الصمت ولم ينس بينت شفسة . وأخيراً وصل الشيخ شريف
إلى حضرة هولاء گوخان ، وعرض عليه حقيقة الأحوال ؛ فشملت الحضرة
العلية الشيخ بالعطف والرعاية ، وزينت وجه البسيطة بالعدل والإنصاف .

أحوال هولاء كوخان فى آخر عهدده من إيفاد

أبافا إى خراسان ، وتفويض الولايات

إلى الأمراء والولاة ، وأحوال

مرضه ووفاته

كان هولاء كوخان محبا للعمارة للغاية . وقد بقى ككثير من الأبنية التى أمر ببنائها . فأقام قصرا فى ألاتاغ ، وبنى معابد للأصنام فى مدينة « خوى » . وكان يشغل نفسه فى تلك السنة بالأبنية والعمارة ، ويأمر بتدبير مصالح البلاد والجنود والرعية . ولما حل الخريف قصد مشقى « زرينه رود » ، الذى يطلق عليه المغول « جفاتو نغاتو » ، ثم رحل إلى سراغه حيث اهتم بإبجاز المرصد .

كان هولاء كوخان إى الحكمة ، يُرغب الحكماء فى بحث علوم الأوائل . وقد عين لهم المهايا والمراسيم . وكان يزىن بلاطه بالعلماء والحكاء . كما كان يميل إلى تعلم الكيمياء ، وكان رجال هذا العلم يحظون دائما برعايته . وقد أشعلوا نيرانا مدفوعين بتسويلاتهم وتحيلاتهم ، وأحرقوا أدوية لا حصر لها ، وفضخوا فى الصغبر والكبير بالمنافع العديمة المنافع ، وعملوا من طين الحكمة قدورا ؛ غير أن فائدة طبخهم لم تبلغ إلى أكثر من عشايتهم وقطورهم .

ولم تكن لهم خبرة بالتقليب . لكن كانت لهم اليد الطولى فى الخداج والتمويه ؛ فهم لم يستطيعوا نقش دينار ولا سبك درهم . وقد ألقوا بمدخرات المصانع لاقتدار الربوبية إلى هاوية التلف والفناء ، وصُرفت أموال كثيرة فى وجوه ما يحتاجون إليه تلبية لمطالبهم ، وللإفناق على علف دوابهم مما لم يحصل على مثله قارون البأس طوال عمره وهو يشتغل بالأ كسير .

وقد فوض الحكم فى ممالك العراق وخراسان وما زندران حتى فرضة جيحون ، إلى الأمير آباقا خان الذى كان نجله الأكبر والأفضل . كذلك أسند أران وآذربيجان حتى شاطىء الرس إلى يشموت ، وسلم الأمير « تودان » ديار بكر وديار ربيعة حتى شاطىء الفرات ، وأعطى معين الدين پروانه ممالك الروم ، كما ولى الملك صدر الدين على تبريز ، وتركان خاتون على كرمان ، والأمير انكبانو على فارس .

ولما كان هولاء قد قتل الأمير سيف الدين البيتكجي ، فقد رفع صاحب شمس الدين محمد الجوينى ، وفوض إليه منصب صاحب ديوان البلاد كلها ، وأطلق يده وقواها فى حل الأمور وعقدها ، وترتيبها وضبطها ، وفوض ملك بغداد إلى أخيه صاحب علاء الدين عطا ملك .

وهكذا رتب هولاء كل الأمور المذكورة ، وكان يبدى أسفه بسبب غبن أقاربه الحاسدين ، ويدبر الأسباب لتلافى كل مافات ، وينظم الجيوش .
١٢١ . الدين ابن الدواتدار الصغير ، وأعلى شأنه ؛ لأنه كان قد

وقد رفع قلدر جرد

بدا للملك أنه لا يوجد شخص أكثر منه شفقة عليه بين جميع رعاياه وأتباعه .
وذات يوم قال لهولاكو : « حيث أن النية معقودة على السير
إلى صحراء القبچاق ، فإنه لا يزال يوجد في ولايات الخليفة عدة آلاف
من أتراك هذه الجهة ممن لهم معرفة تامة بطرق أهل القبچاق ورسومهم . فإذا
أذن الملك لى فسوف أسير وأجمعهم حتى يكونوا طلائع فى الحرب ضد
بركاي . » فأعجب هولاءكو خان بقوله ، وأمر له بالقرمان والبايزه ، وبمقتضاها
يكون على حكام بغداد ، أن يعطوا جلال الدين كل ما يطلبه من الأموال
والأسلحة والآلات . وليس لأى مخلوق أن يتدخل فى عمله حتى بعد المهمة
التي كلف بها .

وفى شهر سنة ٦٦٢/١٢٦٣-١٢٦٤ سار جلال الدين إلى بغداد تنقيداً
للأمر ، وجمع كل من رآه لائقاً للجنديّة . وكان يقول لهم أحياناً على سبيل
الكناية والتعريض : « إن الملك يذهب بكم ليجمعكم دروعاً أمام الخصوم .
فإما أن تموتوا هناك ، وإما أن تظفروا بالشرف وحسن السمعة . وإذا قتلتم فى
الحرب فيها ، وإلا فيسكون لكم ميدان آخر . وأتم تعرفون كيفية حسي .
ونسبي ، وماهى النسبة التي تربطنى بكم ، ومهما كان لى من هولاءكو من
عطف بالغ ، فإنى لا أريد أن أجعلكم طعمة للسيوف . وإنى أفكر فى أن
أرفض ولاء المغول وإقبالهم ، وأخلصكم وأخلص نفسى من حكم المغول .
فيجب عليكم أن توافقونى على رأى . » فخدع هؤلاء القوم بقوله .

وبعد أن جمع شتات الجنود ، سار بالطبول والأعلام ، وعبر جسر بغداد وهاجم عرب خفاجة ، ونهب قدراً من الجواميس والإبل ، وأخذ من خزانة بغداد أجور الجنود ونفقاتهم من الخيل والسلاح ، ثم سار مع الجنود والنساء والأطفال والأتباع والأشياع والأقشعة والأمتعة ضارباً طبل الرحيل ، وجاوز جسر بغداد وقال : « إننا نضطحب معنا الأهل والعيال كي يفوزوا بزيارة المشاهد ، إذ أن مقامنا بعد هذا سيكون في دربند وشروان وشماعى ، ونسير مع الجنود والجيوش ونحصل على مئونة الطريق من عرب خفاجة المشتمدين » وبعد أن عبر الفرات قال للجنود : « إننى عازم على السير إلى الشام ومصر ، فكل من يأتى معى فيها ، وإلا فليعد من هنالك » . فلم يستطيعوا أن يقولوا شيئاً اتقاء شره ، وذهبوا بجملتهم إلى الشام ومصر عن طريق عانه وحديثه .

فلما بلغ هذا الخبر مسامع الملك تميز غيظاً ، وكان خلال تلك المدة يفكر بدقة فى شأن مقاومة الأعداء ، فزادت تلك القضية الطين بلة .

وعندما حلت سنة البقرة (گاو) الموافقة شهر ربيع الأول سنة ٦٦٣ / ١٢٦٤-١٢٦٥ شغل عدة أيام باللهو والصيد . وبعد الاستحمام عاوده المرض ، وأخذ يشعر بثقل فى جسمه ، فلزم الفراش . وفى يوم الثلاثاء السابع من ربيع الآخر تناول مسهلاً بمشورة الأطباء الخطائين ، فاعتزته غشية على أثره ، أدت إلى حالة السكتة .

ولكن لما كانت درجات الحياة قد بلغت نقطة الزوال ، فقد عجز الأطباء

الحاذقون عن دفع هذه العلة، رغم ما بذلوه من المساعي والجهود في سبيل استفراغ مافي بطنه . وهكذا لم ينفع أى تدير مع التقدير ، ولا أى دواء مع القضاء . وفي ذلك الوقت ظهر نجم « ذو الذؤابة » كالأسطوانة المخروطة ، وكان يظهر كل ليلة . فلما اختفى ذلك النجم ، وقعت الطامة الكبرى في ليلة الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٦٣ / ١٢٦٥ . وكان عمره ثمان وأربعين سنة شمسية تامة ، إذ وصل من مرحلة الفناء إلى مستقر البقاء على ساحل جناتو . وقد أقيم له ضريح كبير على جبل « شاهو » المواجه « لدهخوارگان » . وتمت مراسم العزاء في معسكراته ، ودفن تابوته في تلك المقبرة .
يقول سيد العالم نصير الدين الطوسى في رثائه :

- عندما دخل هولاً گو مراغة شتاء ،

جعل تقدير الأزل آخر نوبة من عمره .

- وكانت السنة ٦٦٣ وفي ليلة الأحد ،

التي كانت ليلة التاسعة عشرة من ربيع الآخر .

وفي غرة شهر « ايكندى » الموافق الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، توفيت ايگان خاتون والدة الخان . وفي تلك الأيام مات كذلك الأمير الغو البيتكجى . وفي يوم الخميس الخامس من جمادى الآخرة والثانى من شهر « شون » من عام « هوکار » الموافق غرة رمضان سنة ٦٦٣ / ١٢٦٥

ماتت « دوقوز خاتون » التي كانت قد آلت إلى هولابكوخان من أبيه
تولوى . وكانت وفاتها بعد ماضى أربعة أشهر وخمسة عشر يوماً على وفاة
هولابكوخان ، وقبل جلوس آباقا بثلاثة أيام .

انتهى تاريخ هولابكوخان الذى نشره
كاترمير
وهو الجزء الأول من تاريخ الإيلخانيين



موضوعات الكتاب

صفحة

(١)

حقدمة بقلم: يحيى الحشاش

القسم الأول

تقديم للمستشرق الفرنسي ايتين مارك كاترمير Etienne-Marc Quatremère

١٧٩-٣

عن حياة رشيد الدين وأعماله

٧٣-٥

الجزء الأول - حياة رشيد الدين السياسية

٥

مولده

٨

عقيدته

١١

التحاقه بخدمة المغول

١٢

وزارته لغازان وما اقترن بها من أحداث

١٨

وزارته لأولجايتو وما اقترن بها من أحداث

٤٥

وزارته لأبي سعيد وما اقترن بها من أحداث

٥٥

مقتله

٦٠

حياة أولاده : ابنه الخواجه غياث الدين محمد

٦٩

بقية أبنائه

٧٢

منشأته : الربع الرشيدى

صفحة:

١٧٩-٧٤

الجزء الثاني - حياة رشيد الدين الأدبية

٧٥

ثقافته

٨١

تأليفه كتاب جامع التواريخ وبيان قيمته
مؤلفاته الأخرى :

١٤٣

١ - كتاب الأحياء والآثار

١٤٥

٢ - رسالة في أمية محمد (صلعم)

١٤٦

٣ - كتاب التوضيحات

١٤٩

٤ - كتاب مفتاح التفاسير

١٥٠

٥ - كتاب السلطانية

١٥١

٦ - كتاب لطائف الحقائق

١٥١

المجموعة الرشيدية

ماوجه إليه من اتهامات بسبب هذه المؤلفات ودفاعه
عن نفسه

١٥٦

٤ - كتاب بيان الحقائق

١٦٣

الاحتياطات التي اتخذها للمحافظة على مؤلفاته

١٦٥

جامع التصانيف الرشيدى

١٧١

القسم الثاني

التاريخ الغازاني

٣٦٤-١٨٣

مقدمة كتاب جامع التواريخ

٣١٧-١٨٣

صفحة	
٢٣١-٢١٨	القسم الأول من تاريخ هولاء كوخان
٢١٩	ذكر نسبة
٢٢٠	شرح وتفصيل أحوال نسائه
٢٣٢ - ٢٦٤	القسم الثاني من تاريخ هولاء كوخان
٢٣٢	مقدمة جلوسه على العرش
	ذهاب كيتوبوقا في طليعة جيش هولاء كو إلى
٢٤٣	قلاع الملايحة
	قدوم ناصر الدين محتشم قهستان إلى معسكر
٢٤٦	هولاء كوخان
	توجه هولاء كوخان إلى دامغان وتخريب الموت
٢٤٨	ولبنه سر، وإخضاع خورشاه
٢٦٠	توجه هولاء كو إلى همدان، ووصول بايجو من بلاد الروم
	ظهور الخلاف بين السواتدار والوزير، وابتداء
٢٦٢	نكبة الخليفة
٢٦٧-٣٤٢	القسم الثالث من تاريخ هولاء كوخان
٢٦٧	توجه هولاء كو خان وتردد الرسل بينه وبين الخليفة
٢٧٧	قصة اشتغال هولاء كو خان بترتيب الجيش لفتح بغداد

- صفحة
- ٢٨١ زحف جيوش هولانغو خان إلى مدينة السلام والاستيلاء عليها
- ٢٩٨ سقوط مدينة إربل على يد أرقيو نويان
- ٣٠٠ نقل أموال بغداد وقلاع الملاحدة إلى آذربيجان
- ٣٠٣ قصة الخواجه نصير الدين الطوسي ، وبناء المرصد بأمر هولانغو
- ٣٠٥ توجه هولانغو خان إلى ديار الشام ، والاستيلاء على حلب
- ٣١٠ توجه كيتوبوقا نويان إلى مصر ، وهزيمته على يد المصريين
- ٣١٩ توجه أمراء المغول إلى ديار بكر وفتح ميافارقين ، وقتل الملك الكامل
- ٣٢٤ توجه الأمير يشموت إلى ماردين والاستيلاء على قلعتها
- ٣٢٧ وفاة السلطان بدر الدين لؤلؤ وحال ابنه الملك الصالح
- ٣٣٢ وقوع اختلاف بين هولانغو خان وبركاي ، وقدم بوقاي لحرب هولانغو
- ٣٣٧ أحوال هولانغو خان في آخر عهده ، ثم مرضه ووفاته

کشاف

۱۔ اسماء الأشخاص

آباتای (ابتای) نویان : ۳۳۴، ۳۳۳	أبو بجه خان (یافث بن نوح علیه السلام) : ۲۰۴
آباقا خان بن هولانگو خان بن تولوی	أبو بکر آغا : ۵۷، ۵۳، ۴۸
خان بن چنگیزخان : ۲۴۱، ۴۴	أبو حنیفہ : ۲۳
إبراهیم بن رشید الدین : ۵۳	أوسعید (السلطان أبوسعید بهادرخان)
إبراهیم بن مختار (تاج الدین) : ۳۳	۴۰، ۴۱، ۴۵، ۵۱، ۵۸، ۵۹
أبنه بیگی (اینه جا کبو) : ۲۱۹	۶۲، ۶۵، ۱۰۳، ۱۰۸
ابن الجوزی (انظر شرف الدین بن الجوزی) .	أبو العباس أحمد بن المستعصم : ۲۹۰
ابن درنوش : ۲۸۹، ۲۸۸، ۲۶۴	أبو الفضل عبد الرحمن بن المستعصم :
ابن صلايه العلوی (حاکم ارییل) :	۲۸۸، ۲۹۰
۲۷۷، ۲۷۸ .	أبو المناقب مبارك بن المستعصم : ۲۹۰
ابن کر (فتح الدین) : ۲۸۵	أبو الحسن بن تغری بردی : ۸
ابن مسعود : ۱۰۲، ۱۲۸	أوجای بن هولانگو خان : ۲۲۶
ابن مکړل (اختیار الدین خان) :	أوجه ایکاچی : ۲۲۷ .
۳۱۱	أحمد البیتکچی : ۲۴۲
أبو إسحاق (الأمیر الشیخ) : ۶۷،	أحمد تکودار (ابن هولانگو خان) :
۶۸، ۶۹، ۷۰	۲۰۶، ۲۲۴، ۲۲۶

أطلس خان : ٣١١	آدم : ١٠٦ ، ١٨٩
أغوش أزيلو : ٣٢٨	أرپا قاوون (أرپافان) : ٦٥ ، ٦٦
أفريدون : ١٨٤	أردوان : ١٨٤
أفلاطون : ٢٦	أرسطو : ٢٥
إقليدس : ٣٠٣	أرغون آقا : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٣١
ألا تقوا : ٢٥	٢٤٨ ، ٢٨٢
ألجايو (السلطان) : انظر أولجايو	أرغون خان : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٩
ألجاي قتلغ : ٤٥	أرقتو (أرقتوي، أورغتو بن أولسكاي
الداي (ايلدر ، ايلدار) : ٢٢٦ ،	نويان) : ٢٨٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٢٢٧	٣٢٤ ، ٣٢٥
الذُرْمِشْ (زوجة اولجايو المفضلة) :	أركاي نويان : ٣٠٩
٢١ ، ٢٠	أريقاق إيكاجي : ٢٢٦
أنغ بيگك : ١٣٠	أريق بوكا (أرينغ بوكا) أخو
أنغو البيتكچي (الأمير) : ٢٢٤ ،	هولا گوخان : ٢٢٣ ، ٢٢٤
٣٣٦ ، ٣٤١	٢٣٦ ، ٣٠٩ ، ٣٣٦
ألوج نويان : (امير بزرگ) :	إسفيديار : ٣١٠
١٣٦	الإسكندر : ٢٥ ، ٢٦
الأمين (الخليفة) : ٢٩٤	إسماعيل بن أحمد الساماني : ٢٧٥
أنبارجي : ٢٢٨	إشيع تيمور (إشوق تيمور) : ٢٢٧
أندرية ملر : ٧	أصيل الدين الزوزني : ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
أنكيانو (الأمير) : ٣٣٨	٢٥٤

أبيك (انظر مجاهد الدين أبيك	إنكيتل دی پرون : ۱۵۲
الدواتدار	أنوشيروان : ۱۸۴
أبيك الحلبي : ۲۸۲	أورغنه خاتون : ۲۹۳
إيقيمور : ۲۸۹	أورغوتاق (أو قوتاق) : ۲۲۴ ،
إيرنجين (الأمير) : ۴۴	۲۲۵
إيسا تيمور (إيش تيمور) : ۲۲۷ ،	أوگوتای : ۲۰۶ ، ۲۰۵ ، ۱۸۴ ،
۲۲۸	أولجايتو (السلطان) بن أرغون خان :
إيسن قتلغ : ۵۷	، ۲۸ ، ۲۵ ، ۲۰ ، ۱۹ ، ۱۸
إيسوبوقا كوركان : ۲۳۱ ، ۲۲۷ ،	، ۲۹ ، ۳۱ ، ۳۲ ، ۴۰ ، ۴۳ ،
إيش خاتون (بنت الأتابك سعد	، ۴۴ ، ۴۵ ، ۵۳ ، ۷۹ ، ۹۰ ،
ابن أبي بكر) : ۲۲۸	، ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۹ ، ۱۰۳ ، ۱۰۸ ،
إيقوب بن أونك خان : ۲۲۰	، ۱۴۰ ، ۱۴۶ ، ۱۵۰ ، ۱۵۴ ،
اينگان خاتون (والدة هولاجو) :	، ۱۵۹ ، ۱۶۳ ، ۱۸۶ ، ۲۰۳ ،
۳۴۱	۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۲۴ ،
ايلقتلغ : ۲۲۴	أولجاى خاتون : ۲۲۲ ، ۲۲۸ ،
ايل ايكاجى : ۲۲۹	، ۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۹ ، ۲۹۴ ،
ايلكانويان : ۲۴۷ ، ۲۸۶ ، ۲۹۵ ،	۲۹۶
۳۳۴ ، ۳۲۱ ، ۳۱۹ ، ۳۱۷ ، ۲۹۷	أونجى نويان (أخو چنگيز خان) :
(ب)	۲۳۰
بابا (بنت هولاجو خان) : ۲۳۱	أونك خان (ملك قبيلة كرايت) :
باتو : ۲۳۲ ، ۲۳۴	۲۱۹ ، ۱۳۲

بلغا (بلغه) ابن شيبان بن جوجی =

۳۱۷، ۲۸۷، ۲۸۶، ۲۸۱

بلغا قبلی : ۳۳۲

بلغا بی : ۲۵۶

البناکتی : (فخر الدين أبو سليمان

عبدالله البناکتی) : ۱۲۶، ۱۲۷،

البندقدار (رکن الدين) : ۳۱۳،

۳۱۷، ۳۲۸.

بهاء الدين محمد بن رشيد الدين : ۶۹

بوذنجير (ابن الأقوا) : ۲۰۵

بورالهی کورکان : ۲۲۲

بورقچين : ۲۲۵

بورى (الأمير) : ۲۴۳، ۲۴۴

بوقاتيمور (بوقای تیمور) : ۲۲۴،

۲۵۰، ۲۵۳، ۲۵۴، ۲۶۱،

۲۸۱، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۹۶،

۳۳۲، ۳۳۳، ۳۳۴، ۳۳۵،

۳۳۶

بوقاجين ايكجی : ۲۲۵، ۲۲۶

بوقدان خاتون والدة گيخاتوخان =

۲۲۹.

بادوشی پيجولوتی : ۱۳۷

بايدر : ۳۱۳

بايدو : ۱۳۸، ۲۲۶

بجلی النخجوانی : ۲۹۶

بخشی : ۲۵۰

بدر الدين دريکي (قاضی بندينجان) :

۲۷۵

بدر الدين لؤلؤ (ملك الموصل) :

۲۹۰، ۲۹۸، ۲۹۹، ۳۰۰،

۳۰۵، ۳۲۰، ۳۲۷

بدر الدين محمود : ۲۶۹، ۲۷۰

برتان بهادر : ۲۰۵

برکت خان (برکای، برکا، برکه) :

۳۱۱، ۳۱۷، ۳۱۸، ۳۳۲،

۳۳۳، ۳۳۴، ۳۳۵، ۳۳۹.

برونک بای نويان : ۳۰۹

البناسيری : ۲۷۵

بسکاليس (الراهب القرنشکانی) :

۱۳۷

بغان ايكجی : ۲۳۰

بلارغو : ۳۳۴

تاج الدين بن صلايه الإربلي : ۲۹۸

۳۱۹

تاج الدين مؤمنى : ۱۵۴ ، ۱۵۵

تاسيت (الإمبراطور) : ۵۸

تاكودار (تكودار) انظر أحمد بن

هولا گوخان

تركان خاتون (بنت السلطان جلال

الدين خوارزمشاه) : ۳۲۷ ، ۳۳۸

تقي الدين الفاسي : ۵۸

تکودر أوغول : ۲۵۱

توتار أوغول (الأمير) ابن سکنفور

بن جوجي : ۲۸۱ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷

۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳

توداج : ۲۳۰

تودان بهادر : ۳۳۴ ، ۳۳۸

توسين : ۲۲۶

توقا تيمور : ۲۳۰

توقتي مور (ابن عبد الله آقا) : ۲۲۶

توقوز خاتون (انظر دوقوز

خاتون)

توقتي خاتون : ۲۲۱ ، ۲۲۵

بولغان خاتون (زوجة آباخان

العظمى) : ۲۲۱ ، ۲۲۴

بولوغان (زوجة غازان خان) : ۱۶

بولوقان آقا : ۲۲۹ ، ۲۳۰

بيان آغا : ۲۲۸

بيسوكا بهادر بن برتان بهادر : ۲۰۵

بيكسوتمش (زوجة جوجي) : ۲۱۹

بيكين : ۲۲۵

(ب)

پروانه (انظر معين الدين)

پولادچينگسانگ (پولاد آغا : النويان

الأكبر) : ۲۱ ، ۲۱۴

پيتي دي لا كروا : ۱۴۲

پير سلطان بن رشيد الدين : ۶۶ ، ۷۰

پيلچيناي نويان : ۳۰۹

(ت)

تاج الدين أبو الفضل محمد : ۳۱ ، ۳۲ ،

۳۳ ، ۳۶ ، ۳۷ ، ۳۹ ، ۴۰ ،

۵۵

تاج الدين ابن اللواندار الكبير :

۲۹۰

جلال الدين منكبرتي : ۸۳ ،

۱۵ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۵ ،

۳۱۱ ، ۳۲۷

جلال الدين بن رشيد الدين : ۴۰ ،

۴۵ ، ۴۶ ، ۶۹ ، ۷۰

جلال الدين الرومي : ۱۲۹

جلال الدين العربي : ۱۲۹

جلال الدين بن محمد بن حسن

(نومسلمان) : ۲۵۹

جمال الدين العاقولي : ۲۲

جمال الدين (ابن الدواتدار الصغير) :

۳۳۸ ، ۳۳۹

جمال الدين القرقاي القزويني :

۳۰۸

جمال الدين محمد بن طاهر : ۳۰۳

جوجي خان بن چنگيزخان : ۲۰۵

جوشكاب : ۲۲۴

جومقور : ۲۲۳ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵

جومه كوركان بن جوجي : ۲۲۹ ،

۲۳۰

جيجاك كوركان : ۲۳۰

توكال بخشى : ۳۰۷

توكل : ۲۳۱ ، ۲۵۰

تولون خاتون : ۲۲۴ ، ۲۲۵

تولوى خان (تولى) ابن چنگيزخان.

۲۰۶ ، ۲۲۰ ، ۳۱۱ ، ۶۵

تنگر كوركان : ۲۳۰

تيمورتاش بن چوبان : ۴۶ ، ۵۷ ،

۶۹ ، ۷۰

تيمور (لنگ) : ۵۶ ، ۸۴ .

(ج)

چاقو كوركان : ۲۳۰

چاكبو (كه بداي) : ۲۱۹

چاى بك : ۷۳

چاوزجى خاتون : ۲۲۴

چرماغون : ۲۳۴ ، ۲۳۵ ، ۲۶۰ ،

۲۸۱

چريكتيمور : ۲۲۷

چغان : ۳۳۴

جلال الدين البخارى : ۱۶۱

جلال الدين بن حران : ۵۴

جلال الدين خوارزمشاه (السلطان)

حاجی (ابن طغای تیمور) : جیجکان (بنت چنگیزخان) :

ابن هولاً گوخان : ۲۲۹

۲۳۰ ، ۲۲۲

حافظ آبرو : ۱۳۱ ، ۱۳۲

جیش : ۲۲۷ ، ۲۲۴

حزقیال (النبی) : ۳۲

(ج)

حسام الدین عکە (حاکم درمنگک) :

چغتای خان بن چنگیز خان : ۲۰۵

۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۳۱۹

چوبان : ۴۳ ، ۴۴ ، ۴۶ ، ۴۷

حسام الدین المنجم : ۲۷۹ ، ۲۸۰

۴۸ ، ۵۲ ، ۵۴ ، ۵۷ ، ۶۹

۳۳۳

چنگیز خان : ۸۴ ، ۸۵ ، ۸۶

حسان بن ثابت : ۱۹۱

۸۷ ، ۸۹ ، ۹۲ ، ۹۳ ، ۱۰۰

حسن (الأمير الشیخ حسن بزرگ) :

۱۰۲ ، ۱۱۵ ، ۱۲۸ ، ۱۳۱

۷۱

۱۳۲ ، ۱۳۳ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶

حسن بن الصباح : ۲۵۸

۱۳۹ ، ۱۴۰ ، ۱۴۲ ، ۱۸۳

حسن المازندرانی : ۲۴۵

۱۸۶ ، ۲۰۱ ، ۲۰۴ ، ۲۰۵

حسن بن محمد بن بزرگ امید : ۲۵۸

۲۰۶ ، ۲۱۲ ، ۲۱۶ ، ۲۱۹

حمد الله المستوفی القزویتی : ۶۹

۲۳۰ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳

حمی (بنت هولاً گو خان) : ۲۳۰

۲۳۵ ، ۲۳۶ ، ۲۶۷ ، ۲۷۱

حیدر الرازی : ۹۶ ، ۱۰۶ ، ۱۲۵

۲۷۶ ، ۲۸۳ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱

۳۱۸

۱۳۵

(ح)

(خ)

حاجی خلیفه : ۱۰۵ ، ۱۰۱ ، ۵۰

خدا بنده (انظر أو لجاتو) :

حاجی دلقندی : ۵۳ ، ۵۵

(۲۳ - جامع التوارخ)

دوقوز خاتون (توقوز) : ۲۲۰ ،

۲۲۲ ، ۲۲۸ ، ۲۳۰ ، ۲۳۷ ،

۲۳۹ ، ۲۴۲ ، ۳۰۱

(ر)

رئيس الدولة : ۲۴۹

الراشد (الخليفة) : ۲۹۵

الراضى (الخليفة) : ۲۹۴

رتش (المستر) : ۱۰۸ ، ۱۲۷ ،

۱۴۳

رستم : ۳۱۰ ، ۳۱۵

الرشيد (الخليفة) : ۲۹۴

رشيد الدين : ۳ ، ۴ ، ۵ ، ۶ ، ۷ ،

۸ ، ۹ ، ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۵ ،

۱۷ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۱ ،

۲۳ ، ۲۴ ، ۲۵ ، ۲۶ ، ۲۷ ،

۲۸ ، ۲۹ ، ۳۰ ، ۳۱ ، ۳۲ ،

۳۴ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۴۰ ، ۴۱ ،

۴۲ ، ۴۳ ، ۴۵ ، ۴۷ ، ۴۸ ،

۵۰ ، ۵۱ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۶ ،

۵۷ ، ۵۹ ، ۷۰ ، ۷۲ ، ۷۴ ،

۷۵ ، ۷۶ ، ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۰ ،

خر بنده (ايسا تيمور ، ايش تيمور)

ابن قونقرتاي بن هولانگوخان :

۲۲۷

خر بنده (انظر أولجايتو)

خورشاه (ركن الدين بن علاء الدين) -

ملك الملاحدة : ۲۴۳ ، ۲۴۵ ،

۲۴۶ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۲۵۱ ،

۲۵۲ ، ۲۵۳ ، ۲۵۴ ، ۲۵۵ ،

۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۵۸ ، ۲۵۹ ،

۳۱۲ ، ۳۱۹

خوندميز : ۱۰۵ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ ،

۱۳۱

(د)

دارا = ۱۸۴

داير نويان : ۲۳۴

الدواتدار (انظر مجاهد الدين ابيك)

دوتومنن (ابن بوذنجير) : ۲۰۵

دولت شاه : ۵ ، ۲۳ ، ۲۶ ، ۹۰ ،

۱۲۷

دوغور : ۳۳۴

زين الدين الحافظى (وزير سلطان حلب)	٨١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ،
٣٠٧ ، ٣٠٥	٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
(س)	١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،
ساتالميش : ٢٢٨	١١١ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
ساتى : ٢٢٦ ، ٢٢٥	١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
سالى نويان : ٢٣٥ ، ٢٣٤	١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
سالجنداي نويان (سالجيداي) :	١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
٣٣٤ ، ٣٠٩	١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ،
سعد بن أبى بكر (أتابك فارس) :	١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٧ ، ٣١٣ ،
٣٠١ ، ٢٢٨	ركن الدين (سلطان الروم) : ٢٤٠ ،
سعد بن الأتابك مظفر الدين : ٢٤٠	٣٠١
سعد بن حسام الدين عكه : ٢٧٧ ،	ركن الدين البندقدار (انظر البندقدار)
٢٧٨	رميثة بن أبى ثمن : ٥٨
سعد الدين الساجى : ١٥ ، ١٨ ،	روسو : ١٤٢
٤٥ ، ٢٩ ، ٢٨	رينو : ٢٢٥
السعيد (صاحب قلعة ماردين) :	(ز)
٣٢٥ ، ٣٢٤	زبورى : ٥٣ ، ٥٧
السفاح (الخليفة) : ٢٩٤	الزنجائى (الوزير صدر الدين) : ١٢ ،
سكنفور : ٣٠٥	١٣ ، ١٤ ، ١٥
سلفستردى ساسى : ١٢٨	زنگى النخجوانى : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
سلمان الساجى (الشاعر) : ٦٨	

سیاوجی (شیداجی) : ۲۲۹
سید علی الهمدانی : ۱۵۲
سیف الدین آقا (الوزیر) : ۲۴۹
سیف الدین البیتکچی : ۲۸۲، ۲۵۴
۳۳۸، ۳۳۳، ۲۹۶
سیف الدین صادق خان : ۳۱۱
سیف الدین قلیچ : ۲۸۲
سیف الدین لوکیلی : ۳۲۰
سیور قوقیتی بیکی (زوجه تولوی خان)
۲۱۹

(ش)

شادی کورکان : ۲۲۴، ۲۲۵
شاه امیر : ۲۴۹
شاه رخ بن تیمور لنگ : ۱۰۲، ۹
۱۴۱، ۱۰۶
شاهنشاه : ۲۵۲، ۲۵۰
شجاع الدین حسین السرابانی : ۲۴۴
شرف الدین بن الجوزی : ۲۶۹،
۲۹۶، ۲۸۹، ۲۸۲، ۲۷۰
شرف الدین الزنجانی : ۲۹۳

سلیمان بن هولاجو بن هولاجو خان :
۲۲۹
سلیمان شاه بن پرچم : ۲۷۳، ۲۶۸،
۲۷۴، ۲۷۷، ۲۸۴، ۲۸۷،
۲۹۰، ۲۸۹
سماغو نویان : ۳۳۳
سنتای اوغول : ۲۳۸
سنداغو نویان : ۳۲۸، ۳۲۹، ۳۳۰
سنکتور نویان : ۳۰۸
سننج سترن : ۱۳۲
السهروردی (شهاب الدین)
السهروردی : ۲۲
سوتای (الأمیر موسوتای الأختاجی)
۲۲۸، ۲۳۹
سوکای : ۲۲۵
سونتای : ۲۸۲، ۳۰۶، ۳۱۹
سونج (الأمیر) : ۴۶، ۵۱
سونجاق : ۲۸۱، ۲۸۲، ۲۸۵،
۲۸۶، ۲۹۲، ۳۰۶، ۳۱۷
سونجین خاتون : ۲۲۲، ۲۲۳
سولامش : ۲۳۰

- شميدت : ١٣٢
شيخون : ١٠٠
شيرامون نويان : ٢٨٦ ، ٣٣٣ ،
٣٣٤
(ص)
الصلاح بن بدر الدين لؤلؤ (الملك) :
٣٠٦ ، ٣٠٥
صدر الدين التبريزي (الملك) :
٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٧
صدر الدين (رسول هولانكو إلى
خورشاه) : ٢٥٥ ، ٢٥٠
صدر الدين الساجي : ٣١٨
صدر الدين (الوزير الملقب بصدر جهان)
انظر الزنجاني
الصقاعي (فضل الله بن أبي الفخر) :
٥٣ ، ٨ ، ٧
(ض)
ضياء الملك : ٤٧
(ط)
الطائع (الخليفة العباسي) : ٢٩٤
طاشتمور : ٢٢٧
- شرف الدين بن مؤيد الدين بن
العلمي : ٢٩٧ ، ٢٩٥
شرف الدين علي (ابن تاج الدين)
٣٣
شروانشاه : ٢٥٢
شريف التبريزي : ٣٣٥ ، ٣٣٦
شريف الدين أحمد (ابن رشيد الدين)
٦٢ ، ٧٠
شمس الدين بن تاج الدين : ٣٢
شمس الدين حسين : ٣٣
شمس الدين داود بن مظفر الدين :
٣٢٦
شمس الدين القزويني (قاضي القضاة) :
٢٣٣
شمس الدين القومي : ٣٠٨
شمس الدين كرت (الملك) : ٢٣٩ ،
٢٤٦
شمس الدين كيلكي : ٢٥١
شمس الدين محمد الجويني : ٣٣٨
شمس الدين محمد زكريا : ٧١
شهاب الدين الزنجاني : ٢٩٣

عبد الرحمن (الأمير) : ۲۹۳
عبد الرزاق السمرقندی : ۵
عبد الله البيضاوی : ۸۶ ، ۱۲۵ ،
۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۲۸
عبد اللطيف (ابن رشيد الدين) :
۶۹ ، ۴۰
عبد الله بن فضل الله (الوصاف) :
۱۷ ، ۴۰ ، ۸۷
عرب (الأمير) : ۲۲۵
عز الدين (سلطان الروم) : ۲۴۰ ،
۳۰۰ ، ۳۰۱
عز الدين طاهر : ۲۴۸
عز الدين قوهدي : ۴۳ ، ۴۷
عزيز (الخواجه) : ۳۳۳
عضد الدين (القاضي) : ۶۷ ، ۶۸ ،
۷۰
علاء الدين الجاشي : ۳۰۸
علاء الدين عطا ملك الجويني :
۸۶ ، ۸۷ ، ۲۴۲ ، ۲۸۲ ، ۳۳۸
علاء الدين محمد (ملك الملاحدة) :
۲۴۳ ، ۲۴۴ ، ۲۴۵ ، ۲۵۹

طانبجو (ابن منگوتيمور بن
هولا گوخان) : ۲۲۸
طاهر جلال الدين : ۳۳
طاير بوقا : ۲۵۶
الطبري : ۱۰۷
طرقاي (بنت هولا گوخان) : ۲۳۰
طرقاي كوركان : ۲۲۸
طغاي : ۲۲۸
طغاي تيمور : ۲۲۹
طغر ليك : ۲۷۵
طورغاي : ۲۲۵ ، ۲۲۶
طوقوجاق : ۲۲۴
طوق : ۲۳۰
طولاداي ايداجي : ۲۲۸
طير بهادر : ۲۳۴
طيقور (ابن اولجايتو) : ۲۱
(ظ)
ظهير الدين سنلار البيتكجي :
۲۴۹ ، ۲۵۰
(ع)
العباس : ۲۷۵
عباس الكبير (الشاه) : ۷۳

قلی : ۲۶۱
قویلائی قآن : ۲۰۶ ، ۲۲۳ ، ۲۲۴
۲۳۴ ، ۲۳۶
قوتلقان او قوتلوقان : ۲۳۱
قوتوی خاتون : ۲۲۲ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵
۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۹
قورش : ۱۳
قورمش : ۲۲۹
قولی بن آورده بن جوجی : ۲۸۱
۲۸۶
قومای نویان : ۳۰۹
قوقرتای : ۲۲۶
قویچی : ۲۲۸
قیاق نویان : ۲۸۱
(ك)
الکامل (الملك) : ۳۱۹ ، ۳۲۰
۳۲۱ ، ۳۲۲
کرامون خاتون (کرمون خاتون)
۲۲۱
کتهی نویان : ۲۱۹
کوچک : ۲۲۸

(ق)
القائم (الخلیفة) : ۲۹۴
القادر (الخلیفة) : ۲۹۴
القاهر (الخلیفة) : ۲۹۴
قایدو خان بن دوتومنن : ۲۰۵
قبچاق (المعروف بقراسنقر) : ۲۲۶
۲۸۳ ، ۲۸۵
قتار سونجاق (الأمير) : ۲۶۱
قتاغینا (الأمير) : ۳۱
قتاغشاه (الأمير) : ۱۳ ، ۱۴ ، ۱۸
قتاغ شاه خاتون : ۲۲۱
قتلوق (بنت منگو تیمور بن
هولا گوخان) : ۲۲۸
قدسون (الأمير) : ۲۶۱ ، ۲۸۱
قرا بوقا : ۲۲۵ ، ۲۹۵
قراتای : ۲۸۲ ، ۲۹۵
قراجین (والدة بایلو) : ۲۲۶
قرجیان (الأمير) : ۳۰۶
قرجی کورکان : ۳۰۹
قطب الدین : ۱۶
قطز : ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲ ، ۳۱۳
۳۱۴ ، ۳۱۵ ، ۳۱۶

۲۲۹ ، ۲۲۸ ، ۲۲۶ ، ۲۰۷

(ل)

لنتجی : ۹۹

لکزی کورکان : ۲۳۱

لنجلیس : ۱۲۹

لوئو (الأمیر) : ۳۰

(م)

المأمون (الخليفة) : ۲۸۰ ، ۲۹۴

مازوق (آقا) : ۲۵۰

مالکولم (الماجور) : ۱۰۸

مبارز الدين علی توران : ۲۴۴

مبارکشاه بن المستعصم : ۲۹۴

المتقی (الخليفة) : ۲۹۴

المتوکل (الخليفة) : ۲۸۰ ، ۲۹۴

مجاهد الدين أيبك (الدواتدار

الصغير) : ۲۶۲ ، ۲۶۳ ، ۲۶۴

۱۶۸ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۲۷۴

۲۸۴ ، ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷

۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، ۲۹۳

مجد الدين التبریزی (الملك) : ۳۰۰

مجد الدين الكرمانی : ۳۳۳

کورد جین (کردون جین) : ۲۲۸

کوکا ایلکا : ۲۵۰ ، ۲۵۳ ، ۲۶۱

۲۸۲

کوکاجی خاتون : ۲۲۱

کیا بزرگ امید : ۲۵۸

کیتوبوقا نویان : ۲۳۵ ، ۲۴۳

۲۴۴ ، ۲۴۷ ، ۲۵۱ ، ۲۵۴

۲۷۸ ، ۲۸۱ ، ۲۸۵ ، ۲۹۱

۳۰۵ ، ۳۰۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸

۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴

۳۱۵ ، ۳۱۶

کویک خاتون : ۲۲۲ ، ۲۲۳

۲۲۴ ، ۲۲۹ ، ۲۳۰

کیتباد (وزیر) : ۲۵۱

کینک شو : ۲۲۴

کیوک خان : ۲۰۶

(ک)

گرای : ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۴۲

گیخاتوخان بن آباخان : ۲۰۶

- محمد الدين المغربي : ٣١٧
محمد (السلطان السلجوقي) : ٢٧٥
محمد الأمين : ٢٨٠
محمد بن بزرك أميد : ٢٥٩
محمد بن حسن : ٢٥٩
محمد خان : ٧١
محمد خوارزمشاه : ٢٧٥
محمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٠٦ ، ٨٠ ، ٧٩
١٧٤ ، ١٥٥ ، ١٥١
محمد بن قلاوون : ٥٨ ، ٤٧
محمد بن محمد (المعروف بزود نويس) :
١٥٢
محمد النسوي : ٨٥
محمود الإصفهاني : ٢٤
محمود (الأمير) : ٣١
محمود (شيخ المشايخ) : ١٦
محمود الغزنوي (السلطان) : ٢١١
مرتقي خاتون (مرتاي خاتون) : ٢٣١
ميركتاي (شحنة هراة) : ٢٤٩
مسافر ايناق : ٦٣
المسترشد (الخليفة) : ٢٩٤
المستضيء (الخليفة) : ٢٩٥
المستظهر (الخليفة) : ٢٩٤
المستعصم (الخليفة) : ٢٩٠ ، ٢٦٢
المستعين (الخليفة) : ٢٩٤
المستكفي (الخليفة) : ٢٩٤
المستنجد (الخليفة) : ٢٩٥
المستنصر (الخليفة) : ٢٩٥
مسعود بك (ابن محمود يلواج) : ٢٣٩
مسعود بن عبد الله : ١٤١
المسعودي : ٩٥
المطيع (الخليفة) : ٢٩٤
مظفر الدين (ابن الملك السعيد) :
٣٢٥
مظفر الدين سرغل : ٦٩
مظفر الدين سعيد : ٢٢
المعتز (الخليفة) : ٢٩٤
المعتصم (الخليفة) : ٢٩٤
المعتضد (الخليفة) : ٢٩٤
المعتمد (الخليفة) : ٢٩٤
معين الدين پروانه : ٣٣٨
المقتدر : ٢٩٤

مؤيد الدين بن العلقمي (وزير خليفة
بغداد): ۲۶۲، ۲۸۷، ۲۸۸،
۲۹۰، ۲۹۳، ۲۹۵، ۲۹۷

مؤيد الدين العرضي: ۳۰۴
موفق الدولة الهمداني (الطيب):
۲۵۷، ۹

المهتدي (الخليفة): ۲۹۴
المهدي (الخليفة): ۲۹۴

ميرانشاه بن تيمور لنگ: ۵۶
ميرخوند: ۹، ۱۵، ۱۰۵، ۱۲۸،
۱۳۱، ۱۳۲

(ن)

نارين طغاي: ۶۱
الناصر (الخليفة): ۲۹۵

ناصر الدين (سلطان حلب والشام):
۳۰۸، ۳۱۶، ۳۱۷، ۳۱۹،
۳۲۲

ناصر الدين بن علاء الدين (صاحب
الري): ۳۰۰
ناصر الدين كشاوخان (السلطان):
۳۱۱

المقتدي (الخليفة): ۲۹۴

المكتفي: ۲۹۴

الملك دل راست: ۲۹۳

المنصور (الخليفة): ۲۹۴

منكلمش: ۲۴۹

منكليكاج ايكاجي: ۲۳۱

منكلي: ۲۳۰

منكوتيمور: ۲۲۸

منكوقا آن (منكوقا آن)

منكوكوخان، منكوكوخان):

۲۰۶، ۲۲۳، ۲۳۲، ۲۳۳،

۲۳۴، ۲۳۵، ۲۳۶، ۲۳۷،

۲۳۸، ۲۴۳، ۲۵۸، ۲۷۲،

۳۰۳، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۲،

۳۱۷، ۳۳۲

منكوكان (بنت هولاءوكوخان):

۲۳۰

هورادجا دوسون: ۱۴۰

موسي خان: ۶۵

موسي كوركان (صهر هولاءوكوخان):

۲۳۱

هولاجو بن هولاجوخان : ۲۲۸ ،
۳۰۰ ، ۲۲۹

هولاجوخان : ۱۳۷ ، ۱۸۸ ، ۲۰۶ ،

۲۱۹ ، ۲۲۰ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ،

۲۲۳ ، ۲۲۵ ، ۲۳۵ ، ۲۳۶ ،

۲۳۷ ، ۲۳۸ ، ۲۳۹ ، ۲۴۰ ،

۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۴۳ ، ۲۴۶ ،

۲۴۷ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ، ۲۵۰ ،

۲۵۱ ، ۲۵۲ ، ۲۵۳ ، ۲۵۴ ،

۲۵۵ ، ۲۵۶ ، ۲۵۷ ، ۲۶۰ ،

۲۶۱ ، ۲۶۳ ، ۲۶۹ ، ۲۷۱ ،

۲۷۲ ، ۲۷۴ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶ ،

۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲۷۹ ، ۲۸۰ ،

۲۸۱ ، ۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۲۸۴ ،

۲۸۶ ، ۲۸۷ ، ۲۸۸ ، ۲۸۹ ،

۲۹۰ ، ۲۹۱ ، ۲۹۲ ، ۲۹۵ ،

۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ،

۳۰۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴ ، ۳۰۵ ،

۳۰۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸ ، ۳۰۹ ،

۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۵ ، ۳۱۶ ،

۳۱۸ ، ۳۱۹ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ ،

ناصر الدين قمرى : ۳۱۱ ، ۳۱۲
ناصر الدين (محتشم قهستان) :

۲۴۶

ناورى الكرجى : ۳۲۰

نجم الدين (الملقب بالملك المنصور) :

۳۲۶

نرك ايلكا : ۳۸۱

نصير الدين الطوسى (الخواجه) :

۲۴۹ ، ۲۵۴ ، ۲۵۷ ، ۲۷۹ ،

۲۸۲ ، ۲۸۹ ، ۲۹۴ ، ۲۹۶ ،

۳۰۱ ، ۳۰۳ ، ۳۴۱

نظام الدين عبد المؤمن البندنجينى

(قاضى القضاة) : ۲۹۵

نوروز (الأمير) ابن أرغون آقا :

۱۳۷

(هـ)

المادى (الخليفة) : ۲۹۴

هر قداق (الأمير) : ۲۷

هر كيتاي : ۲۴۳

هسيجين : ۲۲۷

هندو البيتكجى : ۲۸۹

(ى)	٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
يشموت بن هولاءوخان : ٢٢٤ ،	٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ،
٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٠٦ ، ٣١٩ ،	٣٤١ ، ٣٤٢
٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٨	(و)
يعقوب بن الليث الصفار : ٢٧٥	الوائق : (الخليفة) : ٢٩٤
يسودار بن هولاءوخان :	وجيه الدين اسماعيل (الأمير) : ٧١ ،
٢٢٧	٧٢



كشاف

٢- البلدان والأمكنة

	(١)
ألاتاغ (الأطاغ) : ٣٢٨ ، ٣٣٣ <	أبسكون (جزيرة) : ٢٧٦
٣٣٧	أبهر : ٢٥٨
ألماليق : ٢٢٣ ، ٢٣٩	أبيورد : (انظر باورد) .
ألموت : ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ <	أخلاط (خلاط) : ٣١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٦
٢٥٨ ، ٢٥٦	أذر بيجان : ٥٦ ، ١٨٧ ، ٢٤٠ ،
آله بشين : ٢٤٤	٣٣٨ ، ٣١٥ ، ٣٠٠ ، ٢٦٠
آمد : ٣٠٦	أران : ٤٢ ، ٢٤٠ ، ٣٣٨ .
أوجان : ١٨٨	إربيل : ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣١٢
أنون (نهر) : ١٣٥	أرزن : ٣٢٥
إيران : ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ <	أسيدان : ٢٥٣
٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣	أسد آباد : ٢٧٥ ، ٢٨٢
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨	آسيا الصغرى : ٤٢
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ <	إصفهان : ٤٠
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٣١١ <	إكباتان (همدان) : ٥
٣٣٢ ، ٣٣٣	

٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٤٠

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠

بناکت (فناکت) : ١٢٦

پنج انگشت : ٢٧١

بندنجين : ٢٩٥

بوابة سوق السلطان : ٢٨٦

بوابة كلواذی : ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٤

بوابة اليهود : ٣٠٦

بيات : ٢٨١ .

(ت)

تای جان چيو (مدينة) : ١٠٠

تيت : ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٩٥

٢٣٤

تيريز : ٦ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٧٣

٧٤ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠

١٦٦ ، ١٧٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٨

٣٣٥

ترشيز : ٢٤٤

ترك (نهر) : ٣٣٤ ، ٣٣٥

تركستان : ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٨٤

(ب)

باب الأنطاكية : ٣٠٦

باب دمشق : ٣٠٦

باب الروم : ٣٠٦

باب العراق : ٣٠٦

باجسرى : ٢٨٥

باب قصر المنصور : ٢٨٥

باورد (أبيورد) : ٢٤٨

البرج العجمي : ٢٨٦ ، ٢٨٧

بسطام : ٢٤٩ ، ٢٥٠

بشكيلة : ٢٥٣

بشريه : ٢٨٥

البصرة : ٢٨٨ ، ٢٩٦

بعليک : ٣١٣

بعقوبه : ٢٨٥

بغداد : ٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥١

٧١ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢

٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠

جیلان (گیلان): ۲۲، ۲۰	۲۳۴: ۴
(ج)	تنگقوت: ۲۳۴، ۲۱۹
چنج سائی (مدینة): ۱۱۹	توران: ۲۶۹، ۲۳۵، ۲۱۴
(ح)	۲۷۳
حارم (قلعة): ۳۰۷	توف (مدینة): ۲۴۴
حدیثه: ۳۴۰	۲۴۷
حران: ۳۰۶	(ج)
حربیہ: ۲۸۵	جامع الخلیفة: ۲۹۳
حلب: ۳۰۷، ۳۰۶، ۳۰۵، ۲۹۶	جبل الحمرین: ۲۸۷
۳۰۸	جرجستان (جورجیا): ۱۴، ۱۳
الحله: ۲۹۶، ۲۹۵، ۲۸۶، ۳۲	۲۴۰، ۲۱۲
حلوان: ۲۸۴، ۲۸۱	الجزیرة: ۳۰۶
(خ)	جغاتو (نهر): ۳۴۱، ۲۲۵
خالص: ۲۹۵	جغاتو نغاتو: ۳۳۷
خان بالیغ (خان بالیق): ۹۷	جلاییة (قریة): ۲۹۳
۱۱۹	جلولاء: ۲۸۷
خاقین: ۲۹۵، ۲۸۶	جورجه: ۲۳۴
خانه آباد: ۲۶۱	جورجیا (انظر جرجستان)
خبوشان: ۲۴۸	جیحون: ۲۳۵، ۲۲۰، ۲۱۲
	۳۳۸، ۳۳۵، ۲۴۳، ۲۴۰

(د)	خراسان : ۳۲ ، ۴۰ ، ۵۷ ، ۶۰ ، ۶۹
دار السلام (انظر بغداد)	۱۸۷ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ، ۲۳۹
دامغان : ۲۴۸	۲۴۰ ، ۲۷۰ ، ۲۷۵ ، ۲۸۴
دجلة : ۳۳ ، ۳۷ ، ۲۸۳ ، ۲۸۵	۲۸۶ ، ۲۹۵ ، ۳۳۳ ، ۳۳۷
۳۳۰ ، ۲۸۶	۳۳۸
دجيل : ۲۸۵	خرقان : ۲۴۹
در بند : ۳۳۲ ، ۳۳۳ ، ۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۴۰	الجزر : ۸۴ ، ۹۷
در بند خزر : ۳۳۴	خطای (الخطا) : ۹۹ ، ۱۱۰
در تنگ : ۲۷۷	۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ، ۱۱۹
دلان ناؤز : ۱۳	۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۵ ، ۱۲۷
دهلی : ۷۰	۱۳۷ ، ۱۹۵ ، ۲۱۲ ، ۲۳۴
دمشق : ۱۶ ، ۳۰۷ ، ۳۰۸ ، ۳۱۱	۲۳۵ ، ۳۳۶
۳۱۷ ، ۳۱۶	خلاط (انظر أخلاط)
دنيسر : ۳۰۶ ، ۳۲۵	خنسای : ۱۱۳ ، ۱۲۴
دولاب بقل : ۲۸۶	خوار : ۲۵۱
دهخوارگان : ۳۴۱	خوارزم : ۸۵ ، ۱۰۶
ديار بکر : ۴۲ ، ۳۰۶ ، ۳۰۸	خواف : ۲۴۷
۳۳۸ ، ۳۱۲	خوزستان : ۴۲ ، ۲۸۱ ، ۲۹۳
ديار ربيعة : ۳۰۸ ، ۳۲۶ ، ۳۳۸	۲۹۶
دينور : ۲۶۷ ، ۲۸۲	خوی : ۳۳۷
(۲۴ - جامع التواريخ)	

السلطانية : ۲۸	(ر)
سلماس : ۳۰۰	رادکان : ۲۴۸
سلنجاه (نهر) : ۱۳۵	الربع الرشیدی : ۲۳ ، ۶۶ ، ۵۶ ، ۵۵ ، ۶۶
سمرقند : ۲۳۹ ، ۲۲۴ ، ۵	۷۲ ، ۷۳ ، ۷۴ ، ۱۶۶ ، ۱۷۲ ، ۱۷۲
سمنان : ۲۵۱	۱۷۷ ، ۱۷۶
سنجار : ۳۲۹ ، ۳۲۸	الرس (نهر) : ۳۳۸
سوق السلطان : ۲۸۷	روحه : ۳۰۶
سیاه کوه : ۲۹۶	رودبار : ۲۵۵ ، ۲۴۴
سیب : ۲۸۸	روسیا : ۱۴۲
سیحون : ۲۱۲	الری : ۲۸۴ ، ۲۶۰ ، ۲۵۲ ، ۳۲ ، ۳۲
(ش)	(ز)
الشام : ۲۵۸ ، ۲۳۴ ، ۱۵۵ ، ۱۰۵	زاوه : ۲۴۷
۳۰۷ ، ۳۰۵ ، ۲۹۹ ، ۲۸۹ ، ۲۶۰	زربنه رود (مشتی) : ۳۳۷
۳۱۲ ، ۳۱۱ ، ۳۱۰ ، ۳۰۸	زکی (من ضواحي همدان) : ۲۸۱
۳۴۰ ، ۳۳۶ ، ۳۲۷ ، ۳۱۷	زیرکوه : ۲۴۴
شاه دز : ۲۵۲	(س)
شیران : ۳۳۵	ساوه : ۲۸
شیرقان (شیرقان ، شفرقان) :	سرای حومه : ۲۲۱
۲۴۱	سرتخت : ۲۴۶
شروان : ۳۴۰ ، ۳۳۳ ، ۲۴۰	سرخاب : ۲۴
شستر : ۲۹۶	سرکوه : ۲۴۵

العقاب (قرية): ۲۸۸

عمان: ۲۸۱

عیسی (نهر): ۲۸۵

عين جالوت: ۳۱۳

(ف)

فارس: ۶، ۲۱، ۴۲، ۶۳، ۷۴، ۸۸

۱۰۸، ۱۰۵، ۹۷، ۹۵، ۸۸

۳۳۸، ۲۴۰، ۱۳۸، ۱۳۷، ۱۲۶

الفرات: ۱۷، ۳۲، ۲۹۶، ۳۰۶

۳۴۰، ۳۳۸

فران: ۲۵۲

فیروز کوه: ۲۵۱

فینا: ۱۴۲

(ق)

القاهرة: ۳۱۱

قبة شيخ السكارم: ۲۹۵

القبيحاق (ولاية): ۳۱۸، ۳۳۴

۳۳۹

قراجانگك: ۲۳۴

قراقورم: ۲۳۲، ۲۳۵، ۲۳۲

شماخی: ۳۳۳، ۳۳۹

شمران: ۳۳۳

شیراز: ۶۷

(ص)

صرصر: ۲۸۶

الصين: ۹۴، ۹۷، ۱۰۰، ۱۱۰، ۱۱۹

۱۲۲، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶

۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۳، ۳۱۲

(ط)

طارم: ۲۴۴

طاق كسرى: ۲۸۲

طالقان: ۲۵۳

طنجوت: ۱۲۱

طوس: ۲۴۷، ۲۴۸

(ع)

العاصى (نهر): ۳۱۲

عانه: ۳۴۰

عباس آباد الرى: ۲۵۲

العراق: ۲۸، ۳۲، ۳۳، ۳۴، ۴۲

۳۳۷، ۷۱، ۲۴۰، ۲۵۰، ۳۳۸

کوسه داغ : ۲۶۱
کوفه : ۲۹۶ ، ۲۸۶
کولی : ۲۳۴
(گ)
گرده کوه (گرد کوه) : ۲۳۷ ،
۲۵۵ ، ۲۵۱ ، ۲۴۵ ، ۲۴۴ ، ۲۴۳
(ل)
لار دماوند : ۲۵۱
لاؤوکین (مدینه) : ۱۰۰
لرستان : ۲۸۵ ، ۲۸۱
لگرستان (جبال) : ۳۳۵
لنبه سر (لبسر) : ۲۴۸ ، ۲۳۷ ،
۲۵۶ ، ۲۵۵ ، ۲۵۱ ، ۲۵۰
لوچک (مدینه) : ۱۲۲
(م)
الماجین : ۲۳۴ ، ۱۹۵
ماردین : ۳۲۶ ، ۳۲۵ ، ۳۲۴
مارستان العضدی : ۲۸۶
مازندران : ۳۳۸ ، ۲۵۱
المدائن : ۲۸۱
مراغه : ۲۹۴ ، ۳۰۰ ، ۳۰۳ ، ۳۳۷ ،
۳۴۱

قره موران (نهر) : ۱۱۹
قزوین : ۲۵۸ ، ۲۵۷ ، ۱۸۴ ، ۷ ،
۲۶۰
القسطنطينية : ۱۰۵
قطر نجیاس : ۱۲۲
قہستان : ۲۴۳ ، ۲۳۶ ، ۲۳۵ ،
۲۵۵ ، ۲۴۷ ، ۲۴۴
قوجان : ۲۴۸
قوتقور اولانگ : ۲۰
(ک)
کان گل : ۲۳۹
گرجستان : ۳۳۳
کردستان : ۲۶۱
کرمان : ۳۳۸ ، ۲۵۳ ، ۴۲ ،
۲۸۲ ، ۲۸۱
کش : ۲۳۹
کشمیر : ۲۳۴ ، ۱۹۵ ، ۱۱۹
کفچه کوه (قطر) : ۱۲۲
کلوران : ۲۳۲
کالی (قلعة) : ۲۴۴
کن چيو (مدینه) : ۱۰۰

میمون دز: ۲۵۳ ، ۲۵۵

(ن)

الأنبار: ۲۸۵

نجاسیه: ۲۸۶

النجف: ۲۹۶

نصبیین: ۳۰۶

(هـ)

هامون دز (قلعة): ۲۵۰

هراة: ۱۰۷

همدان (إكباتان): ۲۶۰، ۲۵۷، ۶۵، ۶۰

۲۸۷، ۲۸۴، ۲۷۱، ۲۶۷، ۲۶۱

هكار (حكار): ۳۰۶

الهند: ۹۱، ۹۴، ۱۲۷، ۱۹۵، ۱۹۰

۲۳۴، ۲۱۴، ۲۱۲

هولان موران: ۲۲۱

(و)

واسط: ۲۹۶

وروده (حصن): ۲۷۷

وقف (قرية): ۲۹۳، ۲۹۴

ولیان كوه: ۲۳

(ی)

یاچی (إقليم): ۱۲۱

سراج (حصن): ۲۷۷

سرو: ۲۴۸

مسجد الخليفة: ۲۹۵

مشهد أمير المؤمنين علی: ۲۹۶

مشهد موسى الجواد: ۲۹۳، ۲۹۵

مصر: ۱۰۵، ۱۰۰، ۲۳۴، ۲۷۵، ۲۷۰

۲۸۹، ۳۰۰، ۳۰۸، ۳۱۰، ۳۱۰

۳۱۱، ۳۱۲، ۳۱۳، ۳۱۵، ۳۱۵

۳۱۷، ۳۲۷، ۳۲۸، ۳۳۶، ۳۴۰

المغرب: ۳۱۲

مكران: ۸۳

مترى: ۳۰۳

المنصورية: ۲۴۴، ۲۴۸

منقوليا: ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۲۵، ۳۱۰

منقلاى: ۳۳۳

مهرين (قلعة): ۲۴۳، ۲۴۴

الموصل: ۲۸۱، ۳۲۶، ۳۲۷، ۳۲۷

۳۲۸، ۳۲۹، ۳۳۰

مونيق (من ضواحي تبريز): ۳۰۱

ميافارقين: ۳۰۶، ۳۱۹، ۳۲۴

میزد (جبل): ۷۳

الميمنية: ۲۹۱

كشاف

٣ - القبائل والأمم

(ج)	الأنابكة : ٢٦٧
الجر كس : ٢١٢	، ٢١٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣
(خ)	، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٢٣٢
الخطائون : ٣٤٠ ، ٢٢٥	٣٢٥
خفاجه : ٣٤٠	الأرمن : ٣٠٠ ، ٢٥٣ ، ٢٣٤
(د)	الأكراد : ٢٩٨ ، ٢٨٢ ، ٢٣٧ ،
دوربان : ٢٣١	٣٢٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٠
الديلمة : ٢٦٧	الأوغور : ٢٠٣
(ر)	أويرات : ٢٣٠ ، ٢٢٢
الروس : ٢١٢	الأويغور : ٢١٤ ، ١٩٥
الروم : ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩	(ت)
، ٣٠٨ ، ٣٠٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٠	التتار : ٢٣٤ ، ٢٢٩ ، ١٣٧
٣١٧ ، ٣١٢	الترك : ٢٧٤
الرومان : ١٢٧ ، ٨٣	التركان : ٣١٠ ، ٢٧٨

كرد: ٢٧٨
الكلار: ٢١٢
كور لاوت: ٢٢٧
(ل)
اللور: ٢٣٧ ، ٣٠٠
(م)
المسلمون: ٢٥٠ ، ٣٣٢
المصريون: ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦
المغول: ١٦ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦١
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ،
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،
٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

(س)
الساجوقية: ٢٦٧
سدوس (قبيلة): ٢٢٢
(ش)
الشول: ٣٢٨
(ع)
العباسيون: ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ،
٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ،
٢٩٤
العرب: ١٣٣ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨ ،
٣٢٧
(ف)
الفرس: ٤٤ ، ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
الفرنج: ٢٦١
(ق)
القچاق (شعب): ٢١٤
قنقرات (قبيلة): ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
٢٣١
(ك)
كرايت: ٢١٩ ، ٢٢٠

مغول نبرون : ٣٠٤

الملاحظة : ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧

٢٦٠ ، ٢٦٧

(ن)

نایمان : ٢٣٥

(ی)

اليهود : ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٣

١٢٧

٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧

٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦

٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦

٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨

٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩

مغول درزکین : ٢٠٤



الإيلخانيون

مغول إيران

١ - هولانكو خان بن تولوي بن چنگيز ٦٥١-٦٦٣ (١٢٥٣-١٢٦٤)
(ويشغل الجزء الأول من المجلد الثاني)

٢ - آباقا خان بن هولانكو ٦٦٣-٦٨٠ (١٢٦٤-١٢٨١)
٣ - أحمد تگودار بن هولانكو ٦٨٠-٦٨٣ (١٢٨١-١٢٨٤)
٤ - أرغون خان بن آباقا ٦٨٣-٦٩٠ (١٢٨٤-١٢٩١)
٥ - گیخاتو خان بن آباقا ٦٩٠-٦٩٤ (١٢٩١-١٢٩٤)
٦ - بايدو خان بن طرغاي بن هولانكو (جمادی) ٦٩٤-٦٩٤ (ذی القعدة) ١٢٩٤
(ويشغل تاريخهم الجزء الثاني من المجلد الثاني)

٧ - غازان خان بن أرغون ٦٩٤-٧٠٣ (١٢٩٤-١٣٠٣)
(ويشغل الجزء الثالث من المجلد الثاني)

٨ - أولجایتو خدا بنده بن أرغون ٧٠٣-٧١٦ (١٣٠٣-١٣١٦)

- ۹ - أبو سعيد بهادر خان بن أولجايتو (۱۳۳۵-۱۳۱۶) ۷۱۶-۷۳۶
- ۱۰ - أریا خان بن أرتوبوکان بن تولوی
- ۱۱ - موسی خان بن علی بن بایدو
- ۱۲ - محمد خان بن منکو تیمور بن هولاکو
- (۱۳۳۵) ۷۳۶ (تدخل الجلائريين)
- ۱۳ - سانی بیك بنت أولجايتو (۱۳۴۰-۱۳۳۸) ۷۲۹-۷۴۱
- ۱۴ - شاه جهان تیمور بن آلا فرنگک بن گیخاتو (۱۳۳۹-۱۳۳۸) ۷۳۹-۷۴۰
- ۱۵ - سلیمان خان... بن یشموت بن هولاکو (۱۳۴۴-۱۳۴۰) ۷۴۱-۷۴۵
- ۱۶ - طغا تیمور خان (۱۳۵۲-۱۳۳۵) ۷۳۶-۷۵۳
- ۱۷ - أنوشیروان العادل (۱۳۵۵-۱۳۴۳) ۷۴۴-۷۵۶
- (ویشغل تاریخهم الملحق وهو ذیل جامع التواریخ لحافظ آبرو).



(١) تصويب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٥	٢	على	على
٦	١٧٤٥	قازان	غازان
٧	٧	Anpré	André
٩	١٣	ناصر الدين	نصير الدين
١٠	٢	ناصر الدين	نصير الدين
١١	٢	النظيرة	النظير
١٣	١	خان آباقا	الخان آباقا
١٣	٦	عند	عن
١٤، ١٣		كتلكشاه	قلنغشاه
١٦	١٦	بولوجان	بولغان
١٧	١	قازان	غازان
١٧	١٥	كتلكشاه	قتلغشاه
٢٧	١١	هر كوداك	هر قداق
٣٣	١٣	بذبحهم	بذبحهم

(١) وقعت بعض أخطاءً أثبتنا هنا تصويبها معتندين للقارئ الكريم عما فاتنا .

صواب	خطأ	السطر	الصفحة
یوکل	یوکل کل	۱۶	۳۴
ظہیر	ظاہر الدین	۱۳	۴۳
نمودہ	بنمودہ	۲۲	۴۸
آقاوانرا	آقاوانرا	۴	۴۹
گزیلہ	گزیلہ	۵	۴۹
کشیدم	کندم	۱۸	۴۹
میرخوند	میرطوند	۱۹	۴۹
اختیار	اختیار	۲۲	۴۹
آغایان	آغابان	۲۵	۵۰
جوہر شاد	جوہر ساد	۱۲	۵۱
السعدین	السعدتین	۱۴	۵۱
آقایان	آقابان	۱۹، ۱۷	۵۱
شاهزادگان	شاهزادگان	۲۱	۵۱
تریت	آتریت	۱۶	۶۳
رسید	سید	۱۶	۶۳
یبکی	یبکی	۲۰	۶۳
سپرد	سپرد	۲۰	۶۳
أحد	أحدا	۲۴	۶۳

الصفحة	السطر	خطاً	صواب
٦٤	٣	رعاية الدين	غياث الدين
٦٤	٦	مشكورت	مشورت
٦٤	٨	يا	با
٦٤	٩	كيخاتوا	گيخاتو
٦٤	١٥	رشيد	رسيد
٦٤	٢١	خيوا	خيوه
٦٤	٢٤	ليق	ليق ني
٦٥	١٠	پاديشاه	پادشاه
٦٩	١٢	تيمور شاه	تيمور تاش
٧٠	٥٤١	» »	» »
٧٠	١٠	يظهر	يظهر تقديره
٧٦		عويس	أويس
٧٣	٨	كاپتاشك	قپچاق
٧٨	١٦	استوحذ	استحوذ
٧٩	٤	ألجانيو	ألجائتو
٨٦	١٥	أبني	بني
٨٤	١٨	ومعارفه	ومعارفه
٨٥	١١	محمد بن النسوي	محمد النسوي

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٨٦	٨	عطاء الملك	عطا ملك
٨٧	١٤٤١	» »	» »
٩٠	١	بمهام	بالمهام
٩٥	١٥	له	لها
٩٦	٨	لأخبار	الأخبار
٩٨	١٥	الوازی	الرازی
٩٩	١٢	مكسوام	(يكسون)
١٠١	١٢	أبو الهادی	أبو الغازی
١٠٣	١٤	الأعیان	الأعیان
١٠٦	٦	المغمول	المغول
١١٤	٢٠	خو بیلاخان	قو بیلاى خان
١١٥	٣	أقطای	أوگتای
١١٩	٤	قره مران	قره موران
١١٩	١٨	متجهتین	متجهتان
١٢٥	١١	بیضاوی	البيضاوی
١٢٦	١٨	خوند	خوندمیر
١٢٧	١٨	ظافر نامه	ظفر نامه
١٢٨	٥	المزعموة	المزعموة

صواب	خطأ	السطر	الصفحة
أولوس	أولوسى	٢	١٣١
أونك خان	أنج خان	٧٠٦	١٣٢
قيچاق	كاپتشاك		١٣٦
»	»	٥	١٣٧
العقل	القعل	١٤	١٤٨
بمقدمة	بملمة	٧	١٥٠
الصحيح	لصحيح	١٠	١٥٧
شاه أوليا	شاه ولايت	١٧	١٦٥
قيچاق	قاپتשאق	٢٣	١٦٩
الثانى	الثانى	٢٩	١٦٩
بن على	بن عال	١٥	١٧٤
بينما	بينهما	١١	٢٠٥
كاترمير	كاترمين	٢١	٢٢٨
الوزراء	الوزراء	١٠	٢٥٤
(ص ٢٢٤)	(ص ٦٩)	١٥	٢٦١
آبسكون	آبسون	١	٢٧٦
فضائل	الفضائل	٩	٣٠٣
سيرة	سيدة	٢	٣٠٤
قاتلا	قاتلا	٣	٣١٦

